الدراسات الأفريقية والعربية

فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن:
المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية "

المجلد الثاني - العدد السادس - يونيو ٢٠١٩م

Iraqi-African Center For Strategic Studies
Tel: 00964776837196
(NGO)1E78478
http://ciaes.net/

مجلة الدراسات الأفريقية والعربية

African & Arab Studies

international scientific periodical journal issued
by the "Iraqi-African Center for Strategies Studies"
ISSN: 2709-2828

تصدر عن:

المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية

Iraqi-African Center for Strategies Studies

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد

٢٠١٨/١٨١٩

وكيل المجلة في ليبيا

دار البيـــان للنشر والتوزيع والإعلان

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية - ليبيا

٢٠١٨/١٥٥

الترقيم الدولي بالمكتبة الوطنية الألمانية

ISSN: 2709-2828

الهيئة التحريرية للمجلة

رئيس التحرير: دينا العشري

مديرا التحرير:

د. أسامة نور الدين (مصر)

أ. رشا العشري (مصر)

سكرتيرو التحرير:

د. خالدة سالم بابكر (السودان)

أ.محمد عز الدين (مصر)

أ.عبيد إميجن (موريتانيا)

أ خالد خميس السحاتي (ليبيا)

التنسيق والمراجعة:

أ. مصطفى فؤاد

تصميم الغلاف والإخراج:

أ. كمال سند

الهيئة العلمية الاستشارية للمجلة

✍ **أ.د جمال السيد الضلع**

أستاذ العلوم السياسية، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة (مصر)

✍ **أ.د صالح زياني**

أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة باتنة 1 (الجزائر)

✍ **أ.د. ريم موسى**

استاذ العلوم السياسية وعميد كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية جامعة بحري (السودان)

✍ **د. بلهول نسيم**

أستاذ محاضر بقسم العلوم السياسية/ جامعة البليدة (الجزائر)

✍ **د. محمد المختار جي**

رئيس مركز البحوث والدراسات الإفريقية بالسنغال وأمين عام للاتحاد العربي الإفريقي للتنمية المستدامة المتكاملة التابع لجامعة الدول العربية بالسنغال (السنغال)

✍ **د. مهدي دهب حسن دهب**

أستاذ العلوم السياسية – رئيس قسم العلوم السياسية المشارك بجامعة افريقيا العالمية (السودان)

✍ **د. محمد فاضل نعمة**

أستاذ العلاقات الدولية – جامعة بابل (العراق)

✍ **د. محمد أدريس عبد العزيز**

رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة طبرق (ليبيا)

✍ **د. رامي عاشور**

دكتور العلوم السياسية والأمن القومي وزميل أكاديمية ناصر العسكرية العليا (مصر)

✍ **أ. د. بن يزة يوسف**

أستاذ تعليم عالي في العلوم السياسية، جامعة باتنة 1، (الجزائر)

✍ **د. عبدالسلام بشير خليفه الصغير**

دكتوراه في العلاقات الدولية وباحث متخصص في الشؤون الأفريقية (ليبيا)

✍ **د. محسن الندوي**

علوم سياسية وعلاقات دولية – رئيس المركز المغربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية (المغرب)

✍ **د. جمال علي سالم**

باحث متخصص في العلاقات الدولية (العربية والأفريقية) (ليبيا)

✍ **د.محمد حسن عطا المنان عبد الله**

أستاذ مشارك في البلاغة والنقد الادبي - جامعة كسلا (السودان)

رؤية المجلة وشروط النشر بالمجلة

"مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" فصلية دولية محكّمة تصدر عن "المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية" العراق بغداد، بالتعاون مع دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل والدول العربية، كما تسعى المجلة لتحقيق هدف المركز في التقارب العربي الأفريقي، والاهتمام بالقضايا التي تهم الطرفين اقتصاديًا وسياسيًا، وثقافيا واجتماعيًا، املا في وجود دراسات وابحاث تطرح رؤى وافكار تسهم في تشكيل كيان أفريقي عربي يقف في وجه التحديات والأيدولوجيات الخاطئة التي تفرض على الساحة الدولية، لتكون افكارنا نحن الأفارقة والعرب معا يدًا وصوتًا واحدًا يسمع له العالم باهتمام ويسير خلفه وليس العكس.

شروط النشر:

- أن يكون البحث أصيلا معدا خصيصا للمجلة، وألا يكون قد نشر جزئيا أو كليا أو نشر ما يشبهه في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
- أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- أن يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسفت وورد، إلى البريد الإلكتروني: african.arabia@gmail.com
- يجب أن يكون البحث مكتوبا بلغة سليمة، مع العناية بما يلحق به من خصوصيات الضبط والرسم والأشكال.
- لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.
- يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة الى اللغات الأخرى، من غير الرجوع الى الباحث.
- تخضع الابحاث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتّها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ - يبلّغ الباحث بتسلّم المادة المرسَلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب - يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر موافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ت - الأبحاث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائيا للنشر.

ث - الأبحاث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.
- يراعى في أسبقية النشر:

أ - الأبحاث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب - تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.

ج - تاريخ تقديم الأبحاث التي يتم تعديلها.

د - تنويع مجالات الأبحاث كلما أمكن ذلك.

- تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

كيفية اعداد البحث للنشر:

- يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي اليها.

عنوان جهة الباحث:

- الملخص التنفيذي باللغة العربية - الإنكليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل اليها البحث.
- تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.
- كما بجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة بيبليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الاصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.
- ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للآتي:

أ- إذا ا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث وإسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

- يراوح عدد كلمات البحث بين ٢٠٠٠ و٧٠٠٠ كلمة، وللمجلة أن نتشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.
- يتم تنسيق الورقة على قياس (A4)، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

- نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو Simplified Arabic
- حجم ١٦ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، ١٤ غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و١٤ عادي بالنسبة لحجم المتن.
- حجم ١١ عادي للجداول والأشكال، وحجم ٩ عادي بالنسبة للملخص والهوامش.
- نوع الخط في الأبحاث باللغة الانجليزية Times New Roman، حجم ١٤ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم ١٢ غامق للعناوين الفرعية، ١٢ عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، ١١ عادي للجداول والأشكال، ١٠ عادي للملخص والهوامش.
- يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسبة (٢,٥) من جميع الجهات.

- وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة.
- والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.
- وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الاكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة.
- حيث أن "المركز العراقي الافريقي للدراسات الاستراتيجية" جهة اصدار "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" كما تتولى دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية التوكيل الرسمي لإصدار المجلة في ليبيا ونشرها في كافة الدول العربية والافريقية.

Iraqi-African Center For Strategic Studies
Tel: 00964776837196
NGO)1E78478)
/http://ciaes.net

تقرأ في هذا العدد

* **الافتتاحية:**

بقلم: رئيس التحرير..... 9

* **الإرهاب وأثره على التنمية في أفريقيا**

إعداد/ د. خوجلي احمد صديق 11

* **الحركات الإسلامية في الجزائر المعاصرة**

د. إبراهيم محمد آدم - المستشار السوداني بالقاهرة 33

* **التحول الديمقراطي في ليبيا (التحديات - الفرص المتاحة - السيناريوهات المحتملة)**

إعداد/ د. محمد إدريس عبد العزيز) 54

* **العقيدة الأمنية القومية الجزائرية والتهديدات المستقبلية: التحولات والإستراتيجيات**

إعداد/ د. بلهول نسيم 88

* **دور مؤسسات المجتمع المدني في تعزيز النزاهة ومكافحة الفساد في أفريقيا**

إعداد/ أ. مصطفى دردق 122

* **قبائل الهوتو في بوورندي بين الطبيعة الجغرافية والوضع السياسي**

إعداد: رشا العشري 134

* **الوسائل القانونية لتسوية نزاعات الحدود الدولية (نزاع أبيي الحدودي أنموذجاً)**

إعداد/ د. فتح الرحيم عبد الله سليمان 144

* **الإدارة بالتجوال ودورها في تحقيق جودة الأداء بالتطبيق على محلية جبل أولياء ولاية الخرطوم - السودان (٢٠١٨م)**

إعداد/ د. عمر حمد عبد العاطي 172

* **القصة القصيرة عند الاديب الأفريقي... نجوجي واثيونجو(جيمس نجوجي) .... وأوبي ب. إجبونا نموذجا**

إعداد/ أ. على محمود العبادي 217

افتتاحية العدد

عانت الدول الأفريقية والعربية من تفشي ظاهرة الفساد؛ والذي أدي بدوره إلى نمو الحركات الإرهابية، فالإرهاب والفساد يعدا وجهان لعملة واحدة، وهما سبب الرئيس في تخريب العديد من مجتمعاتنا الأفريقية والعربية، بل وهما السببان الرئيسان في تدني المستوى المعيشي في معظم دولنا، فالفساد يعزز الشعور بالظلم وعدم الانتماء للوطن، وبهذا يصبح الانضمام للجماعات الإرهابية التخريبية حلاً لضعاف النفوس، كما أن الإرهاب يزيد من تدني مستوى المعيشة ويفتح المجال أمام الفاسدين لنهب خيرات ومقدرات البلاد بحجة مقاومة الإرهاب والقضاء عليه، في حين أن محاربة الفساد هو الطريق الأقصر للقضاء على جميع المشكلات التي تعاني منها قارتنا الأفريقية ودولنا العربية.

من هنا كان العام ٢٠١٩ هو عام مكافحة الفساد والارهاب، في دولنا الأفريقية والعربية، حيث أطلق الرئيس عبد الفتاح السيسي، رئيس جمهورية مصر العربية التي ترأس بدورها الاتحاد الأفريقي، مبادرة لمكافحة الفساد في أفريقيا، والذي أكد خلال هذه المبادرة أن مكافحة الفساد يسهم بشكل أو بآخر في دعم قدرات الدولة في مواجهة الإرهاب، وأن مكافحة آفة الفساد التي تنخر في اقتصاديات الدول، ونشر الوعي بمفهومها وبيان أخطارها وآثارها، والتي تُعد أحد المعوقات الرئيسية في طريق التقدم وتحقيق التنمية المستدامة والتطلعات المشروعة لشعوب قارتنا الأفريقية نحو تعزيز قيم الحرية والمساواة والعدالة والكرامة، كما تعتبر الموارد التي تفقدها قارتنا الغالية جراء الفساد أحد الأسباب الرئيسية للتراجع في المقومات الاقتصادية والاجتماعية في الكثير من الدول الأفريقية.

وقد تبني الاتحاد الأفريقي منذ يناير من العام الماضي ٢٠١٨ جهود مكافحة الفساد والإرهاب دوليًا، وكلل هذه الجهود بإطلاق المنتدى الأفريقي الأول لمكافحة الفساد بمدينة شرم الشيخ، خلال هذا الشهر واستمرت أعماله لمدة يومين، بمشاركة ٥١ دولة إفريقية، و٤ دول عربية ضيوف شرف هي: السعودية والإمارات والكويت والأردن، ومثل المنتدى ملتقى مستدامًا للحوار بين

دول القارة لتبادل المعلومات والخبرات والتوعية بشأن التدابير والتجارب الوطنية ذات الصلة لمواجهة الفساد؛ تفعيلًا للالتزامات القارية والدولية ولبحث كيفية تنمية قدرات الموارد البشرية في مختلف أوجه منع ومكافحة الفساد، الذي سيؤدي بدوره لمكافحة الحركات الإرهابية.

كما تبنت دولة العراق أيضا المنتدى العربي الأفريقي لمكافحة الإرهاب والتطرف، في العاصمة العراقية بغداد حيث ضم المنتدى العديد من السياسيين والأمنين والمفكرين ورجال الدين لبحث الحلول الجذرية لآفة الإرهاب، وبحضور واحد وعشرين دولة عربية وأفريقية من الدول التي اكتوت بنار الإرهاب، ودفعت أثمانا باهظة من دماء أبناءها في سبيل مقاومة هذا الخطر الداهم الذي كان لها الاثر البالغ في تشويه تراث وحضارة دولنا، وتهديد لمستقبلنا. وذلك في الفترة من ٢٣-٢٤ آذار/ مارس ٢٠١٩.

ولقد عمل الحاضرون على مدار أربع جلسات متواصلة على بحث ومناقشة أهم عوامل تقوية الإرهاب وانتشاره وأسبابها، وقدموا رؤى مختلفة وأفكارا متعددة في سبيل القضاء على ظاهرة الإرهاب والتطرف.

ولذلك كان علينا أن يحظى هذا العدد ببعض الدراسات التي تهتم بعرض ظاهرة الإرهاب وأثره على التنمية في أفريقيا، وكذلك جهود ودور مؤسسات المجتمع المدني في مكافحة الفساد، كما تم عرض الحركات الإسلامية في الجزائر المعاصرة، والوسائل القانونية لتسوية النزعات الحدودية الدولية، وغيرها من الدراسات التي تزخر بالكثير من المعلومات والأفكار الهامة التي تفيد الباحثين والدارسين المهتمين بالشأن الأفريقي والعربي.

بقلم:

أ. دينا العشري

رئيس التحرير

الإرهاب وأثره على التنمية في أفريقيا

بقلم/ د. خوجلي أحمد صديق

الأستاذ المشارك بكلية الاقتصاد والعلم الاجتماعية –

جامعة القران والعلوم الإسلامية – السودان

Nadoui-mohcen@yahoo.fr

ملخص:

أصبح الإرهاب قضية العالم الأولي وأصبحت مسالة حربه هي هم العسكريين والدبلوماسيين وذلك لما عاناه العالم بسببه من فقد للأرواح وهدر للموارد. وقارة إفريقيا لم تكن استثناءا ولا هي بمعزل عما يجري في العالم الذي ربطته العولمة وقربته التقانة.

ووجد الإرهاب في إفريقيا محاضن كثيرة مكنته من إنسانها البسيط المسالم بعضها بسبب الإرث الاستعماري وبعضها بسبب الفقر وبعضها بسبب التخلف الاجتماعي وانتشار الجهل والمرض

تحدثت هذه الورقة عن الإرهاب وأثره على التنمية في أفريقيا وقد قسمتها إلى أربعة محاور تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة

المحور الأول جعلته محورا مفاهيميا ناقشت فيه الإرهاب من حيث اللغة ومن حيث الاصطلاح كما ناقشت بعض المصطلحات ذات العلاقة مثل مفهوم الغلو ومفهوم التطرف

كما ناقشت كذلك بعض المصطلحات التي يلحقها الناس بالإرهاب وما هي كذلك مثل مفهوم الجهاد ومفهوم التحرر وحاولت فك الاشتباك بين هذه المفاهيم ومفهوم الإرهاب

وفي المحور الثاني تحدثت عن الأسباب التي مكنت للإرهاب في أفريقيا وقد عددت من

هذه الأسباب أسبابا سياسية وأخري اقتصادية واجتماعية ودينية ثقافية وأسبابا طبيعية وهذه الأسباب متداخلة قد يتداخل السياسي فيها بالاقتصادي او الاجتماعي او غيرها لكنها على كل حال تسببت بمفردها او بمجموعها في تهيئة المناخ للإرهاب في قارة أفريقيا.

أما المحور الثالث فقد أشرت فيه إلى بعض الحركات الإرهابية في أفريقيا مثل تنظيم القاعدة وحركة الشباب الصومالي وجيش الرب وبوكو حرام وغيرها من الحركات مع الإشارة إلى بعض أعمالها الإرهابية وآثارها على التنمية في أفريقيا

وخصصت المحور الرابع للحديث عن أثر الإرهاب على التنمية وضربت مثلا بالحركة الشعبية لتحرير السودان وكيف أثرت عملياتها على شعب الجنوب الذي ادعت أنها جاءت لتحريره ونصرته

وفي الخاتمة أشرت إلى بعض نتائج البحث وتوصياته وأعقبت ذلك بقائمة ضمنتها إحالات البحث وهوامشه.

المحور الأول: مفهوم الإرهاب

شهدت الساحة السياسية والإعلامية في السنوات الأخيرة تداولا واسعا لمصطلحات الإرهاب والتطرف والغلو خاصة بعد إحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠١١م وذلك بعد الظهور الواضح للمجموعات المسلحة في عدد من البلدان خاصة في المنطقة العربية الأمر الذي اوجد رأيا عاما ضد ظاهرة الإرهاب والتطرف.

وظاهرة الإرهاب والتطرف لا تختص بوطن معين ولا دين معين ولا شعب معين وإنما هي ظاهرة منتشرة وموجودة في كل العالم ويمتد خطرها إلى كل الفئات وقد كان للإرهاب تأثيراته الكبيرة علي مستوي الأفراد والجماعات والدول الأمر الذي اوجد رأيا عاما لمناهضته ومكافحته فعملت له المؤتمرات والورش والندوات وأنشئت التحالفات العسكرية والأمنية لمناهضته ومحاصرته.

ولمعرفة دلالات ومفهوم هذا المصطلح نحاول أن نتتبع جذوره في اللغة وفي الاصطلاح.

فالإرهاب في اللغة من الفعل ارهب يرهب إرهابا أي خوف وافزع والترهيب والتخويف

يقصد به ترويع الأمنيين. والفعل ارهب يرهب رباعي مزيد على أصله الثلاثي الذي هو رهب يرهب بمعني أخاف يقال رهب فلان فلانا إذا خاف منه[١].وقد ورد الفعل رهب في القران الكريم بمعني غير المتداول اليوم وذلك في قوله تعالي «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء يوفي إليكم وانتم لا تظلمون»[٢].

فالمقصود هنا إخافة العدو وإثارة الرعب في قلبه لجعله يكف عن عدوانه او يتراجع عن مواقفه فمعني كما أشار إلى ذلك بعض أهل العلم هو تحقيق توازن القوة مع العدو بغية ردعه عن ممارسة العدوان[٣].

وتعريف الإرهاب في الاصطلاح الحديث ليس له محتوي محدد وعرف بتعريفات مختلفة تدور كلها حول استعمال العنف ضد المدنيين بهدف تحقيق أهداف سياسية او اقتصادية او اجتماعية او غيرها [٤].

ونظرا لعدم دقة المصطلح وتحديد محتواه القانوني فان أي طرف من أطراف الصراع يستخدمه ضد خصمه[٥].

وقد عرفه مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بانه العدوان الذي يمارسه أفراد او جماعات او دول بغيا علي الإنسان دينه وعرضه ودمه وعقله وماله ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير الحق وهذا يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق وكل فعل من أفعال العنف او التهديد يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي او جماعي يهدف إلي إلقاء الرعب بين الناس او تخويفهم او إيذائهم أو تعريض حياتهم وحريتهم او أمنهم او أحوالهم الطبيعية للخطر ومن صنوفه إحداث الضرر بالبيئة او بأحد المرافق والأملاك العامة او الخاصة او تعريض احد الموارد الوطنية او الطبيعية للخطر.فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهي الله سبحانه وتعالي المسلمين عنها في قوله تعالي «ولا تبغ الفساد في الأرض[٦،٧].

وعرف قاموس أكسفورد الإرهاب بأنه استخدام العنف والتخويف بصفة خاصة لتحقيق أهداف سياسية[٨].

كما عرفه قاموس روبير الفرنسي بأنه الاستعمال المنظم لوسائل استثنائية للعنف من اجل تحقيق أهداف سياسية مثل الاستيلاء على السلطة او ممارسة السلطة[٩].

وعرفته الموسوعة السياسية بأنه استخدام العنف غير القانوني او التهديد به او بأشكاله المختلفة كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف وغيره بغية تحقيق هدف سياسي معين وبشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف معين مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية[١٠].

وعرفته الأمم المتحدة بأعمال العنف الخطيرة التي تصدر من فرد او جماعة بقصد تهديد الأشخاص او التسبب في إصابتهم او موتهم سوءا كان يعمل بمفرده او بالاشتراك مع أفراد آخرين ويوجه ضد الأفراد او المنظمات او المواقع السكنية والحكومية او الدبلوماسية او وسائل النقل والمواصلات وضد أفراد الجمهور العام دون تمييز او الممتلكات او تدمير وسائل النقل والمواصلات وبهدف إفساد علاقات الود والصداقة بين الدول او بين مواطني الدول المختلفة او ابتزاز او تنازلات معينة من الدول في أي صورة كانت لذلك فان التآمر علي ارتكاب او محاولة ارتكاب او الاشتراك في الارتكاب او التحريض علي ارتكاب الجرائم يشكل جريمة الإرهاب الدولي[١١].

ويلتحق بمصطلح الإرهاب مصطلح آخر هو مصطلح التطرف فالتطرف في اللغة مأخوذ من الطرف بفتح الراء وهو الناحية او الجانب[١٢]. ومنه قوله تعالي {وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل أن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكري للذاكرين}[١٣].

بمعني صلاة الصبح وصلاة المغرب لان صلاة الصبح تقع في الطرف الأول من النهار وصلاة المغرب تقع في الطرف الأخير منه[١٤].

والطرف من كل شيء منتهاه وتطرف أي أتي الطرف يقال تطرفت الشمس إذا دنت للغروب ويقال تطرف إذا جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط[١٥].

أما التطرف في الاصطلاح فعرفه البعض بأنه نعت أوصفه تنعت بها الجهات المالكة للسلطة كل من يتبنون مشاريع تغيير مغايرة لمشاريعهم وبهذا يصبح الليبرالي في البلد الشيوعي متطرفا كم يصبح الشيوعي في البلد الليبرالي متطرفا[١٦].

ويطلق التطرف عادة على كل الجماعات التي تهدف إلي التغيير الجذري باستعمال العنف بمختلف مظاهره فيتداخل مع الإرهاب وهذا ناتج عن الممارسات التي يعتمدها المتطرفون

في تنفيذ مشروع التغيير الذي ينشدونه اذ عادة ما يلجئون إلي العنف كوسيلة للتغيير[١٧].

كما يرتبط بالإرهاب والتطرف مصطلح آخر هو مصطلح الغلو والغلو في اللغة هو الزيادة غير المطلوبة تقول غلا السعر إذا زاد وارتفع[١٨].

والغلو مذموم وقد ظهر في الأمم السابقة كما في قوله تعالي {يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا علي الله إلا الحق}[١٩].

وقد أشار إليه الرسول الكريم عندما قال: أن الدين يسر ولن يشاد الدين احد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا.

وفي الرواية الأخرى:أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقي [٢٠].

فالإرهاب كما قلنا ليس له دين ولا وطن وله عدة أشكال وصور ولكنها تخضع في مجملها إلي اختلاف الدوافع والمظاهر والأهداف وتتفق في عدم أخلاقيتها حتى لو جاءت من خلف ستار ديني او أخلاقي فيمكن للجماعة الواحدة تبديل ثوبها في اليوم الواحد عدة مرات ويمكنها الوقوف في خانة الجماعة المناضلة ضد النظام الحاكم صباحا ثم الهجوم علي الأبرياء ليلا[٢١].

أن مصطلح الإرهاب والتطرف يشتبك مع مصطلحات أخري مثل مصطلح الجهاد ومصطلح التحرر. فمفهوم الجهاد يخالف مصطلح الإرهاب لان الجهاد في الإسلام قد شرع لنصرة الحق ودفع الظلم وإقرار العدل والسلام الأمر الذي يتناقض كليا مع مفهوم الإرهاب فالجهاد شرع لدفع الظلم والدفاع عن الوطن ضد احتلال الأرض ونهب الثروات وضد الاستعمار الاستيطاني الذي يخرج الناس من ديارهم وضد الذين يظاهرون ويساعدون علي الإخراج من الديار وضد الذين ينقضون عهودهم ولدفع فتنة المسلمين في دينهم او سلب حريتهم في الدعوة السلمية لدينهم [٢٢]. قال تعالي {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله علي نصرهم لقدير.الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوي عزيز}[٢٣] وقال تعالي {لا ينهاكم الله عن الذين ليقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا

إليهم أن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون}[٢٤]

ومعلوم أن للإسلام إحكاما وآدابا في الجهاد المشروع تحرم قتل الأبرياء والشيوخ والنساء والأطفال وتحرم تتبع الفارين او قتل المستسلمين او إيذاء الأسري او التمثيل بجثث القتلى او تدمير المنشئات والمواقع والمباني التي لا علاقة لها بالقتال[٢٥].

قال (صلى الله عليه وسلم) للمجاهدين: انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا أن الله يحب المحسنين [٢٦].

فلا يمكن إذن التسوية بين إرهاب الطغاة الذين يسفكون دماء الأبرياء ويهدرون الكرامات وينهبون الثروات وبين ممارسة حق الدفاع المشروع الذي يجاهد له المستضعفون لاستخلاص حقوقهم المشروعة [٢٧].

وللأسف فان بعض الجماعات فهمت الجهاد علي نحو خاطئ فأساءا استخدامه فقتلوا الأبرياء واعتدوا علي الأنفس والممتلكات وأساءوا إلي دينهم وربطوا بينه وبين مفهوم الإرهاب مما جعل الساسة والإعلاميين في العالم يتحيزون في أحكامهم علي الإسلام فيربطون بينه وبين الإرهاب فيتكلمون عن الإرهاب الإسلامي مع العلم أن الإرهاب لا دين له ولا وطن ويمارسه أناس من مختلف الأقطار والأديان وما إرهاب المستوطنين اليهود علي الفلسطينيين العزل ببعيد ومع ذلك لا نسمع في الإعلام شيئا عن الإرهاب اليهودي وكذلك فان بعض الإفراد والمنظمات النصرانية تمارس الإرهاب ولا احد يتحدث عن الإرهاب المسيحي.

وفي مصر مارست بعض المجموعات المسماة جهادية الإرهاب والقتل والنهب منذ ثمانينات القرن الماضي وحتى الآن ولكن مما يحمد للبعض توبتهم وأوبتهم ومراجعتهم لأفكارهم وأرائهم خاصة تلك المتعلقة بمفهوم الجهاد ومن هؤلاء بعض قيادات الجماعة الإسلامية المصرية[٢٨].

كذلك يشتبك مفهوم الإرهاب مع مفهوم التحرر فالحرية أصل في الإنسان وفق تعاليم الأديان السماوية ومقررات حقوق الإنسان فمكافحة المستعمر أمر مشروع وقد ساندت مصر في الخمسينات والستينات من القرن الماضي حركات التحرر الأفريقية من اجل الاستقلال والانعتاق من سيطرة المستعمر واستغلاله لإنسان القارة الأفريقية وثرواتها[٢٩].

وكذلك فعل السودان بعد نيله استقلاله إذ انه ساعد الكثير من هذه الحركات لتحقيق أهدافها واستضاف بعض قادتها على أراضيه[٣٠].

وخلاصة القول إن مفهوم الإرهاب يختلف عن مفهوم الجهاد الشرعي في الإسلام كما يختلف عن مفهوم التحرر من المستعمر والسعي لنيل الاستقلال.

المحور الثاني: أسباب الإرهاب في أفريقيا

يتفق الباحثون على طبيعة الإنسان الأفريقي المسالمة الموادعة والتي لا تعرف العنف ولا الإرهاب ولكن برغم هذه الصفات فقد تسلل الإرهاب إلى إنسان القارة الأفريقية وربما يرجع ذلك إلى عدد من الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والطبيعية.

أ/ الأسباب السياسية:

تسابقت الدول الأوربية إلى قارة أفريقيا منذ القرن الثامن عشر لجعلها مناطق نفوذ سياسي واقتصادي وقد عطلت السياسات الاستعمارية حركة التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي في أفريقيا.

ولما خرج المستعمر ونالت بلدان القارة استقلالها اكتشف الأفارقة أن المستعمر ترك لهم مجموعة من المشكلات السياسية والأجندات الاستعمارية منها الصراعات السياسية والاثنية والتي تسببت في حروب أهلية وإقليمية ما تزال القارة تعاني منها [٣١].

كما ترك المستعمر مشكلات الحدود بين الدول وظلت هذه المشكلات قنابل موقوتة و- خميرات عكننة - ما زالت القارة تعاني منها مثل مشكلة الحدود بين إثيوبيا وارتيريا، وإثيوبيا والسودان، والسودان ومصر وغيرها من أقطار القارة الأمر الذي ترتب عليه عدم استقرار هذه البلدان[٣٢].

ترك المستعمر كذلك في أفريقيا أحزابا نشأت تحت مظلته وتشبعت بآرائه وتجاربه ومبادئه مما اوجد صراعًا بين هذه الأحزاب والأجيال الجديدة في أفريقيا.

ومما أوجده المستعمر في أفريقيا انه ترك إرثا قانونيا ربما لا يتفق مع طبيعة البلدان الأفريقية وثقافاتها الأمر الذي تسبب في خلافات ونزاعات بين مكونات هذه المجتمعات كما تسبب في خلافات بين النخب الأفريقية المختلفة.

ولعل أكبر ما شهدنه القارة بعد خروج المستعمر هو ظاهرة الانقلابات العسكرية وتدخل الجيش في الحياة السياسية وهي ظاهرة مستمرة حتى الآن في أفريقيا مما ترتب عليه عدم الاستقرار السياسي في كثير من بلدان أفريقيا.

هذه المشكلات جعلت الأجيال الشابة في أفريقيا والمتطلعة إلى التقدم والرفاهية والانعتاق تقارن بين واقعها المتخلف وما عليه بلدان العالم المتقدم فرأي كثير من الشباب ضرورة الثورة علي أوضاعهم وتغييرها فوقع بعضهم ضحايا لدعاة الإرهاب والفتنة[٣٢].

ب/ الأسباب الاقتصادية:

كما أشرت من قبل فان المستعمر قد استغل خيرات الشعوب الأفريقية لمصلحة بلدانه وحرم الإنسان الأفريقي من ابسط مقومات حياته الاقتصادية والخدمية وربط اقتصاد أفريقيا بالاقتصاد الأوربي حيث أصبحت موارد القارة خاما لصناعاته كما أصبحت القارة سوقا لمنتجاته وأصبح الإنسان الأفريقي هو الضائع رغم خيرات بلاده الوفيرة.

وبعد خروج الاستعمار جاء الوطنيون الموالون له فسخروا إمكانات بلادهم لصالح البلاد الأوربية وعاشوا وسطاء بين شعوبهم والمستعمر السابق وانفصلوا عن واقع شعوبهم.

أما الحكومات الوطنية فقد شغلتها صراعاتها على السلطة عن إحداث تنمية اقتصادية وتحقيق الرفاهية المطلوبة فضعفت الخدمات وكثر الفساد المالي والاقتصادي ونهبت الموارد وظهرت طبقة همها جمع المال على حساب المواطن فظهر التفاوت الطبقي واستئثار فئات في المجتمع بالرفاهية وبخدمات التعليم والصحة وغيرها مما تسبب في كراهية مجتمعية دفعت

بعض شباب القارة للوقوع في أحضان الإرهاب من اجل تحقيق مبادئ العدل والمساواة وتحقيق الرفاهية(٣٣).

ج/ الأسباب الاجتماعية:

زرع المستعمر في مجتمعات أفريقيا الآمنة روح التمرد والكراهية وفرق بين هذه الجماعات المتآلفة حتى يحكم ويسود واوجد أسبابا للحروب الأهلية التي اندلعت في أجزاء كثيرة من القارة وللأسف لم ينتبه كثير من أبناء القارة لمؤامرات المستعمر وتخطيطه فلم يعملوا علي منع هذه الفتن في بداياتها فتركوها حتى قضت علي الإنسان والموارد واستشعروا خطرها لاحقا بعد أن اتسع الخرق علي الراتق فتعطلت التنمية وفقدت الأرواح وتشتت الأسر واضحي الشباب في أفريقيا لا يشعرون بالانتماء لقارتهم ولا لبلدانهم ولا لأسرهم ففقدوا الحواضن الاجتماعية التي كانت تحفظهم وتنشئهم وفقدوا بالتالي توازنهم الاجتماعي والنفسي فتلقفتهم الحركات الإرهابية فخضعوا لها وأصبحوا يقتلون أهليهم وإخوانهم ويخربون بلدانهم بأيديهم(٣٤).

د/ الأسباب الدينية:

لم تعرف أفريقيا الصراعات الدينية وذلك راجع إلي طبيعة الإنسان الأفريقي المسالمة وغير المتعصبة وكثيرا ما تجد في الأسرة الواحدة عددا من الأديان متعايشة ولم يعرف الأفارقة التعصب الديني إلا بعد أن حاول المستعمر فرض عقائده وثقافاته علي السكان ومع ذلك حافظ الأفارقة علي نسيجهم الاجتماعي رغم فرض التعليم الكنسي ورغم التحريض ولكن في الآونة الأخيرة ظهرت جماعات متعصبة حاولت استمالة بعض الشباب الأفريقي وفرض أيدلوجيتهم المتعصبة علي السكان كما حاولت بعض المجموعات السلفية نشر أفكارهم في مجتمعات يميل كثير من السكان فيها إلي التصوف الأمر الذي يهدد النسيج الاجتماعي في هذه المجتمعات.

وبعد انتصار الثورة الإيرانية حاولت بعض المجموعات نشر التشيع في أفريقيا السنية وذلك بنشر عقائدهم وحسينياتهم في عدد من الدول.

كل هذا الحراك في البيئة الأفريقية افرز واقعا جديدا هيا للإرهاب الفرصة للظهور والانتشار في أوساط الشباب الأفريقي [٣٥].

هـ/ الأسباب الطبيعية:

تعتبر جغرافيا القارة الأفريقية بوديانها وجبالها وغاباتها بيئة مساعدة للحركات الانفصالية والإرهابية حيث أن هذه الحركات استفادت من هذه البيئة في التدريب والتحرك والتخفي ومثال ذلك فقد استفادت الحركة الشعبية لتحرير السودان من طبيعة جنوب السودان في التخفي والتحرك والتدريب فقد استفادت من الغابات الكثيفة ومن الجبال كما استفادت من موسم الأمطار والتي يصعب جدا علي الجيش النظامي التحرك أثناءها

نفس هذه البيئة ساعدت الجماعات الإرهابية بمختلف أنواعها أن تنمو وان تكبر وان تتحرك بسهولة معتمدة في ذلك علي حرب العصابات.

كل هذه الأسباب ساندت وساعدت الجماعات الإرهابية المختلفة أن تجد لها في أفريقيا موطئا رغم طبيعة الإنسان الأفريقي المسالمة [٣٦].

المحور الثالث: الحركات الإرهابية في أفريقيا

منذ منتصف سبعينات القرن الماضي ظهرت في مصر تيارات جهادية كجماعة المسلمين المعروفة إعلاميا بجماعة التكفير والهجرة والتي تعدت على الأرواح والممتلكات وأعقبها جماعات أخري كالجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد وقد قامت هي الأخرى باعتداءات على الأنفس والممتلكات واستهدفت قطاع الساحة في مصر مما انعكس سلبا على التنمية الاقتصادية في البلاد. ولكن بعد مجهودات كبيرة أمنية وفكرية تمت مراجعة بعض هذه الجماعات لمواقفها وأصدرت مجموعة من الكتب والمنشورات التي تحدثت فيها عن هذه المراجعات [٣٧].

ونفس الأمر الذي جدث في مصر حدث في الجزائر في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي مما عقد الأحوال الاقتصادية والأمنية في هذا البلد.

ثم عرفت قارة أفريقيا من بعد ذلك جملة من الحركات الإرهابية يمكن أن نشير إلى بعضها كما يلي:

أ/ تنظيم القاعدة:

أسس أسامة بن لادن تنظيم القاعدة في شهر أغسطس من العام١٩٨٨م في أفغانستان ن وقد استفاد من مجموعة المقاتلين العرب الذين ذهبوا لأفغانستان لمحاربة الاحتلال الروسي. وبعد تكوين تنظيم القاعدة أصبح لهذا التنظيم قيادة فكرية تشرعن له العمليات التي يقوم بها وتبين الخطوط الفكرية لهذه الجماعة في مختلف القضايا والمواقف. وقيادة عسكرية تخطط لهذه العمليات والهجمات. واتسع نطاق عمليات التنظيم ليشمل مناطق مختلفة من العالم بما فيها الدول العربية والإسلامية.

والناظر إلى عمليات تنظيم القاعدة بين العام١٩٨٨م والعام٢٠٠٨م يجد أن أفريقيا قد أخذت حيزا واسعا من هذه العمليات إضافة إلى سعي التنظيم إلى إنشاء فروع له في مناطق مختلفة من القارة. وفي ظني أن التنظيم قد استهدف أفريقيا لطبيعتها التي تسمح بالحركة وبالتخفي ولطبيعة إنسانها المسالم ولضعف الاحترازات الأمنية في كثير من دولها.

ويمكن أن نشير إلى بعض عمليات التنظيم في أفريقيا كما يلي:

١/ في أكتوبر من العام ١٩٩٣م قام التنظيم في الصومال بإسقاط طائرتين هيلكوبتر أمريكيتين الأمر الذي تسبب في مقتل ثمانية عشر جنديا أمريكيا.

٢/ في أغسطس من العام١٩٩٨م قام التنظيم بتفجير سفارتي أمريكا في كينيا وتنزانيا بسيارتين ملغومتين ومقتل أكثر من٢٢٢ شخصا معظمهم من الأفارقة.

٣/ في ابريل من العام ٢٠٠٢م فجر تنظيم القاعدة في جربه في تونس كنيسا يهوديا بشاحنة غاز طبيعي مما تسبب في مقتل عدد من السياح منهم ١٤ سائحا ألمانيا وسائحا فرنسيا وستة تونسيين إضافة إلى أكثر من ثلاثين جريحا.

٤/ في نوفمبر من العام ٢٠٠٢م قام التنظيم في ممبسا بكينيا بالهجوم علي فندق برادايز وهو

فندق يملكه يهودي وينزل به الكثير من الإسرائيليين والأوربيين وقد استخدم التنظيم في الهجوم علي الفندق سيارة مفخخة وأسفر الهجوم عن مقتل ستة عشر شخصا.

٥/ قام التنظيم في مايو٢٠٠٣م بسلسلة من التفجيرات في الدار البيضاء بالمغرب استهدف فيها مطعما اسبانيا وفندقا ومركزا يهوديين كما استهدف قنصلية بلجيكا وتسببت هذه التفجيرات في مقتل ٣٣ شخصا.

٦/ في العام ٢٠٠٧م وفي شهر ابريل قام تنظيم القاعدة بتفجير قنبلتين في الجزائر العاصمة واجدة في مخفر شرطة والثانية في مكتب رئيس الوزراء وأدت هذه التفجيرات لمقتل أكثر من ثلاثين شخصا.

وما تزال عمليات التنظيم الإرهابية مستمرة في أفريقيا في سيناء وفي ليبيا وفي الصومال وفي مالي وفي مناطق متعددة من القارة وتسببت عملياته في فقدان الكثير من الأرواح وضياع الممتلكات وانفراط حبل الأمن وتعطيل عجلة التنمية [٣٨].

ب/ بوكو حرام:

ظهرت هذه المجموعة في نيجريا وخاصة في شمالها وشرقها وقد تأثرت في بداياتها بحركة طالبان الأفغانية من حيث نظرتها إلى الحضارة والثقافة الغربية والتعليم الغربي. اذ تري هذه المجموعة أن المسلمين في نيجريا هم الأكثر ويشكلون أكثر من ٨٥ مليونا من مجموع السكان البالغ١٥٠ مليونا. ولكن هذا العدد الكبير من المسلمين لا يجد نصيبه في الحكم والخدمات بسبب نظام التعليم الذي تركه المستعمر ولذلك حرم هؤلاء الشباب التعليم الغربي علي أنفسهم وعلي الناس ونظموا أنفسهم منذ العام٢٠٠٢م في جماعة تتبني العنف وسيلة للتغيير ودخلوا في صراع مع الدولة انتهي بمقتل مؤسس الجماعة محمد يوسف دون محاكمة في احد مخافر الشرطة الأمر الذي وسع عمليات هذه الجماعة وأصبحت مهددة للأمن العام خاصة بعد العام٢٠٠٩م تاريخ مقتل زعيمها.وقد نتج عن أعمالها الكثير من القتل والخطف ففي العام ٢٠١٤م قاموا بخطف اكثرمن٢٧٦ فتاة من مدرستهن.

هذه الجماعة بايعت تنظيم القاعدة في العام٢٠٠٩م ثم بايعت من بعد ذلك تنظيم الدولة

الإسلامية – داعش– وأصبحت تسمي نفسها جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد [٣٩].

ج/ حركة الشباب الصومالي:

ظهرت هذه الحركة كجناح عسكري لحركة المحاكم الشرعية في العام ٢٠٠٤م واستمرت حتى العام٢٠٠٧م حيث اتهمت حركة المحاكم الشرعية بخضوعها للعلمانيين والمسيحيين ومن ثم خرجت عليها وسيطرت على بعض المقاطعات في الصومال وزاد عدد مقاتليها حتى عده البعض بأكثر من سبعة ألف مقاتل يتلقون تدريباتهم في ارتريا وأفغانستان.

بايعت الحركة تنظيم القاعدة وقامت بالكثير من الهجمات علي الجيش الحكومي وعلى رجال الشرطة وعلى الفنادق والمؤسسات وغيرها

تسببت هجمات حركة الشباب في حصد الكثير من الأرواح إضافة إلى إضعاف الحكومة المركزية في الصومال وتعطيل مشروعات التنمية وتهديد الأمن.

هناك خلاف بين قادة هذا التنظيم حول مبايعتهم لتنظيم الدولة الإسلامية.

صنفت وزارة الخارجية الأمريكية منذ العام ٢٠٠٨محركة الشباب بأنها حركة إرهابية متطرفة تنتمي لتنظيم القاعدة [٣٩].

د/ الحركات الإرهابية في ليبيا:

أدت الأوضاع الأمنية المتدهورة في ليبيا إلي ظهور عدد من الجماعات الإرهابية مثل:

١- أنصار الشريعة: تأسس هذا التنظيم علي يد الشيخ محمد الزاوي وهو من سجناء سجن أبو سليم الشهير في العاصمة طرابلس وأول ظهور لهذا التنظيم كان في أواخر عام٢٠١١م أو بدايات عام ٢٠١٢م وأول ظهور التنظيم كان في الملتقي الأول لأنصار الشريعة في بنغازي في صيف ٢٠١٢م ومن بعدها قام التنظيم بعدد من العمليات الإرهابية

٢- تنظيم الدولة في ليبيا: تأسس في العام٢٠١٢م حيث أعلنت مجموعة من الليبيين

المقاتلين في سوريا إنشاء مليشيا مسلحة باسم لواء البتار وقدموا البيعة لتنظيم الدولة الإسلامية بالعراق والشام وقاتلوا بجانبه في العراق وسوريا

بعد عودتهم إلى ليبيا شكلوا فصيلا جديدا أسموه مجلس شورى شباب الإسلام في مدينة درنة واستقطبوا جماعات من المقاتلين المحليين من بينهم بعض أعضاء تنظيم أنصار الشريعة ثم أعلنوا الحرب على الأفراد والجماعات ممن يخالفهم الرأي

وفي ١٣ نوفمبر٢٠١٤م أصدر البغدادي تسجيلا صوتيا قبل فيه بيعة المقاتلين الليبيين وقسم ليبيا إلى ثلاث ولايات هي برقة في الشرق وفزان في الجنوب وطرابلس في الغرب.

وسيطر هذا التنظيم على مدينة سرت وما حولها كما سيطروا على بعض الإطراف وهددوا مناطق إنتاج النفط في ليبيا كما قتلوا الكثير من الأجانب العاملين في ليبيا [٤٠].

أما في تونس المجاورة فقد قام تنظيم الدولة بعدد من الأعمال الإرهابية منها تفجير متحف باردو بوسط تونس العاصمة وذلك في يوم ١٨ / ٣/ ٢٠١٥م ونتج عن هذا الهجوم مقتل سبع عشر سائحا من جنسيات مختلفة. وفي يونيو من نفس العام فجر التنظيم منتجعا سياحيا بفندق امبريال بمدينة سوسة الساحلية [٤١].

هـ/ جيش الرب في يوغندا:

هذا نموذج لإرهاب آخر قوامه مجموعة مسيحية حيث ظهرت هذه المجموعة في العام ١٩٨٦م وهو نفس العام الذي تولي فيه يوري موسفيني رئاسة الدولة في يوغندا.

أسست هذه المجموعة امرأة من الاشولي ادعت أن الروح المقدسة خاطبتها وإمرتها بإسقاط الحكومة ومن ثم شرعت هذه المرأة واسمها لاكوينا في إعداد هذا الجيش المتمرد وأطلقت عليه حركة الروح ولكن الجيش اليوغندي شتت هذه الحركة أثناء تقدمها نحو العاصمة كمبالا.

في العام١٩٨٧م ادعي ابن أختها جوزيف كوني انه نبي للاشولي وتولي قيادة الحركة التي أطلق عليها اسم جيش الرب للمقاومة وأصدر أوامره لجنوده بمهاجمة الفري وقتل أهلها او اختطافهم واستعبادهم واغتصاب نسائهم وذلك بقصد إرضاء الرب حسب ادعائه.

ونظرا لبشاعة جرائمه أصدرت المحكمة الجنائية الدولية عام ٢٠٠٥م امرأ باعتقاله متهمة إياه بارتكاب جرائم ضد الإنسانية من بينها قتل عشرة ألف شخص وخطف أكثر من خمسة وسبعين ألف طفل وتشريد نحو مائتي ألف يوغندي وممارسة الرق ضد سباياه من البنات واستغلالهن جنسيا والإبادة الجماعية للمدنيين والنهب والسلب وبتر أيدي الأسري وسمل عيونهم وتقطيع أذانهم.

اجتهد موسفيني وجون قرنق في القضاء على حركة جيش الرب وذلك من خلال مجموعة من العمليات العسكرية المشتركة وبالرغم من ضراوة هذه العمليات وتأثيرها لم يتم القضاء نهائيا على جيش الرب كما لم يتم القبض على جوزيف كوني الذي استطاع أن ينقل قواته من الحدود اليوغندية السودانية إلي داخل أراضي الكونغو وأفريقيا الوسطي[٤٢].

و/ الجماعات الإرهابية في مالي:

ظهرت هذه الجماعات المتطرفة في شمال مالي بعد الحروب التي شنها الطوارق المسلحون على القوات الحكومية وقد ظهرت جماعة أنصار الدين وجماعة التوحيد والجهاد وأعلنت مبايعتها لتنظيم الدولة وسيرها على طريقته ونهجه واتجهوا لهدم الأضرحة التاريخية في مدينة تمبكتو مثلما تفعل حركة طالبان وتنظيم الدولة.

دخلت هذه الجماعات في عمليات عسكرية مع القوات المسلحة المالية وكسبت منهم بعض الأسلحة والأراضي كما قاموا بعمليات إرهابية مثل اقتحامهم لفندق اديسون بلو بالعاصمة باماكو مما أسفر عن مقتل أكثر من اثنين وعشرين شخصا.

يذكر أن مؤسس حركة أنصار الدين هو إياد اغ غالي وهو من أبناء اسر القيادات القبلية التقليدية وهو عسكري سابق ومن قيادات تمرد قبائل الطوارق في تسعينات القرن الماضي بشمال مالي.

أما حركة التوحيد والجهاد فيقودها محمد نويمر ومعظم عناصرها من العرب وتتمركز سيطرتها في مدينة قاو الواقعة على نهر النيجر في شمال شرق مالي.

أما كتيبة أنصار الشريعة فقد أسسها عمار ولد حماها بعد خروجه من جماعة التوحيد والجهاد وقد عرف هذا الرجل بمقدراته الفائقة وبإتقانه للغة الفرنسية ويسميه بعض أنصاره بالرجل ذي اللحية الحمراء او برجل الكاريزما القوية[٤٣].

ز/ بعض الجماعات الإرهابية الأخرى في أفريقيا:

١-جيش الهوتو الذي نفذ المذابح المشهورة ضد التوتسي في رواندا في العام١٩٩٤م والتي راح ضحيتها أكثر من ثمانمائة ألف حسب تقديرات الأمم المتحدة وهذه تصفيات عرقية تم القتل فيها وفقا للهوية

٢-الجبهة المتحدة الثورية في سيراليون وهي جماعة مسلحة تسعي للسيطرة علي مناطق إنتاج الماس وأدخلت هذه الجبهة البلاد في حرب أهلية استمرت لأكثر من احد عشر عاما وأودت بحياة أكثر من خمسين ألف إنسان وهددت الأمن وعطلت التنمية والتقدم في سيراليون وليبريا وغينيا.

٣-جماعة الانتي بوكا في أفريقيا الوسطي وهي حركة مسيحية قامت بمساعدة القوات الفرنسية الموجودة على أراضي أفريقيا الوسطي بأكبر مذبحة ومحرقة للمسلمين يشهدها التاريخ الحديث.

فقد كون المسلمون هناك ونتيجة للظلم والإقصاء الممارس ضدهم منظمة عرفت باسم سيليكا حملت السلاح وناضلت لاكتساب حقوقها واستطاعت الوصول للسلطة في مارس ٢٠١٣م ولكن ردة فعل المسيحيين في افريقيا الوسطي على وصول المسلمين للحكم كانت كبيرة حيث استعانوا بالقوات الفرنسية وابدوا المسلمين وحرقوهم علي مشهد ومسمع من المجتمع الدولي.٤٤

هذه بعض النماذج للحركات الإرهابية في أفريقيا قصدنا أن نشير إليها دون حصر ولم نتطرق بصورة تفصيلية للحركات الإرهابية بمصر كما لم نتطرق كذلك للحركات الانفصالية كحركة تحرير السودان ودورها الإرهابي وربما نشير إلى ذلك في المحور القادم

المحور الرابع: أثر الإرهاب في تعطيل التنمية في أفريقيا:

أشرت فيما مضي إلى دور المستعمر وسياساته السالبة علي أفريقيا ودور هذه السياسات في تأجيج الصراعات في القارة بعد رحيله وذلك بسبب مشكلات الحدود والصراعات الاثنية والتنمية غير المتوازنة والتي عمل المستعمر علي إحداثها لتكون قنابل موقوتة تمكنه من البقاء في البلدان الأفريقية واستنزاف ثرواتها.

ولعل اكبر ما عانت منه أفريقيا هو الصراع المسلح الذي شهدنه الكثير من مناطق القارة الأفريقية وتسبب في تأخير تنمية البلدان الأفريقية لفترات طويلة ثم ازداد الخرق اتساعا بظهور حركات إرهابية في مناطق كثيرة من أفريقيا.

شهدت القارة ظهور الكثير من الحركات المتمردة في أفريقيا كما في جنوب السودان والكنغو وانغولا وإثيوبيا والصومال وغيرها وقد تسببت هذه الحروب في إحداث آثار سالبة وواسعة على مستوي التنمية البشرية والاقتصادية والسياسية(٤٥).

فإذا أخذنا السودان مثالا فان الحرب الأهلية نشبت فيه حتى قبل خروج المستعمر إذ أنها بدأت في العام١٩٥٥م بمدينة توريت واستمرت لأكثر من ستين عاما تخللنها فترات هدؤ محدودة مارست فيها حركة التمرد كل أساليب الإرهاب حيث اعتدت علي الطائرات المدنية وأسقطتها وجندت الأطفال واعتدت علي الآمنين واغتصبت النساء ودمرت الممتلكات العامة والخاصة وهجرت السكان حتى هاجر أكثر من ٦٠٪من شعب الجنوب إلي الشمال والي دول الجوار الأفريقي بعد أن فقدوا مساكنهم ومصادر رزقهم واستقرارهم النفسي والاجتماعي وقد أشار احد الباحثين إلي تدمير البنيات التحية بقوله:ومن يتجول في الجنوب الآن يري صدق هذا الأمر فالتدمير قد انتظم كل المدارس وكل المستشفيات والمتاجر والمنشئات والمصانع والمنازل والطرق ودمرت تقريبا كل الجسور التي أقيمت علي الأنهار والأودية خارج المدن الرئيسية.كان الشعار هو التدمير لا غير ويعجب المرء عندما يشاهد الماكينات الضخمة في قناة جونقلي واليات الحفر ومعدات مصنع سكر ملوط وأمثالها مدمرة تدميرا شاملا بل أن الماكينات التي لم يستطيعوا تدميرها صبوا في جوفها التراب والماء لتصدا

وتخرب من داخلها. ويأسي المرء عندما يشاهد مدائن مثل ملوط وبور وكبويتا وعشرات غيرها تحولت إلى أطلال وبقايا وأشباح. فقد دمر مستشفيي ملوط وأزيل من الوجود وأزيلت مدرسة الناصر واستخدم الطوب الناجي من تدميرها في رصف ممشى للجنود ودمرت كنيسة الرجاف وأصبحت مأوي للبوم والهوام. وهذه أمثلة قليلة للتدمير(٤٦).

لقد تم تدمير ما يربو عي سبعة عشر كبري علي الأنهار وتوقفت المواصلات في عشرين طريقا قوميا وأغرقت عدد من الصنادل النهرية وانتهي ما يربو عن اثنين وثلاثين مستشفي عن العمل وإلف مدرسة ابتدائية ومائة وخمسين متوسطة وخمسة وثلاثين ثانوية بالإضافة إلي كل المشاريع الزراعية والآلية والأنشطة السياحية والصناعية وأغلق المجري النهري بين جوبا والخرطوم بإغراق الجرارات في مياهه.وتوقف الطيران المدني بعد أن استهدف التمرد المدنيين الأبرياء فاسقط الطائرات المدنية الحاملة للركاب.ولا يزال السودانيون يذكرون حادث إسقاط طائرة الفوكر التابعة للخطوط الجوية السودانية وهي تقلع من مطار ملكال ١٩٨٦م وعلي متنها اسر جنوبية كانت تنوي السفر إلي الخرطوم فاستقرت أجسادهم في الأحراش.

عشرات الطرق الرئيسية والفرعية انسدت أمام المرور بفعل الألغام الأرضية وتعطل التواصل بين المدن وبين القرى بعضها ببعض وتوقفت مزارع إنتاج الشاي والقطن وتعطلت مصانع النسيج والزيوت وغيرها في كل الجنوب. وتقلصت الثروة الحيوانية الهائلة إلى اقل من ١٠٪ وعرفت كثير من العائلات الغنية بهذه الثروات معاني الفقر والحاجة والعوز. وهربت كل ثروتنا من الوحوش والحيوانات البرية النادرة مثل الجاموس والزراف والفيل والأسد والغزلان وتركت ديارنا إلى دول الجوار تلتمس الأمن والسلام الذي فقدته في موطن مولدها وديار أسلافها.

وتعطلت خدمات الدواء للإنسان والحيوان بإغلاق الطرق وزحف المرض والموت على الإنسان والحيوان. وضاعت فرص التعليم علي الطلاب فقد دمرت المدارس وأغلق المتبقي منها وتشردت آلاف الأسر ولم تجد في محنتها فرصا لتعليم أبنائها إلا في بعض المدن الرئيسية وفات قطار التعليم شبابا هم اليوم في سن الجامعات او خريجيها ومن العجيب أن يكون الأب متعلما وخريجا ويكون الأبناء أميين (٤٧).

علي الرغم من أن السودان كان في طليعة الدول الأفريقية التي نالت استقلالها إلا أن تفجر الحرب الأهلية فيه عطل تنميته الاقتصادية والبشرية والسياسية وتسببت الحرب في إهدار الموارد الاقتصادية وتعطيل مشروعات التنمية.

أن اثر الإرهاب علي التنمية واضح جدا في كثير من الدول التي ضربها الإرهاب ويمكن هنا أن نشير إلي تعطل مشروعات تنموية في سيناء في مصر وفي الجزائر وتأخر إنتاج النفط الليبي وكذلك تعطل مشروعات التنمية في الكنغو وفي يوغندا وفي مالي ونيجريا لان انعدام المن والسلامة تتعطل بسببه المشروعات الكبرى مثل مشروع قناة جونقلي وإنتاج النفط في جنوب السودان لان الخبراء لا يعملون إلا في أجواء آمنة ولذلك امتن الله سبحانه علي أهل مكة بنعمة الأمن والطعام كما في قوله تعالي{الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف}[٤٨].

الخاتمة:

من خلال العرض السابق تحدثت في المحور المفاهيمي عن الإرهاب كمصطلح ومن خلال اللغة والاصطلاح خلصت إلى أن الإرهاب ليس له تعريف منضبط ولا تكييف قانوني واضح وليس له وطن ولا دين ولا جنس ولذلك ما ينبغي أن يلصق بدين معين ولا وطن معين او شعب معين وحيثما كان الاعتداء على أرواح الآمنين وممتلكاتهم يكون الإرهاب. وتعريف الإرهاب غير المنضبط وغير المدد يستخدمه كل الناس فكل طرف يدمغ الطرف الأخر بالإرهاب.

ويشتبك مصطلح الإرهاب مع مصطلحات ومفاهيم أخري مثل الجهاد ومثل التحرر فالجهاد الذي شرع لرفع الظلم عن الإنسان وبسط الحرية يختلف عن الإرهاب كما أن مفهوم التحرر والانعتاق يختلف كذلك عن مفهوم الإرهاب ويعجب المرء للإعلام الإسرائيلي وهو يصف الفلسطينيين الساعين لنيل حريتهم بالإرهابيين

تطرق البحث كذلك لعلاقة الإرهاب بالتطرف والغلو وخلص إلى أن الغلو والتطرف تعتبر من أسباب الإرهاب.

في المحور الثاني تحدثت عن الأسباب التي أوجدت الإرهاب في أفريقيا وعددت منها الأسباب السياسية والأسباب الاقتصادية والأسباب الاجتماعية والأسباب الدينية والأسباب الطبيعية.

أما المحور الثالث تكلمت فيه عن الحركات الإرهابية في أفريقيا وعملياتها الإرهابية ودور هذه العمليات في تعطيل حركة التنمية في بلدانها.

وفي المحور الأخير تحدثت عن أثر الإرهاب ودوره في إعاقة التنمية في أفريقيا وضربت نموذجا لذلك بما فعلته حركة التمرد السودانية في جنوب السودان وما أحدثته من خراب ودمار في السودان بصفة عامة وبجنوب السودان بصفة خاصة. وهذا يوضح الأثر الخطير الذي تلعبه هذه الحركات في تخلف القارة وإنسانها.

ومعالجة الإرهاب في تقديري لا تكون فقط بالإجراءات الأمنية وحدها وإنما تكون بالحوار الفكري والاهتمام بالشباب وببسط الحريات وإحداث التنمية المتوازنة ونشر التعليم.

واقترح إفساح المجالات للمنظمات والمؤسسات الدعوية الوسطية كالأزهر الشريف ومنظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا ولجنة مسلمي أفريقيا وتمكينها من العمل في بلدان أفريقيا لنشر الإسلام الوسطي وذلك حتى لا يقع الشباب الأفريقي في أحضان الإرهاب ومنظماته.

هوامش البحث:

١-انظر الطاهر احمد الزاوي-ترتيب القاموس المحيط-دار عالم الكتب - الرياض- الطبعة الرابعة ص٣٩٨وانظر كذلك الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون - المعجم الوسيط - الطبعة الثانية ص٤٠٠

٢-سورة الأنفال الآية ٦٠

٣-انظر الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي- موقف الإسلام من الإرهاب-المؤتمر العالمي لمكافحة الإرهاب- رابطة العالم الإسلامي - الأمانة العامة ص ٧

٤-انظر الدكتور عمر احمد شاهين-من أسباب الإرهاب المشكلات الاجتماعية-مؤتمر مكافحة الإرهاب ص ٤

٥-انظر الدكتور سعيد جمعة ميانغا-الاسباب السياسية والاقتصادية-مؤتمر الإرهاب والتطرف الطائفي-وزارة الإرشاد والأوقاف بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي-الخرطوم ابريل ٢٠١٦م ص٣

٦-سورة القصص الآية ٧٧

٧-انظر الدكتور عبدا لله بن عبد المحسن-مرجع سابق ص٨

٨-انظر المرجع السابق والصفحة نفسها

٩-انظر عباس الجزري-لا تطرف ولا إرهاب في الإسلام-مكتبة المعارف للطباعة والنشر-المملكة المغربية-الطبعة الأولي ٢٠٠٤مص١٣

١٠-انظر عبد الوهاب الكيالي وآخرين-الموسوعة السياسية- المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت-الطبعة الأولي ص٩٨وانظر كذلك ا.د كمال محمد عبيد-نحو آليات جديدة لمكافحة الإرهاب والتطرف-مؤتمر الإرهاب والتطرف الطائفي-ص٣

١١-انظر المرجع السابق ص٤

١٢-انظر ترتيب القاموس المحيط-مرجع سابق ج٣ ص٦٩

١٣-سورة هود الآية ١١٤

١٤-انظر المعجم الوسيط-مرجع سابق ص٥٨٢

١٥-انظر ابن كثير-تفسير القران العظيم - دار المعرفة-بيروت ج ص٤٧٨

١٦-انظر الدكتور طيبي غماري-التطرف الغربي ودوره في نشأة التطرفات الاخري - مؤتمر مكافحة الإرهاب-ص٧

١٧-انظر الدكتور سويد جمعة-مرجع سابق ص٤

١٨-انظر أ.د كمال محمد عبيد-مرجع سابق ص١

١٩-سورة النساء الاية١٧١

٢٠-أخرجه البخاري

٢١-انظر الدكتور سويد جمعة-مرجع سابق ص٤

٢٢-انظر المرجع السابق ص٥

٢٣-سورة الحج الاية٧٩

٢٤-سورة الممتحنة الاية٨-٩

٢٥-انظر الدكتور سعيد جمعة-مرجع سابق ص٤

٢٦انظر سنن أبي داؤد حديث رقم ١٦٢٦

٢٧-انظر الدكتور سويد جمعة-مرجع سابق ص٤

٢٨-انظر محمد سليم العوا-المدارس الإسلامية من الخوارج إلي الإخوان المسلمين-الشبكة العربية للأبحاث والنشر-بيروت-الطبعة الأولي ٢٠١٦ ص٩٧ وما بعدها

٢٩-انظر الدكتور شوقي عطا الله الجمل-الأزهر ودوره السياسي والحضاري في أفريقيا-الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٨م ص١٢٩ وما بعدها وانظر كذلك الدكتور جمال زكريا قاسم-الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية-دار الفكر العربي ١٩٦٩م ص٢٥٤ومابعدها

٣٠-انظر الدكتور عبد الحميد محمد احمد-علاقة السودان بالحركات التحررية في أفريقيا ١٩٤٥-١٩٧٥م هيئة الأعمال الفكرية - بدون تاريخ ص٢٨٣ وما بعدها

٣١-انظر الدكتور بهاء الدين مكاوي-الصراعات الاثنية في القارة الأفريقية—مركز دراسات الشرق الأوسط وأفريقيا-يناير ٢٠٠٣م ص٧

٣٢-انظر المرجع السابق ص١٠

٣٣-انظر المرجع السابق ص١٤

٣٤- انظر الدكتور سويد جمعة - مرجع سابق ص٦

٣٥-انظر أ.د كمال عبيد-مرجع سابق ص٩

٣٦-انظر المرجع السابق ص٨

٣٧-انظر محمد سليم العوا-مرجع سابق ص٧٩

٣٨-انظر جين ساسون-انه بن لادن -شركة المطبوعات للنشر والتوزيع - بيروت لبنان-الطبعة الثانية ٢٠١١م ص٤٧٥ وما بعدها

٣٩-انظر أ.د كمال محمد عبيد - مرجع سابق ص١٠-١١

٤٠انظر المرجع السابق ص ١٢

٤١-انظر المرجع السابق ص١٣

٤٢-انظر الدكتور سويد جمعة-مرجع سابق ص ٧

٤٣-انظر أ.د كمال محمد عبيد-مرجع سابق ص١٥

٤٤-انظر الدكتور سويد جمعة - مرجع سابق ص٧-٨

٤٥- انظر الدكتور بهاء الدين مكاوي-مرجع سابق ص ٨

٤٦- الدكتور احمد إبراهيم الطاهر-مساجلات الحرب والسلام في السودان-المركز القومي للإنتاج الإعلامي الخرطوم-الطبعة الاولي١٩٩٨م ص ٤٢

٤٧-انظر المرجع السابق ص٤٤

٤٨-سورة قريش الآية ٥

الحركات الإسلامية في الجزائر المعاصرة

بقلم: د. إبراهيم محمد آدم

المستشار السوداني بالقاهرة

مقدمة:

تشكل الجزائر مع تونس والمغرب وموريتانيا ما يطلق عليه المغرب العربي، وقد تعرضت المنطقة عبر تاريخها الطويل إلى عديد من أنواع الاستعمار والغزو، من قبل الفينيقيين والرومان. ومن بعد ذلك جاء الفتح الإسلامي عام ٦٤٧م، حيث شهدت المنطقة قيام عديد من السلطنات والدول الإسلامية مثل الدولة الفاطمية، ودولة المرابطين ١٠٥٦- ١١٤٧م، ثم دولة الموحدين ١١٣٨- ١٢٦٩م. كما تعرضت المنطقة لتأثيرات الشيعة والخوارج والمعتزلة بعد الخلاف بين سيدنا علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان [١].

خضعت المنطقة بعد ذلك للفتح العثماني بعد العام ١٥١٦م بعد معركة دابق مع مصر بينما الدولة المغربية لم تخضع أصلا للعثمانيين، وبعدها تعرضت جميع دولها للغزو الفرنسي الذي دخل الجزائر ١٨٣٠م، وتونس ١٨٨١م، ثم المملكة المغربية ١٩١٢م.

كان الاستعمار الفرنسي للجزائر استيطانيا سعى لإدماج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي بالكامل واعتبرت البلاد جزءًا من فرنسا حيث أعلن الدستور الفرنسي لعام ١٨٤٨م أن ولايات الجزائر الثلاث ولايات فرنسية[٢]. كما أصدرت فرنسا في عام ١٨٨١م قانون التبعية الأهلية الذي منح الإداريين الفرنسيين صلاحيات واسعة لفرض سيطرتهم على الشعب الجزائري ومواصلة سياسة الإدماج من خلال محاربة المؤسسات الإسلامية كالقضاء الشرعي والتعليم الديني مع خلق طبقة إسلامية رسمية مدعومة من السلطة الغازية للإشراف على العبادة في المساجد. لم يقف الجزائريون مكتوفي الأيدي حيال ما جرى بهم وببلادهم ولكنهم انخرطوا في حركة مقاومة شرسة انطلقت منذ عام ١٨٨١م بصورة مقاومات متقطعة ومتجددة حتى بلغت قمتها باندلاع الثورة

الجزائرية المسلحة عام ١٩٥٤م والتي امتدت لسبع أعوام ونصف وانتهت بخروج المستعمر الفرنسي عام ١٩٦٢م.

وقد أدّى البعد الإسلامي دورا أساسيا في إشعال الثورة الجزائرية وامتد تأثيره إلي ما بعد الاستقلال وتحاول هذه الدراسة -مستخدمة المنهج التاريخي والوصفي التحليلي- إلقاء المزيد من الضوء على دور الحركات الإسلامية في المحافظة على المجتمع الجزائري.

المد الإسلامي وبدايات المقاومة:

بدأت المقاومة الإسلامية بحركة الأمير عبد القادر الجزائري خلال الفترة من ١٨٣٠م-١٨٤٧م حيث تعتبر تلك الثورة أول حركة مقاومة مسلحة ضد الوجود الفرنسي وفتحت الطريق لحركات مقاومة أخرى أعقبتها مع بداية القرن العشرين حركات مقاومة سياسية مهدت الطريق للثورة الجزائرية الشاملة ضد الاستعمار الفرنسي.

تأثرت الجزائر بالدعوة السلفية الإصلاحية حيث أسس الشيخ عبد الحميد بن باديس عام ١٩٢٤م في قسطنطينة أول مدرسة إصلاحية في الجزائر شاركت في الحركة الوطنية السياسية والثورة الجزائرية وقد وقف العلماء المسلمون الجزائريون إلى جانب الخلافة الإسلامية في تركيا حين تكالبت عليها الدول الاستعمارية ورفض الجزائريون المشاركة في عمليات التجنيد الإجبارية لمحاربة البلاد الإسلامية وخرجت أعداد كبيرة نحو المشرق العربي فرارا بدينهم.

ظهرت آثار الحركة السلفية في الميدان السياسي بعد الحرب العالمية الأولى مع حركة الأمير خالد الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر الجزائري، وكان ضابطا في الجيش الفرنسي وبعد الحرب كون وفدا وطالب الحكومة الفرنسية بتطبيق مبادئ «ودرو ويلسون «على الجزائر وإعطاء أبنائها حق تقرير المصير، وكانت تلك بداية الكفاح الوطني من خلال تكوين هيئة سميت «وحدة النواب المسلمين « وأنشأ لها جريدة سماها الإقدام، طالب فيها بضرورة إصلاح الأحوال في الجزائر على أساس مبدأ المساواة بين الفرنسيين والجزائريين وإلغاء القوانين الاستثنائية والسماح للجزائريين بدخول مجلس النواب الفرنسي، وأعقب ذلك ظهور هيئات وجمعيات سياسية ذات اتجاهات مختلفة في ثلاثينيات القرن الماضي[٣].

من الجمعيات ذات الأهمية القصوى أيضا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي نشأت في عام١٩٣١م لأغرض دينية في الأصل بهدف المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية للجزائر ضد مساعي طمس الهوية الاستعمارية التي تدخلت في شأن من شؤون الجزائر فخاضت في المسائل السياسية، كما حاول أعضاء الجمعية محاربة البدع التي تفشت في المجتمع الجزائري وتأثروا في ذلك بتعاليم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذ الشيخ محمد عبده، محمد رشيد رضا، وأنصار الإصلاح في العالم الإسلامي وعلى رأسهم شكسيب ارسلان. اعتمدت جمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس على الإسلام لتجديد الجزائر والوصول بها تدريجيا إلي الاستقلال عن طريق الإعداد للأمة الجزائرية بوسائل الإعلام والتربية والتعليم، ولهذا رفضت الجمعية التفاهم مع الأحزاب السياسية الفرنسية أو المساومة على حقوق البلاد(٤).

ونتيجة لذلك قام الإسلام بدور مهم في الثورة الجزائرية التي اتسمت بالروح الجهادية حيث أطلق على الجندي المقاتل في جيش التحرير الوطني لقب مجاهد وكان الفرد مطالبا بسلوك إسلامي قويم على المستويين العام والخاص. ونتيجة لذلك جاء في إعلان طرابلس قبيل استقلال الجزائر ما يلي: (إن الثقافة الجزائرية ستكون ثقافة وطنية تقوم على اللغة العربية، وان الإسلام المبرأ من كل البدع والخرافات التي أضرت به ستتم ترجمته بالإضافة إلى كونه عقيدة دينية في إطار عاملين أساسيين هما الثقافة والشخصية)(٥).

التيار الإسلامي في مرحلة ما بعد الاستقلال

بعد أن حصلت الجزائر على استقلالها يوم ٥ يوليو ١٩٦٢ ظهرت خلافات حول شكل الدولة وطبيعتها، وزُجَّ بخيرة أبنائها (المعارضين للتوجهات الاشتراكية في غياهب السجون، وتعرض بعضهم للنفي أو للتصفيات الغامضة في إطار تصفية جيوب الثورة)(٦).

بادرت ثلة من رجالات الجزائر بالسعي إلى تأمين الاستقلال من أن تهتز أركانه أو تسرق الثورة في مهدها. ظهرت جمعيات خيرية تم حلها ومصادرتها والزّج ببعض رموزها في السجون، خاصة بعد أن وُضع رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحت الإقامة الجبرية. عندئذ بدأ التمهيد لفعل شيء ملموس، ولأن النظام لم يكن قد استقر بعد، جاء انقلاب يونيو ١٩٦٥م، المسمّى بالتصحيح الثوري، ليحول المسار جذريا نحو اليسار الاشتراكي.

وكانت البداية من الجامعة حيث قاد الشيخ محفوظ نحناح (رحمه الله) مع رفيقه الشيخ محمد بوسليماني (رحمه الله) تنظيما سرّيا أطلق عليه اسم «جماعة الموحدين» مع ثُلّة من الطلبة والأساتذة الذين كانوا يترددون على الحلقات الفكرية التي كان ينشطها الأستاذ مالك بن نبي (رحمه الله).

١٩٧١م: أقرّ النظام قوانين الاشتراكية، وظهرت الثورات الثلاث (الصناعية والثقافية والزراعية) ليصدم الشعب بتوجهات غريبة عنه كان من آثارها «تأميم» ممتلكات الشعب باسم الثورة، فظهرت حركات احتجاج وتمرد كان بعض رموزها ظاهرين وأكثرها عائما تحت سطح الأحداث بانتظار الوقت المناسب.

١٩٧٦: ظهرت بدايات الحديث عن «شيوعية الجزائر» باسم الاشتراكية وتم غزو الأرياف الجزائرية بالمبشرين بحزب الطليعة الاشتراكية وبجنة (كارل ماركس) والحديث بصوت مرتفع عن الإسلام الرجعي الذي يجب أن يستبدل بـ«الإسلام البروليتاري» وإسلام المستضعفين وظهرت «اشتراكية أبي ذر» و«برجوازية عثمان».

وسخّرت وسائل الإعلام المملوكة للدولة حينذاك، كل ما تملك لطلائع شباب الثورة وسائر التنظيمات التابعة للحزب الواحد والمعروفة باسم المنظمات الجماهيرية. هنا انتفضت «جماعة الموحدين» ووزّعت نشرة نارية بعنوان «إلى أين يا بومدين؟»، وفي خضم مناقشة الميثاق الوطني ظهر تدين الشعب وتمسكه بمبادئه وثوابته مما أغضب النظام ودفعه إلى التنكيل برموز المد الإسلامي ولو كانوا طلبة في الجامعات بطرق «بوليسية» لا تخفى على أحد ممن عاشوا لحظات الحزب الواحد والنظام الشمولي (التوليتاري).

تم توقيف الشيخ نحناح رحمه الله وجماعة الموحدين ممن كانوا معروفين بنشاطاتهم في الجامعات والأحياء الآهلة بالسكان وحكم عليهم بالسجن لسنوات تراوحت ما بين ٣ و ١٢ عاما نافذة.

١٩٧٨: مات الرئيس هواري بومدين ودخلت أجنحة النظام في صراع غير معلن تجاذب أطرافه رمزان كبيران مثلهما السيد محمد الصالح يحياوي (أمين عام الحزب الحاكم) والسيد عبد العزيز بوتفليقة (وزير الخارجية وأقرب المقربين من الرئيس الراحل)

وانتهى الصراع الخفي إلى اختيار بديل ثالث تمثل في شخص السيد الشاذلي بن جديد الذي تولى رئاسة الجمهورية لمدة ١٣ عاما.

١٩٨١: خرج الشيخ نحناح وجماعته من السجون وأتاح الرئيس بن جديد نوعا من الحريات أمام الجميع، وبدأ التراجع عن الاشتراكية، وظهرت نداءات التجديد والمحافظة داخل الحزب الحاكم، وتولّد عن ذلك ظهور أجنحة متصارعة هبّت عليها رياح الصحوة الإسلامية بعد سقوط شاه إيران وبداية التصدع العربي في الخليج وانكشاف عورات الأنظمة العربية أمام تبجح العدو الصهيوني.

١٩٨٢: صراع الجامعات واكتساح ممثلي الصحوة الإسلامية لكل منابر العمل الطلابي في كل جامعات القطر واكتشاف تواطؤ اليساريين مع أجهزة المخابرات السوفيتية قبل سقوط الاتحاد، والتآمر على الإسلام في الجزائر وتورط تنظيمات شيوعية وتروتسكية في «قلاقل» الجامعات، مما سهل مهمة ظهور تنظيمات سرية في كل المدن تقريبا، ونشطت حركة الدعوة والعمل الخيري وبناء المساجد، وأصبحت كل المؤشرات تدعو إلى التغيير.

١٩٨٨: انفجرت أحداث أكتوبر المأساوية التي جاءت بدستور ٢٣ فبراير ١٩٨٩، وقبلها كانت جماعة الموحدين قد بادرت بتشكيل جمعية خيرية سمتها «جمعية الإرشاد والإصلاح» وقد لعبت دورا بارزا في توجيه الأحداث والتكفل بالجانب الاجتماعي قبل ميلاد الأحزاب الجزائرية وتناسلها من تحت قبة المادة (٤٠) من الدستور الجديد [٧] على النحو الذي سيأتي تفصيله.

الجبهة الإسلامية للإنقاذ:

هذه الجبهة حركة إسلامية سلفية في جوهرها، تنادي بالعودة إلى الإسلام، باعتباره السبيل الوحيد للإصلاح والقادر على إنقاذ الجزائر مما تعانيه من أزمات اجتماعية، واقتصادية، واستعمار فكري وثقافي، والمؤهل للحفاظ على شخصية الشعب الجزائري المسلم بعد احتلال دام ١٣٢ سنة وترك انعكاسات حضارية عميقة لفّت البلاد كلها بظاهرة التغريب والفَرْنَسة، الأمر الذي حفز ثلة من العلماء آلمهم تردِّي الأحوال إلى التحرك لإثارة الضمير الجزائري والاتجاه إلى الإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي [٨].

التأسيس وأبرز الشخصيات:

* قبل إعلان تأسيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر في عام ١٩٨٩م كانت هناك أنشطة دعوية وأحداث وتجمعات إسلامية عُدَّتْ إرهاصات لقيام جبهة الإنقاذ:

* في نهاية السبعينات بدأ الظهور العلني لشباب الإسلام في الجامعات الجزائرية وغيرها وتقاسم العمل الإسلامي المنظم في مدة ما قبل ١٩٨٨م ثلاث جماعات وهي: جماعة الإخوان الدوليين بقيادة الشيخ محفوظ نحناح، وجماعة الإخوان المحليين بقيادة الشيخ عبد الله جاب الله، وجماعة الطلبة أو جماعة مسجد الجامعة المركزي أو أتباع مالك بن نبي بقيادة الدكتور محمد بوجلخة ثم الشيخ محمد السعيد.

* في ١٢ نوفمبر ١٩٨٢م اجتمعت مجموعة من العلماء منهم: الشيخ أحمد سحنون والشيخ عبد اللطيف سلطاني والدكتور عباسي مدني ووجهوا نداءً من ١٤ بندًا يطالب بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية ويشجب تعيين نساء وعناصر مشبوهة في القضاء، ويدعو إلى اعتماد توجه إسلامي للاقتصاد، ويرفض الاختلاط في المؤسسات، ويدين الفساد، ويطالب بإطلاق سراح المعتقلين ويندد بوجود عملاء أعداء للدين في أجهزة الدولة.

* ثم تم تأسيس (رابطة الدعوة) ١٩٨٩م برئاسة الشيخ أحمد سحنون وذلك لأنه أكبر الأعضاء سنًا حيث كان عمره ٨٣ عامًا وكانت الرابطة مظلة للتيارات الإسلامية كلها، ومن بين أعضاء رابطة الدعوة: محفوظ نحناح، وعباسي مدني، وعبد الله جاب الله، وعلي بلحاج، ومحمد السعيد.

ومن أبرز أهداف رابطة الدعوة ما يلي[٩]:

- إصلاح العقيدة.
- الدعوة إلى الأخلاق الإسلامية.
- تحسين الاقتصاد المنهار في الجزائر.
- النضال على مستوى الفكر.

* دارت حوارات عديدة في (رابطة الدعوة) كان من نتيجتها بروز تيارات متعددة أهمها:

- دعوة الشيخ الشاب علي بلحاج إلى تشكيل (الجبهة الإسلامية الموحدة) إلا أن الدكتور الشيخ عباسي مدني اقترح لها اسمًا آخر هو (الجبهة الإسلامية للإنقاذ)، معللاً هذه التسمية: بأن الجبهة تعني المجابهة، والاتساع لآراء متعددة، وهذه الجبهة (إسلامية) لأنه هو السبيل الوحيد للإصلاح والتغيير (وإنقاذ) مأخوذ من الآية {**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**} (سورة آل عمران، الآية: ١٠٣).

- بينما رفض الشيخ محمد السعيد تشكيل الجبهة ابتداء ثم التحق بها بعد الانتخابات البلدية.

- ورفض محفوظ نحناح أيضًا فكرة الجبهة (الحزب) في البداية.. ثم أسس حركة المجتمع الإسلامي كما أسس عبد الله جاب الله حركة النهضة الإسلامية.

* وتم الإعلان الرسمي عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ في مطلع عام ١٩٨٩م، وذلك بمبادرة من عدد من الدعاة المستقلين من بينهم الدكتور عباسي مدني الذي أصبح رئيسًا للجبهة ونائبه الشيخ علي بلحاج وفيما يلي استعراض لسيرة الزعيمين [١٠].

* الدكتور عباسي مدني:

ولد سنة ١٩٣١م في سيدي عقبة جنوب شرقي الجزائر، ودرس في المدارس الفرنسية في صغره إبان الاستعمار الفرنسي، ثم في مدارس جمعية العلماء، وتخرج من كلية التربية ثم انخرط في جهاد المستعمر الفرنسي، واعتقل وقضى في السجن سبعة أعوام حتى إعلان الاستقلال سنة ١٩٦٢.

تعود الأصول السياسية لعباسي مدني إلى ما قبل حرب التحرير الوطني ١٩٥٤- ١٩٦٢ حينما نشط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية بقيادة مصالي الحاج. اصطدم مبكرا بسبب أفكاره الدينية مع النهج الاشتراكي الذي اتبعه كل من الرئيسين أحمد بن بلا (١٩٦٢م - ١٩٦٥م) وهواري بومدين (١٩٦٥م - ١٩٧٨م) انضم إلى جمعية القيم التي تأسست سنة ١٩٦٣. وفي عام ١٩٦٦ تم منع هذه الجمعية وحلها لاحقا عام ١٩٧٠ وفي شهر نوفمبر وقع مدني مع آخرين نداء حررته الحركة الإسلامية ووجهته إلى السلطة القائمة آنذاك (الشاذلي بن جديد) فسجن إلى عام ١٩٨٤. يوصف كنتاج أصيل لجبهة التحرير الوطني حيث كان واحدا من قادتها المحليين المنتخبين إذ انتخب على رأس المجلس الشعبي بولاية الجزائر في بداية سنوات السبعينات. وهو ابن النظام

الذي أرسله في تلك الفترة إلى بريطانيا ١٩٧٥م ـ ١٩٧٨م لإعداد رسالة دكتوراه في علم التربية مستفيدا من منحة حكومية ثم عاد إلى الجزائر ليقوم بالتدريس في الجامعة.

* الشيخ علي بلحاج:

- ولد في تونس عام ١٩٥٦م أصله من ولاية ادرار، جنوب الجزائر، ثم استشهد والداه في الثورة ضد الاستعمار الفرنسي، لم يتحصل على شهادات علمية عليا في الجامعة على عكس مدني. درس العربية ودرَّسها، وشارك في الدعوة الإسلامية منذ السبعينات وسجن خمس سنوات ١٩٨٣م- ١٩٨٧م بتهمة الاشتراك وتأييد حركة مصطفى بويعلي الجهادية. تأثر بعلماء من الجزائر ومنهم عبد اللطيف سلطاني وأحمد سحنون وكذلك درس كتابات الشيخ حسن البنا وسيد قطب وعبد القادر عودة وغيرهم.

- انتمى إلى التيار السلفي، ولذلك لم يتحمس للثورة الإيرانية، وانتقد كتابات الخميني، واعتبر تشيع بعض الجزائريين خطرًا على الدعوة الإسلامية يجب التصدي له. انتخب نائبًا للرئيس في الجبهة الإسلامية للإنقاذ واعتقل بعد المظاهرات التي قامت في الجزائر سنة ١٩٨٨م. ثم أطلق سراحه ثم اعتقل مرة أخرى بعد الإضراب العام الذي دعت إليه الجبهة [١١].

تطلق عليه وسائل الأعلام الأجنبية لقب الرجل القوي وكان من مؤسسي الجبهة حيث شغل منصب عضو مجلس الشورى. دعا يوم ٢٥ يونيو ١٩٩١ الجزائريين إلى حمل السلاح ضد الدولة. فتم اعتقاله وسجنه من يوم ٣٠ من نفس الشهر إلى اليوم. يتميز بخطابه الشاعري الحماسي فأصبح من أكبر الخطباء القادرين على إلهاب العواطف وحشد التعبئة. يعود الفضل فى إشعاعه السياسي إلى قدراته الخطابية الفائقة التي اكتسبها منذ أن كان إماما في مسجد السنة بباب الواد ومسجد بن باديس في القبة. تفوق في إمكانية ربط المستمعين بخطبه وانبهارهم بها..

وصفه أحد الصحافيين بأنه روح الجبهة الإسلامية للإنقاذ.. أصبحت انتقاداته العنيفة ضد السلطة مسجلة في ذاكرة الجميع. وبينما هو يعيش في السجن، فان أشرطة الكاسيت التي سجلت له تنتقل بين آلاف الأشخاص مخفية في معاطفهم. تأثيره على شباب الأحياء الفقيرة لا حدود له وما زال ساري المفعول.

* خاضت الجبهة الانتخابات البلدية في عام ١٩٩٠م، وحققت فوزًا كبيرًا في ٨٥٦ بلدية، وبعد هذا الفوز بدأ الحزب الحاكم في الجزائر وهو - جبهة التحرير - يشعر بخطر الجبهة على وجوده في الحكم. وبدأت حكومة الجزائر تضع العراقيل في طريق تقدم الجبهة وأصدرت نظامًا جديدًا للانتخابات.

* على إثر ذلك قامت مظاهرات كبيرة تطالب بالإصلاح، انتهت بمصادمات دامية بعد أن قابلتها بإطلاق النار، واعتقل على إثرها عباسي مدني ونائبه بلحاج بتهمة التآمر على أمن الدولة.

* وعلى الرغم من اعتقال زعماء الجبهة، خاضت الجبهة الانتخابات التشريعية لاختيار مجلس الشعب في الجزائر في ٢٦/ ١٢/ ١٩٩١م، وحصلت على ١٨٨ مقعدًا من أصل ٢٢٨ في المرحلة الأولى، بينما لم يحصل الحزب الحاكم إلا على ١٦ مقعدًا فقط.

* عد فوز الجبهة في الانتخابات التشريعية خطرًا يهدد الغرب كله.

* بدأت المؤامرات تحاك في الخفاء ضد الجبهة من قبل القوى الصليبية، وبدأت وسائل الإعلام حملة تشويه مركزة على جبهة الإنقاذ.. والمستقبل الأسود الذي ينتظر الجزائر إن حكم رجال الجبهة.

* وكان أهم أهداف القوى المعادية للإسلام عدم إتمام المرحلة الثانية من الانتخابات.

* اعتقل الشيخ عبد القادر حشاني الرئيس المؤقت للجبهة في ١٨ رجب ١٤١٢هـ (٢٢/ ١/ ١٩٩٢م) بتهمة تحريض الجيش على التمرد.

* ثم بدأت اعتقالات عامة في الجبهة حيث تم اعتقال الآلاف، وهنا دخلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في محنة وصراع مع القوى المعادية للإسلام في الجزائر وخارجها.

* ومن رجال الجبهة أيضًا الذين برزوا خلال الأحداث:

- رابح كبير رئيس اللجنة السياسية بالمكتب التنفيذي المؤقت لجبهة الإنقاذ.
- الشيخ محمد السعيد وقد برز كخليفة لعباسي مدني حين اعتقاله وقد اعتقل أيضًا.
- الشيخ زبدة بن عزوز عضو مجلس الشورى.
- الشيخ يخلف شراطي وهو من خريجي جامعة أم القرى، (قتل في السجن).

الأفكار والمعتقدات:

تعد آراء جمعية العلماء في الجزائر منذ ابن باديس وحتى الإبراهيمي الجذور الفكرية لجبهة الإنقاذ من حيث الرجوع إلى الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح، وكذلك كتابات حسن البنا، وسيد قطب وغيرهما من القواعد الفكرية للنهضة الإسلامية التي تعتمدها الجبهة [١٢].

* تعتقد جبهة الإنقاذ أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، ويشمل جميع مجالات الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها... وتلتقي الجبهة مع حركة الإخوان المسلمين في بعض مبادئها.

* تؤكد الجبهة أن إطار حركتها ودعوتها هو الكتاب والسنة، في مجال العقيدة والتشريع والحكم. لذا فإن نموذج فكرها هو التيار السلفي في التاريخ الإسلامي.

* قدمت الجبهة مذكرة إلى رئيس الجزائر في ٧ آذار/ مارس ١٩٨٩م تتضمن مبادئها وبرنامجها السياسي والاجتماعي، وتحوي المذكرة ما يلي:

- ضرورة التزام رئيس الدولة بتطبيق الشريعة الإسلامية طالما أنه يحكم شعبًا مسلمًا.
- استقلال القضاء بغرض الحسبة.
- إصلاح النظام التعليمي.
- حماية كرامة المرأة الجزائرية وحقوقها في البيت ومراكز العمل.
- تحديد مجالات للإصلاح، ووضع جدول زمني لذلك.
- حل الجمعية الوطنية، والدعوة إلى انتخابات في غضون ثلاثة أشهر.
- تشكيل هيئة مستقلة لضمان نزاهة الانتخابات المحلية.
- إعادة الاعتبار لهيئة الرقابة المالية.
- إعادة النظر في سياسة الأمن.

- إلغاء الاحتكار الرسمي لوسائل الإعلام.

- وقف عنف الدولة ضد المطالب الشعبية.

- وضع حد لتضخم البطالة وهجرة الكفاءات وانتشار المخدرات.

- حماية المهاجرين الجزائريين وضمان التعليم الإسلامي لهم وتسهيل شروط عودتهم.

- التدخل لدى الصين والهند والاتحاد السوفيتي (سابقًا) وبلغاريا لوضع حد لاضطهاد المسلمين.

- وضع خطة لدعم الانتفاضة الفلسطينية ونجدة المجاهدين الأفغان.

* وتتضح أفكار الجبهة ومبادئها في النداء الذي وجهه بعض العلماء كالدكتور عباسي مدني قائد الجبهة، وهو ما أطلق عليه (نداء ١٢ نوفمبر ١٩٨٩م)، وكذلك من بيانات الجبهة الموجهة للحكومة وللشعب الجزائري، ما يمكن إيجازه فيما يلي:

- ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والتربوية وغيرها.

- توفير الحرية للشعب ورفع الظلم والاستبداد.

- اعتماد الاقتصاد الإسلامي ومنع التعامل بالحرام.

- إعمال الشريعة في شأن الأسرة ورفض الأسلوب الفرنسي الداعي إلى التحلل.

- المطالبة بالاستقلال الثقافي، والتنديد بتزوير مفهوم الثقافة.

- إدانة إفراغ التربية والثقافة من المضمون الإسلامي.

- شجب استخدام الإعلام من قبل الدولة في مواجهة الصحوة الإسلامية.

- معاقبة المعتدين على العقيدة وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

- النهوض بالشعب إلى النموذج الإسلامي القرآني السني.

- الإشعاع على العقول بأنور الهداية وإنعاش الضمائر بالغذاء الروحي الذي يزخر به القرآن والسنة، وشحذ الإرادة بالطاقة الإيمانية الفعّالة.

- العمل بالدين القويم لإنقاذ مكاسب الشعب التاريخية وثرواته البشرية والطبيعية دون إضاعة للوقت.

- العمل على وحدة الصف الإسلامي، والمحافظة على وحدة الأمة. قال تعالى: (وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون). [سورة الأنبياء: الآية: ٩٢] وقال صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا».

- تقديم بديل كامل شامل لجميع المعضلات الأيديولوجية والسياسية والاقتصادية، والاجتماعية في نطاق الإسلام. قال تعالى: {إن الدين عند الله الإسلام} (سورة آل عمران: الآية: ١٩)، وقال تعالى: {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}. (سورة الإسراء، الآية:٩).

- الإنقاذ الشامل، أسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها). (سورة آل عمران: الآية: ١٠٣).

- تشجيع روح المبادرة وتوظيف الذكاء والعبقرية وجميع الإرادات الخيّرة في البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري.

* وقفت الجبهة في وجه مصالح الغرب عامة وفرنسا خاصة وهذه المصالح تتمثل في:

- إبعاد الإسلام عن السياسة تمامًا.

- فتح الأسواق للبضائع الأوروبية والأمريكية.

- جر المجتمع الجزائري المسلم للتغريب والإبقاء على الثقافة الفرنسية بكل أشكالها.

* من هنا كان فوز الجبهة في المجالس التشريعية خطرًا حقيقيًّا من وجهة نظر الغرب على هذه المصالح، وصرح سيد أحمد غزالي (رئيس الوزراء في ذلك الحين) عندما وصلته نتائج الاقتراع «إن الشعب صوّت ضد الديمقراطية « فكان من نتيجة ذلك إلغاء الانتخابات لأنهم يريدون ديمقراطية بدون إسلام، وكذلك تدخل الجيش وفرض الارتداد عن نهج تسليم السلطة سلميًّا للطرف الفائز في الانتخابات وتشكيل جهاز جديد للحكم وتشكيل سلطة مدعومة عسكريًّا، وبدأ اعتقال عناصر الجبهة القيادية والشبابية وإيداعهم في سجون نائية في قلب الصحراء حتى يتوقف المد الإسلامي. وأصدرت المحكمة الإدارية قرارًا بحل الجبهة وسحب البساط

من تحت أقدامها حتى يمكن اتخاذ كافة الإجراءات لمصادرة نشاطها، ولكن ظل قادة الجبهة يعلنون أن الدولة الإسلامية في الجزائر قائمة لا محالة بهم أو بغيرهم اليوم أو غدًا إن شاء الله، وقد استقال الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بعد الفوز الساحق للجبهة، وتولى الحكم الرئيس محمد بوضياف الذي اغتيل وظلت الأحداث تتوالى سراعًا ؛ حتى تولى الحكم أخيرًا عبد العزيز بوتفليقة الذي هدأت الأمور في عهده.

حركة مجتمع السلم:

هي حركة سياسية شعبية إصلاحية شاملة، شعارها: العلم والعدل والعمل، وثوابتها: الإسلام، واللغة العربية، والانتماء للأمة الإسلامية، والنظام الجمهوري، والحريات الخاصة والعامة، والتداول السلمي للسلطة من خلال الواقعية والموضوعية والمرحلية [١٣].

ومرجعيتها:

- الإسلام بمصادره ومقاصده الكبرى باعتباره قوة جمع وتوحيد وضبط وتقارب بين أطراف الأمة الإسلامية وتوجهاتها وتطلعاتها، وهو كذلك مصدر إلهام وتجديد، وعنصر تفاعل للشعب، ورعاية مصالحه عبر الاجتهاد الجماعي والتعاون على البر والتقوى.

- تراث الحركة الوطنية وتاريخها الحافل بالبطولات، وميراث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفضائل الزوايا التي كانت منبع إشعاع حضاري وإحياء للروح الوطنية والجهادية للشعب غداة الاستعمار (١٨٣٠-١٩٦٢) القيم الحضارية السامية التي توصل إليها الفكر البشري لإسعاد البشرية وتحقيق استقرارها وأمنها الاجتماعي ورفاهها الاقتصادي. وللحركة أهداف نبيلة تسعى إلى تحقيقها بالكفاح السلمي والحوار الديمقراطي والشورى الشرعية.

مسار الحركة بعد عودة الديمقراطية للجزائر:

١٩٩٠: انتشرت الأحزاب السياسية حتى أن عددها فاق السبعين (٧٠) حزبا وتنظيما من مختلف المشارب الوطنية واليسارية والجهوية والعلمانية والإسلامية التي كان من أبرزها وأقواها وأكثرها انتشارا في الساحة الوطنية [١٤].

- الجبهة الإسلامية للإنقاذ تحت رئاسة الشيخ عباسي مدني.

- جمعية الإرشاد والإصلاح التي ترأسها الشيخ محفوظ نحناح (رحمه الله).

- جمعية النهضة الإسلامية التي ترأسها الشيخ عبد الله جاب الله.

- رابطة الدعوة الإسلامية التي ترأسها الشيخ أحمد سحنون (رحمه الله) والتي دعا إلى تأسيسها الشيخ محفوظ نحناح في إطار فكره التعاوني بين الإسلاميين، حيث دعا أيضا إلى تشكيل التحالف الوطني الإسلامي حماية للمشروع الإسلامي ودعما لمعاني الأخوة والوحدة الإسلامية.

غير أن منهج المغالبة والأحادية الذي سلكه زعماء جبهة الإنقاذ استفزّ المؤسسة العسكرية، وهدّد مصالح الداخل والخارج، فكانت الخطة المحكمة قلب طاولة اللعب بعد انتخابات ٢٦ ديسمبر ١٩٩١م.

٦ ديسمبر ١٩٩٠م: بعد اختلاط الحابل بالنابل، أعلنت جماعة الشيخ محفوظ نحناح عن تأسيس حزب سياسي جديد (بعد أن نفضت يديها من كل محاولات إصلاح ذات البين أو التعاون، مع الأحزاب الإسلامية القائمة التي كانت تطلب الاندماج والذوبان الكامل في كياناتها (ووجدت الجماعة نفسها مضطرة إلى حفظ كيانها من تهديدات الداخل والخارج (عبر منهجية التميز فأعلنت عن ميلاد (حركة المجتمع الإسلامي: حماس).

٢٩ مايو ١٩٩١م: عقد أعضاء الحركة (حركة مجتمع السلم) أول مؤتمر لحزبهم، وتم اعتماد القانون الأساسي والنظام الداخلي واللوائح الضابطة للمسار السياسي، وانتخب الشيخ محفوظ نحناح رئيسا للحزب.

لم تتخلف الحركة عن المشاركة في كل الاستحقاقات الانتخابية منذ بدايتها يوم ١٢ يونيو ١٩٩٠ إلى ٨ أبريل ٢٠٠٤ ورفضت الحركة سياسة الكرسي الشاغر، وسياسة المواجهة، وقد كان لمشاركتها أثر فعّال في تنشيط الحياة السياسية.

- لم تكف الحركة عن محاولات جمع الشمل ورأب الصدع.

- لم تتخلف عن تقديم المبادرات السياسية لإصلاح ذات البين حتى صارت تعرف باسم «حركة المبادرات».

- لم تتخل عن التزاماتها تجاه الشعب رغم المحن.

- رفضت الحركة العنف بكل أشكاله، ومن أي جهة كان ودعت بالمقابل إلى الحوار، ودعت كذلك إلى الوسطية والاعتدال ونادت بالمصالحة الوطنية.

- فقدت أكثر من ٥٠٠ كادر من كوادرها في مقدمتهم الشيخ بوسليماني رحمه الله (نائب رئيس الحركة).

١٩٩٤م: شاركت الحركة في ندوة الوفاق الوطني التي جاءت بالسيد اليمين زروال رئيسا للدولة، واقترحت ميلاد هيئة تشريعية بديلة عن «المجلس الاستشاري» الذي شكله الرئيس المغتال محمد بوضياف (رحمه الله)، فكان ميلاد «المجلس الوطني الانتقالي» الذي شاركت فيه حركة المجتمع الإسلامي (حماس) بخمسة أعضاء هم: عبد المجيد مناصرة.عبد القادر بن قرينة. بشير طويل. موسى رزيق و عبد اللطيف بن وارد.كأول تجربة مشاركة سياسية للحركة في أجهزة السلطة والحكم.

١٩٩٥م: دخلت (حماس) بمرشحها لرئاسة الجمهورية السيد محفوظ نحناح (رحمه الله) وتحصلت على المرتبة الثانية بواقع ٣,٢ مليون صوت وبنسبة ٢٥ ٪ من الأصوات، وكان الهدف من هذا الترشح هو إعادة بناء مؤسسات الدولة الجزائرية وترسيم خط الوسطية والاعتدال وبيان الوجه الصحيح للإسلام والحركة الإسلامية.

١٩٩٦م: دخلت الحركة في الحكومة بوزيرين كأول تجربة لدخول الإسلاميين الجزائريين إلى الجهاز التنفيذي هما وزير وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وزير وزارة كتابة الدولة للصيد البحري. وكانت هذه التجربة مشجعة على التحاق آخرين من حركة النهضة فيما بعد (بوزيرين) بعد أن تأكدت كل الأطراف من أن مسار الحركة ناضج وواعد.

١٩٩٧م: شاركت الحركة في الانتخابات البرلمانية التعددية الأولى، وكذلك في المحليات (البلدية والولاية)، وكان حظها دون مستواها الحقيقي بسبب ما طال العملية الانتخابية من تزوير، فقد حصلت على ٧١ مقعدا بالبرلمان وحوالي ١١٠٠ مجلس محلي منها حوالي ٢٤ بلدية تسيّرها الحركة. بفضل هذه النسبة ارتفع عدد الوزراء إلى ٧ حقائب هي:

- وزارة الصناعة وإعادة الهيكلة.

- وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.
- وزارة السياحة والصناعات التقليدية.
- وزارة النقل.
- كتابة الدولة للصيد البحري.
- كتابة الدولة للبيئة.
- كتابة الدولة للصناعات التقليدية.

وقد اتضحت معالم المشاركة السياسية بشكل عام، وفي الجهاز التنفيذي بشكل خاص، وصارت حديث وسائل الإعلام كون التيار الإسلامي قد أثبت جدارته في التسيير والتحكم وقدرته على التعايش مع التيارات المحسوبة على العلمانية مما وفر على الجزائر جهدا كبيرا ووقتا ثمينا وقلص مدة المراحل الانتقالية، ومهد لميلاد ديموقراطية تشاركية في حدها الأدنى.

في منتصف مدته، استقال الرئيس اليمين زروال، وتسارعت الأحداث لتنتهي بتنظيم انتخابات رئاسية مسبقة، حُرِم من خلالها الشيخ محفوظ نحناح بقرار إداري متعسف في حقه وفي حق حركة مجتمع السلم المكيفة مع قوانين الجمهورية سنة ١٩٩٦ بالتنازل عن اسمها القديم (حركة المجتمع الإسلامي) إلى (حركة مجتمع السلم) بحجة عدم استخدام الثوابت الوطنية لأغراض سياسية، ومع ذلك تعسفت الإدارة وحرمت الشيخ نحناح من المشاركة في السباق خوفا من صعوده إلى سدّة الحكم بعد أن تعاظم تيار المتعاطفين مع الحركة بين سنوات ٩٧-١٩٩٩.

١٩٩٨: عقدت حركة مجتمع السلم مؤتمرها الثاني في مارس ١٩٩٨ بقصر الأمم بنادي الصنوبر، الجزائر العاصمة، تحت شعار «السلم والتنمية»، والذي كرس منهج المشاركة وعمق خط الوسطية والاعتدال ونادى بضرورة الائتلاف والتحالف للمساهمة في إخراج البلاد من أزمتها.

١٩٩٩: تم تنظيم الانتخابات الرئاسية المسبقة التي خاضها سبعة مرشحين في غياب الشيخ نحناح (المقصى من السباق بافتعال شهادة العضوية في الثورة) ومع هذا الإقصاء وتغليبا للمصلحة العامة على المصلحة الحزبية- وقف الشيخ محفوظ نحناح موقفا جيدا مشرفا من

الانتخابات، وسامح الذين أقصوه، أو تسببوا في إقصائه، ووقّع عقد ائتلاف حزبي ضم كل من [١٥]:

- جبهة التحرير الوطني.
- التجمع الوطني الديمقراطي.
- حركة النهضة.
- حركة مجتمع السلم.

لدعم ترشيح السيد بوتفليقة في السباق الرئاسي خوفا على الجزائر من أن تسقط في أيدي العلمانيين، أو تعود إلى دوامة العنف من جديد. ومع أن أداء الحركة في الحكومة، كما في البرلمان، قد تميز بديناميكية جديدة وساهم في رفع الغبن عن كثير من المواطنين إلا أن النتائج الإيجابية لم تشفع للحركة في الاستحقاقات التي تلت ذلك.

٢٠٠٢: جرت الانتخابات البرلمانية، وبعدها الانتخابات المحلية، في نفس السنة، ووجدت حركة مجتمع السلم نفسها تتقهقر إلى المرتبة الرابعة، بعدما كانت تحتل المرتبة الثالثة، بواقع ٣٨ نائبا بالبرلمان، و٣٨ بلدية وحوالي ١٢٠٠ مجلس محلي ممّا عرّضها لكثير من المزايدات السيّاسية والمضايقات الحزبية

في١٩ (يونيو)٢٠٠٣م: انتقل مؤسس حركة مجتمع السلم إلى مثواه الأخير مخلفا وراءه منهجا واضحا، وجماعة متماسكة، وتجربة في آخر أطوار نضجها، ووطنا بدأ يخرج من محنته وأزمته الوطنية شيئا فشيئا في أجواء تسيطر عليها ظلال ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وبؤر توتر دموية مأساوية (فلسطين، العراق).

في ٨ أغسطس ٢٠٠٣م: انعقد المؤتمر الثالث للحركة لينتخب الشيخ أبو جرة سلطاني خلفا للشيخ محفوظ نحناح، وفي أول خطبة له تعهد الرئيس الثاني للحركة بأربعة التزامات جوهرية:

- أنه سيبقى وفيّا لخط الشيخ محفوظ نحناح ومنهجه، في الوسطية والاعتدال، واعتماد أسلوب الحوار مع جميع الأطراف، ونبذ العنف من أية جهة كان وتحت أي مبرر كان.

- – أنه لن يحيد عن خط المشاركة التي ترفض سياسة الكرسي الشاغر، كما ترفض التفرد بالحكم والسلطة، وأنه من دعاة تجسيد شعار «الجزائر حررها الجميع ويبنيها الجميع»، دون تمييز بين أبناء الجزائر وبناته من «تاء» تلمسان إلى «تاء» تبسة، ومن «تاء» تيزي وزو إلى «تاء» تمنراست
- أنه ملزم أخلاقيا وأدبيا وسياسيا باستكمال كل العهود والعقود والمواثيق المسطرة في أدبيات الحركة ومواثيقها.
- أنه سوف يبذل جهودا إضافية للانتقال بالحركة من مرحلة التأسيس إلى مرحلة المؤسسة تجسيدا لشعار مؤتمرها الثالث «نحو طور جديد» بما يتناسب وطبيعة المرحلة وطنيا، وإقليميا ودوليا.

في ٨ أبريل ٢٠٠٤م: جرت الانتخابات الرئاسية التعددية الثالثة التي اختار فيها مجلس الشورى الوطني ترقية الائتلاف الحزبي إلى تحالف رئاسي على أساس «ميثاق» ضم [١٦]: جبهة التحرير الوطني، حركة مجتمع السلم، التجمع الوطني الديمقراطي.

في وثيقة تم توقيعها يوم ١٦ فبراير ٢٠٠٤ تتضمن مبادئ وثوابت وأهدافا وآليات عمل، وبعد عملية انتخابية جديدة في الجزائر فاز مرشح المصالحة الوطنية السيد عبد العزيز بوتفليقة بأغلبية كبيرة بلغت ٩٩ , ٨٤ ٪.

وهي الانتخابات التي فسحت مجالا للخروج من الأزمة وتحقيق المصالحة الوطنية وحل مختلف الملفات العالقة:

- ملف المفقودين.
- ملف الشراكة.
- الملف الاقتصادي.
- ملف السكن.

ولا تزال الحركة تسعى للمساهمة مع بقية التنظيمات الجزائرية لحل هذه الملفات العالقة برؤية متفق عليها تخرج بالجزائر من دوامة العنف والتردي.

الجماعات المسلحة:

مثل جارتيها الشرقية تونس والغربية المغرب، فان للحركة الإسلامية في الجزائر «عمقا تاريخيا» بالمفهوم الزمني، حيث عرفت البلاد بالتوق إلى «التعريب والدفاع عن الهوية الإسلامية» في مواجهة واحد من أقسى التجارب الاستعمارية التي عرفتها البشرية ممثلة في الحكم الصارم الذي يعتمد على العنف والقسوة والجبروت كما سبق ذكره [١٧].

وفي السنين التي أعقبت الاستقلال ظلّ التركيز طيلة أكثر من عقدين من الزمن على «ربح الزمن الضائع» من خلال برامج التعليم التي ارتكزت على «استعادة الهوية العربية والإسلامية»، وفي ظلّ جوّ عام من النظر بريبة إلى كل ما هو غربي، شكل التوجه الإسلامي أبرز أفق «للانعتاق» لدى الجزائريين.وأقر الرئيس الأسبق، الشاذلي بن جديد، عام ١٩٨٨، وتحت تأثير الظرف العالمي الذي شهد انهيار حائط برلين والمعسكر الشرقي، تعديلا أنهى سلطة الحزب الواحد المتمثل في حزب جبهة التحرير، وهو ما أدى إلى إنشاء عشرات الأحزاب، كانت الأحزاب الإسلامية أقواها، ولاسيما جبهة الإنقاذ الوطني، التي تزعمها عباس مدني وعلي بلحاج كما سبق ذكره.

غير أنّ الجيش ذا التوجهات الغربية العلمانية، سرعان ما تدخل لوقف «ما يمكن أن ينتج عن الجديد»، فعمت الفوضى البلاد ودخلت فى حرب أهلية، شهدت انشقاق حركات «فرعية» عن جبهة الإنقاذ، سرعان ما اندثر أضعفها وبقي منها حركتان أساسيتان هما: الجماعة المسلحة، والجماعة السلفية للدعوة والقتال. وفيما لا يعرف أي فرق أيديولوجي بين الجماعتين، يرجح فريق من المراقبين أنّ «صراع الزعامات» هو فقط الذي لا يجمعهما.

فيما يعتقد خبراء أمنيون أنّ الفرق في الأهداف هو الذي يفصل الجماعتين، حيث تركز الجماعة المسلحة على الأهداف المحلية، فيما للجماعة السلفية للدعوة والقتال بُعد «عالمي يجعلها على علاقة وثيقة بتنظيم القاعدة.»ويعتقد خبراء أن الجماعة السلفية للدعوة والقتال خفضت من هدفها الأصلي، وهو الإطاحة بالحكومة لصالح استهداف الغربيين، والترويج لعملياتها من خلال استخدام مهارات متزايدة على الانترنت.

يمكن القول أن الجماعات المتشددة المسلحة في الجزائر والمغرب من غير المرجح أن «تقوم بالدور الأساسي» في تحدي سلطة الدولة، لأن هناك قوى سياسية أخرى تعمل في تلك البلاد.

وفيما باتت «أخبار» الجماعة المسلحة نادرة، تزايدت في الآونة الأخيرة التقارير عن أنشطة للجماعة السلفية للدعوة والقتال، ولاسيما في غضون السنوات الثلاث الماضية، حيث نفذت أعمالا مسلحة في الصحراء الغربية والنيجر ومالي وتشاد، وكذلك في موريتانيا. إلا أنّ التقارير تشير أيضا إلى أنّ الجماعة «منهكة» بفعل الاستنزاف ومقتل رموزها، مثل نبيل صحراوي، واعتقال «خلفائه» مثل عماري صيفي، المعروف بالبارا، وهو ما أدى، وفقا للسلطات الجزائرية، إلى تضاؤل أعداد أعضائها من ٢٨ ألفا أواسط التسعينات إلى نحو ٨٠٠ حاليا[١٨].

على أنّ «خطورة العنف» الذي تمارسه الجماعة القريبة جدا من الغرب(أوروبا)، وكذلك «مغاربية» نشاطها في الآونة الأخيرة، و (الخبرة) التي أحرزتها في مواجهتها، تجعل منها (خطرًا) في كل الأوقات.

خاتمة:

اتضح مما سبق عمق الارتباط الإسلامي للجزائر ودور الإسلام في وحدة المجتمع الجزائري تاريخا وحاضرا ومستقبلا واختلاط السكان المحليين من الأمازيغ بالوافدين من العرب وتشكيل أمة إسلامية موحدة استطاعت تكوين العديد من الممالك المار ذكرها ثم قوى دور الإسلام في مطالبة البلاد بالاستقلال بعد تعرضها لنير الاستعمار الاستيطاني الفرنسي.

بعد الاستقلال ظل الصوت الإسلامي حاضرا في الساحة كترجمة حقيقية لأشواق الجزائريين للعودة إلى الهوية الوطنية الخالصة التي حاول المستعمر طمسها فكان الجميع ينادي بالجذور الإسلامية و حتى من ادعي الاشتراكية حاول ربطها بالإسلام، وعندما هبت رياح التغيير الديمقراطي في ثمانينات القرن الماضي كان التيار الإسلامي قد تقاسم ثمرات الفوز وحصد جل الأصوات مما كان سيمهد الطريق لإقامة النموذج الإسلامي في الحكم عبر صناديق الاقتراع إلا إن أصابع الاستعمار الخفية قد تحركت في جنح الظلام مستخدمة ألاعيبها التاريخية فتمكنت من إلغاء نتائج الانتخابات في جولتها الثانية لسد الطريق أمام الاسلامين حتى لا يصبحوا تجربة ناجحة لحزب إسلامي يأتي للسلطة عبر صناديق الاقتراع وقد تم تكرار نموذج التدخل والإلغاء في أماكن أخري من العالم الإسلامي كما في تركيا وفلسطين فكانت النتيجة أن تم جر البلاد إلى دوامة العنف والصراع التي لم تسلم منها إلى تاريخ إعداد هذه الدراسة، ومع تلك الأجواء القاتمة فانه ما زال

في الأفق بريق ضوء لانتشال البلاد من وهدتها إذا اتيحت الحرية للجميع. وقد برز شيء من ذلك في برنامج الوئام الوطني، نسأل الله أن تكون ساحة المليون ونصف المليون شهيد أرضا للسلام والوئام ونموذجا للدولة الناجحة والمستنيرة والقادرة على العطاء لجيرانها وعالمها.

المراجع والمصادر:

١. لقبال موسي – المغرب العربي – قسطنطينة– ١٩٦٩..

٢.حسن سيد سليمان – الإسلام السياسي في الجزائر – ورقة منشورة ضمن كتاب الإسلام في إفريقيا – تحرير مدثر عبد الرحيم والتيجاني عبد القادر – شركة دار الحكمة للطباعة والنشر المحدودة – الخرطوم – ١٩٩٢م ص٨٠.

٣.جلال يحيى – المغرب الكبير – الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال – الدار القومية للطباعة والنشر – الإسكندرية جزء ٣ –١٩٦٦م – ص١٠٤٣.

٤.حسن سيد – مصدر سابق – ص٨٠

٥. نفس الصدر – ص٨٣

٦. مجلة البيان: الأعداد ٢٣، ٤٨ (وفيه ملف أحداث الجزائر).

٧. مؤسسة يافا للدراسات والبحوث – الثورة الإسلامية في الجزائر – النص الكامل للبرنامج السياسي للجبهة الإسلامية للإنقاذ – القاهرة – ١٩٩١م – ص٣–٥

٨. نفس المصدر – نفس المكان

٩. مجلة البيان: الأعداد ٢٣، ٤٨ – مصدر سابق–.

١٠. نفس المصدر – نفس المكان

١١. مجلة المجتمع عدد ٢٦/ ٦/ ١٩٩٠م.. مقابلة مع نائب رئيس الجبهة الشيخ علي بلحاج.

١٢. مؤسسة يافا للدراسات والبحوث – الثورة الإسلامية في الجزائر– مصدر سابق.

١٣. مجلة الإصلاح العدد ١٦٩ (٢ رجب ١٤١٢هـ).

١٤.حركة مجتمع السلم – كبرى الحركات الإسلامية في الجزائر – مقال بموقع المنتدي الالكتروني – ١ يونيو ٢٠٠٥م.

١٥.نفس المصدر

١٦.نفس المصدر

١٧.نفس المصدر

١٨.مقال بعنوان: الجماعات الإسلامية المتشددة في المغرب العربي – موقع قناة بالعربية – ١٥ مارس ٢٠٠٧م

١٩. نفس المصدر.

التحول الديمقراطي في ليبيا

(التحديات - الفرص المتاحة - السيناريوهات المحتملة)

بقلم: د. محمد إدريس عبد العزيز

رئيس قسم العلوم السياسية - جامعة طبرق - ليبيا

ملخص:

مازالت ليبيا حتى الآن في طور عملية التحول الديمقراطي وبالتحديد في مرحلة الصراع السياسي غير الحاسم، حيث تشهد هذه المرحلة صراعًا حادًا بين الجماعات المتنازعة على السلطة وتعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل التحول الديمقراطي، حيث أنها من الممكن أن تقود البلاد إلى مرحلة الترسيخ الديمقراطي في حالة الاتفاق، ويمكن أن تدمر المسار الديمقراطي برمته في حالة استمرار الصراع.

وعليه تناقش هذه الورقة التحديات التي من شأنها أن تعرقل إتمام عملية التحول الديمقراطي، كما يتم من خلالها عرض أهم الفرص المتاحة التي من شأنها المساهمة الفعلية في إنجاح التحول الديمقراطي، وذلك بالوصول إلى مرحلة الترسيخ الديمقراطي في ليبيا.

وحاولت هذه الورقة وضع عدة سيناريوهات محتملة يمكن من خلالها التنبؤ بإتمام عملية التحول الديمقراطي من عدمها.

Abstract

Till now، Libya is still in the process of democratization، particularly in the period of inconclusive political conflict. This phase is witnessing a sharp conflict between groups for power. This is one of the most important stages of democratic transformation. In case of agreement، it could lead the country to democratic consolidation، otherwise it can destroy the entire democratic process if the conflict continues.

Therefore, this paper discusses the challenges that may hinder the completion of the democratic transition process. It also presents the most important opportunities that will contribute to the success of the democratic transformation by reaching the stage of democratic consolidation in Libya.

This paper attempted to develop several possible scenarios in which to predict whether or not the democratization process will be completed.

المقدمة

اندلعت الثورة الشعبية في ليبيا عام ٢٠١١، بدافع المطالبة بالحرية والديمقراطية، وقد كانت عملية التحول الديمقراطي ناجحة في بدايتها، حيث تم إجراء أول انتخابات برلمانية عام ٢٠١٢ والتي تم من خلالها انتخاب المؤتمر الوطني العام، لكن سرعان ما انحرفت السلطة التشريعية المنتخبة عن مسارها في بناء الدولة الليبية الجديدة إلى الصراع على السلطة والثروة، الأمر الذي أفسد المسار الديمقراطي.

إن عملية التحول الديمقراطي، وبناء مؤسسات الدولة الحديثة، ليست بالأمر السهل كما توقعه الشعب الليبي، حيث إن عملية التحول والوصول إلى الترسيخ الديمقراطي، تحتاج إلى بناء ثقافة سياسية ومجتمعية حديثة، ومواجهة الماضي بكل ما يحمل من ثقافة، إضافة إلى مجموعة من الاصلاحات السياسية والاقتصادية التي تشكل حجر الأساس في إنجاح التحول الديمقراطي.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من عدة اعتبارات، نجملها فيما يلي:

١ - أن ليبيا مازالت حتى الآن في طور التحول الديمقراطي ولم تتمكن بعد من الوصول إلى مرحلة الترسيخ الديمقراطي بالإضافة إلى التعثر المستمر للمسار الديمقراطي نتيجة لوجود عدة عوائق وعليه كان من الأهمية دراسة ظاهرة التحول الديمقراطي في ليبيا.

٢ - لكل حالة من حالات التحول الديمقراطي خصوصيتها من حيث الأسباب والإشكاليات والنتائج وعليه يجب دراسة كل حالة على حدة ومعرفة أسبابها وتحديد إشكالياتها الخاصة وإيجاد الحلول المناسبة.

٣- أن موضوع التحول الديمقراطي حديث النشأة في المنطقة العربية « وبالطبع ليبيا جزء لا يتجزأ من هذه المنطقة «، ولم تتم الدراسة في هذه الظاهرة (التحول الديمقراطي في ليبيا) بشكل مكثف.

أهداف الدراسة:

١- تسليط الضوء على بعض الأطروحات النظرية التي تؤصل لعملية التحول الديمقراطي من خلال التعريف بالمفهوم، والمقاربات المفسرة لعملية التحول، وأنماط الانتقال.

٢- تسعى هذه الدراسة إلى تقديم صورة واضحة لطبيعة التحول الديمقراطي في ليبيا وتحليلها من خلال المفاهيم العلمية لعملية التحول الديمقراطي للوصول إلى معرفة الاشكاليات التي تواجهها، والفرص المتاحة لإنجاحها، ومن ثم محاولة التوصل إلى سيناريوهات مستقبلية للمسار الديمقراطي في ليبيا.

إشكالية الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للإجابة على تساؤل رئيسي مفاده: (ما هي الأسباب الحقيقية وراء تعثر عملية التحول الديمقراطي في ليبيا؟ وكيفية مواجهتها؟).

ومن ثم يمكن إثارة العديد من التساؤلات الفرعية على النحو التالي:

١ - ما هي التحديات التي تواجه نجاح عملية التحول الديمقراطي في ليبيا؟

٢- ما هي الفرص المتاحة لإتمام عملية التحول الديمقراطي في ليبيا؟

٣- ما هي أهم السيناريوهات المستقبلية لمسار التحول الديمقراطي في ليبيا؟

فرضية الدراسة:

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها: أن الثقافة السياسية والمجتمعية السائدة في ليبيا والتي لها ارتباط وثيق بتاريخ ليبيا السياسي، إضافة إلى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي ساهمت جملة من العوامل الداخلية والخارجية في تكريسها قد أدت إلى إعاقة الجهود المبذولة لإتمام عملية التحول الديمقراطي في ليبيا.

منهج الدراسة:

تستخدم الدراسة منهجين على النحو التالي:

١- المنهج التاريخي:

الذي يتضمن التفسير التحليلي في دراسة الظواهر السياسية التي يمتد جذورها في الماضي، حيث لا يمكن فهم عملية التحول الديمقراطي في ليبيا دون الرجوع إلى الخلفيات التاريخية وهنا يمكننا فهم الحاضر وتفسيره.

٢- منهج تحليل النظم:

تستعين الدراسة بمنهج تحليل النظم بهدف دراسة تأثير البيئتين الداخلية والخارجية في عملية التحول الديمقراطي ومستقبلها.

ويهتم هذا المنهج أساسًا بتحليل المدخلات وعلاقاتها بمخرجات النظام السياسي، بالإضافة إلى دراسة بيئة النظام السياسي وتأثيرها على أدائه، ويساعد هذا المنهج في إعطاء صورة أكثر وضوحًا للظاهرة المدروسة، كما يساعد في التنبؤ بمستقبل الظاهرة محل الدراسة.

وفيما يتعلق بتطبيق هذا المنهج على موضوع الدراسة، فيتمثل في تحليل تفاعلات النظام السياسي الليبي ومدى قدرة النخب السياسية على التكيف مع مدخلات البيئتين الداخلية والخارجية.

وللبحث في عملية التحول الديمقراطي في ليبيا سوف تقسم هذه الدراسة إلى مبحثين، ويشمل كل مبحث ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المبحث الأول: التحول الديمقراطي (الإطار النظري والمفاهيمي).

- المطلب الأول: مفهوم التحول الديمقراطي.
- المطلب الثاني: المقاربات النظرية لتحليل ظاهرة التحول الديمقراطي.
- المطلب الثالث: أنماط التحول الديمقراطي.

المبحث الثاني: التحول الديمقراطي في ليبيا.

- المطلب الأول: تحديات عملية التحول الديمقراطي.
- المطلب الثاني: الفرص المتاحة لإتمام عملية التحول الديمقراطي.
- المطلب الثالث: السيناريوهات المستقبلية المتوقعة لعملية التحول الديمقراطي في ليبيا.

المبحث الأول

التحول الديمقراطي

(الإطار النظري والمفاهيمي)

في هذا المبحث نتعرض للتأصيل النظري والمفاهيمي لظاهرة التحول الديمقراطي من خلال ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول

مفهوم التحول الديمقراطي

لم يحظى مفهوم التحول الديمقراطي بالإجماع من قبل العلماء والدارسين، ويختلف من باحث لأخر، ولذا سنتطرق إلى مجموعة من المفاهيم والتعاريف المختلفة للتحول الديمقراطي.

يعرف المفكر العربي المغربي « محمد عابد الجبري « التحول الديمقراطي بأنه (الانتقال إلى الديمقراطية من دولة لا تحترم حقوق الإنسان بمعناها الواسع ولا يقوم كيانها على مؤسسات

تعلو على الفرد والجماعات ولا تتداول فيها السلطة على أساس الأغلبية السياسية إلى دولة يقوم كيانها على ثلاث أركان هي: (حقوق الإنسان والحرية والمساواة – دولة يقوم كيانها على مؤسسات سياسية ومدنية تعلو على الأفراد مهما كانت مراتبهم وانتماؤهم العرقي والديني والحزبي- تداول السلطة في هذه المؤسسات بين القوى السياسية على أساس حكم الأغلبية)[١].

ويشير التحول الديمقراطي إلى مرحلة وسطية يتم من خلالها تفكيك النظام الشمولي أو التسلطي السابق، وبناء على أنقاضه نظام ديمقراطي جديد، وعادة ما تشمل عملية الانتقال مختلف عناصر النظام السياسي مثل البنية الدستورية والقانونية، بالإضافة إلى ذلك، فإن مرحلة الانتقال إلى الديمقراطية قد تشهد مرحلة الانتقال صراعات ومساومات وعمليات تفاوض بين الفاعلين السياسيين الرئيسيين[٢].

ويرى الباحث « دوبري « أنه يجب التركيز على بيئة التحول الديمقراطي، حيث يعتبر أن التحول الديمقراطي يولد في خضم تغير الأنظمة على إثر الأزمات السياسية التي تتوقف على العلاقة بين مختلف القطاعات وحسب درجة الأزمة السياسية تلك، فهناك من يتحول في كل قطاع إلى مدافع عن التراضي بقصد ضمان استمرار الوجود، من هنا تتغير المواقف داخل مختلف القطاعات وفيما بينها، بعدئذ يعتاد الجميع، وعندها تكون عملية التحول الديمقراطي قد تمت[٣].

وهناك من يرى أن التحول الديمقراطي هو الانتقال من وضع قديم إلى أخر جديد يشترط أن يكون أفضل من سابقه، ويجب أن يتميز هذا الوضع الجديد بمبدأ التداول السلمي للسلطة السياسية، من خلال التعددية الحزبية والانتخابات الحرة النزيهة التي تعبر عن رأي الأغلبية، وفي إطار احترام حقوق الإنسان وحرياته[٤].

(١) محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الإنسان، (مركز الدراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤)، ص ٨٨.

(٢) عائشة غباشي، الإسلام السياسي والتحول الديمقراطي في تونس، قراءة في تجربة حركة النهضة في الحكم، (المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٦)، في:

Democraticac.de1?p=37201

(٣) إيمان أحمد، قراءات نظرية: الديمقراطية والتحول الديمقراطي، (المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠١٦) في: http://www.stgceter.org

(٤) حاج الطيب بعطوش، أسماء دهكال، دور النخب السياسية في عملية التحول الديمقراطي (الجزائر نموذجًا، ١٩٨٩-٢٠١٦، (رسالة ماجستير، بحث غير منشور، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق، جامعة مصطفى اسطمبولي، ٢٠١٦)، ص ٢٩.

ويرى عاطف إمام أن « عملية التحول الديمقراطي هي عبارة عن مجموعة من الإجراءات يتم اتخاذها للتحول من نظام غير ديمقراطي إلى نظام ديمقراطي، وتساهم فيها عدة قوى من أهمها المعارضة الداخلية والنظام السياسي القائم والقوى الدولية والإقليمية، ويحاول كل طرف إضعاف الأطراف الأخرى، وتتحدد النتيجة النهائية وفقًا للطرف المنتصر في الصراع»[١].

ويتفق بعض الباحثون على أن التطور الديمقراطي عملية متعددة المراحل، ويمكن تحديدها بثلاثة مراحل وهي: مرحلة ما قبل التحول وتتميز هذه المرحلة بالمواجهة بين النظام السياسي وقوى المعارضة، والمرحلة الثانية فهي مرحلة التحول الديمقراطي بعد انهيار النظام السياسي الحاكم، وتتضمن هذه المرحلة تفكك مؤسسات النظام الحاكم، وظهور نظام ديمقراطي بديلاً عنه، وتنتهي هذه المرحلة بإجراء انتخابات حرة نزيهة في ظل التعددية الحزبية واحترام حقوق الإنسان وحرياته، أما المرحلة الأخيرة من مراحل التحول الديمقراطي هي التي يحدث فيها التناغم بين كافة النظم الاجتماعية في الدولة مع النظام الديمقراطي الجديد[٢].

وبالتالي يمكن أن نستنتج أن عملية التحول الديمقراطي هي المرحلة الواقعة ما بين إسقاط النظام السلطوي والوصول إلى عملية الترسيخ الديمقراطي، وتتسم هذه المرحلة بالعديد من التفاعلات (الصراعية – التوافقية) والتي تهدف إلى إرضاء جميع الأطراف وحماية مصالحهم لاسيما من يقودون عملية التحول، ويتم من خلال هذه المرحلة تغيير البنية الدستورية والقانونية، كما تشهد العمل على بناء ثقافة سياسية ومجتمعية حديثة تؤمن بقواعد اللعبة الديمقراطية الجديدة، مع التأكيد بأن هذه المرحلة قد تطول أو تقصر حسب البيئة المتوفرة للتحول الديمقراطي.

المطلب الثاني

المقاربات النظرية لتحليل ظاهرة التحول الديمقراطي

اتفقت الكثير من الأدبيات حول ثلاث مداخل رئيسية لتفسير أنماط الانتقال إلى الديمقراطية تمثلت في المدخل التحديثي، والانتقالي، والبنيوي.

(١) عبد الرحمن يوسف سلامة، التجربة التونسية في التحول الديمقراطي بعد ثورة كانون أول ٢٠١٠، (رسالة ماجستير، بحث غير منشور، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٦)، ص ٣٢.
(٢) عبد الرحمن يوسف سلامة، المرجع السابق، ص ٣١.

أولاً: المدخل التحديثي: «صاموئيل ليبست»

يرى هذا المدخل أن هناك ربط بين الديمقراطية والتنمية الاقتصادية لأن هذه الأخيرة تخفف من حدة التفاعلات السياسية، ومن جهة أخرى فإن الديمقراطية تحقق التنمية الاقتصادية [١].

وحسب « ليبست» «فإن الديمقراطية ترتبط بمستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولإثبات هذه العلاقة قام بدراسة شملت البلدان الأوروبية والبلدان الناطقة بالإنجليزية في أمريكا الشمالية واستراليا، حيث صنفها إلى: (ديمقراطيات مستقرة - ديمقراطيات غير مستقرة - دكتاتوريات)، وصنف بلدان أمريكا اللاتينية إلى: (دكتاتوريات مستقرة - وغير مستقرة)، وقارن هذه البلدان مستخدمًا مؤشر درجة التعليم والتصنيع، وتوصل إلى أن البلدان الأكثر ديمقراطية من بين المجموعتين كانت تتمتع بمستوى تنمية اقتصادية واجتماعية عالية» [٢].

وخلاف ما سبق هناك آراء ترى عدم إمكانية تعميم الاتجاه التحديثي الذي يربط التحول الديمقراطي بالتنمية الاقتصادية، وتستشهد هذه الآراء بالتجربة التركية بالتحول الديمقراطي دون استكمال تركيا لشروط التحديث، وذلك على عكس ما حدث في كرواتيا وسلوفاكيا، حيث لم تحقق الدولتين التحول الديمقراطي رغم تقدمها اقتصاديًا، وبذلك يعتبر العامل الاقتصادي عاملاً مساعدًا في عملية التحول الديمقراطي، وليس مسببًا لها[٣].

ثانيًا: المدخل البنيوي: «بارنجتون مور»

يقوم هذا المدخل على افتراض رئيسي وهو أن المسار التاريخي لأي بلد نحو الديمقراطية يتشكل ويتأثر بنمط التنمية الرأسمالية، كما يرى بأن التحول الديمقراطي هو نتيجة لظهور طبقة وسطى في البناء الطبقي للمجتمع، بحيث تسعى هذه الطبقة لتقاسم السلطة مع الطبقة الحاكمة، وذلك من خلال هدم البناء التقليدي للمجتمع، وتعويضه ببناء جديد يتوافق مع طموحها [٤].

---

(١) بن عطا الله عبد الحق، التحول الديمقراطي في الجزائر « دراسة حالة »، (بحث غير منشور، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الدكتور الطاهر مولاي – سعيدة، ٢٠١٥)، ص ٢٦.

(٢) (الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية)، في:
http://politics-dz.com/threads/altxhul-aldimqrati-udurx-fi-tfyil-altkaml-alyrbi-14085

(٣) محمود سليم الشوبكي، سياسات حركة النهضة في تونس، ٢٠١٠-٢٠١٥، (رسالة ماجستير، بحث غير منشور، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٦)، ص٧٢.

(٤) آليات التحول الديمقراطي، في : http://30dz.y007.com/t1202-topic

وقد قد العالم الأمريكي «بارنجتون مور» إحدى أهم الدراسات الكلاسيكية للمدخل البنيوي في هذا الموضوع، واعتمد في دراسته على المقارنة التاريخية للمسار السياسي لثلاث مجموعات من الدول وهي: (مسار الديمقراطية الليبرالية «الولايات المتحدة الأمريكية»، مسار الفاشية «إيطاليا وألمانيا»، مسار الثورة الشيوعية «الصين وروسيا»)، وتمت المقارنة في إطار العلاقات المتفاعلة لأربع بني للقوة والسلطة، ثلاثة منها كانت طبقات اجتماعية « الفلاحون - الارستقراطيين - البرجوازيين»، وتمثلت الطبقة الرابعة في الدولة[١].

وتمثلت النتيجة التي توصل إليها «مور» إلى أن مسار وشكل الديمقراطية الليبرالية كان نتاجًا لنمط مشترك من العلاقات المتغيرة بين الفلاحين والبرجوازية والدولة، واشترط «مور» مجموعة من الشروط لتحقيق التنمية الديمقراطية أهمها الحيلولة دون بناء تحالف بين الأرستقراطية والبرجوازية ضد العمال والفلاحين [٢].

إذًا يرى المدخل البنيوي أن التحولات في النظم السياسية مرتبط بمجموعة من التفاعلات، والصراع الطبقي داخل الدولة، ولا جدوى لحرك الأحزاب والقوى السياسية الاجتماعية، إن لم يكن هذا الحراك انعكاسًا للصراع الطبقي [٣].

ولكن وعلى عكس ما سبق يمكن التأكيد على الدور الهام للأحزاب السياسية في الضغط على الأنظمة السياسية لإجراء إصلاحات سياسية يمكن اعتبارها إجراءات تأتي تحت عملية الإصلاح للنظام السياسي، رغم أنها لم تبلغ التحول الديمقراطي بالشكل الكامل [٤].

ثالثًا: المدخل الانتقالي: «دانكورت روستو»

يرى «رستو» أن العمل على كيفية تحقيق الديمقراطية يتطلب مدخلاً تطوريًا تاريخيًا يستخدم منظورًا كليًا لدراسة حالات مختلفة بحسبان أن ذلك يوفر مجالاً لتحليل أفضل من مجرد البحث عن المتطلبات الوظيفية للديمقراطية.

١) بن عطا الله عبد الحق، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧.
٢) المراجع السابق، ص ٢٧.
٣) محمود سليم الشوبكي، مرجع سبق ذكره، ص ٧٣.
٤) المرجع السابق، ص ٧٣.

وقد استند الباحثون إلى دراسة بعض النماذج الديمقراطية في تبرير المدخل الانتقالي، وحددوا أربعة مراحل أساسية تتبعها كل البلدان لتحقيق الديمقراطية وهي:

١- مرحلة تحقيق الوحدة الوطنية:

وهذه المرحلة لا تعني توافر الإجماع، إنما يتم فيها البدء بتشكيل هوية وطنية لدى أغلبية المواطنين.

٢- مرحلة الصراع السياسي غير الحاسم:

وتشهد هذه المرحلة صراعًا حادًا بين الجماعات المتنازعة، وتكون الديمقراطية هي أهم نتائجه، حيث أن الديمقراطية ليست نتاجًا لتطور سلمي.

٣- مرحلة القرار:

وهي المرحلة التي يقرر فيها جميع الأطراف المتصارعة التوصل إلى حل سلمي لإنهاء الصراع وتبني قواعد الديمقراطية التي تمنح الجميع حق المشاركة في صنع القرار السياسي [١].

٤- مرحلة التعود:

وفي هذه المرحلة تتعود الأطراف المختلفة على قواعد اللعبة الديمقراطية، وقد لا يكون الاتفاق حول تبني قواعد الديمقراطية ناتج عن قناعة الأطراف المتصارعة، ولكن مع مرور الوقت يتعود الجميع على ممارسة الديمقراطية والتكيف معها[٢].

ورغم أهمية هذا المدخل في تحليل ظاهرة التحول الديمقراطي غير أنه قد وجهت له عدة انتقادات من أبرزها: تركيزه على مبادرات وأفعال النخب الموجودة كمصدر أساسي لعملية التحول الديمقراطي، وتجاهله للعوامل الأخرى التي تساعد على التحول الديمقراطي [٣].

---

١) الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية، مرجع سبق ذكره.
٢) حاج الطيب بعطوشي، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢.
٣) محمد مختار قنديل، دور المجتمع المدني في التحول الديمقراطي في مصر، (الحوار المتمدن، ٢٠١٢) في:
http://www.m.ahewar.orgis.asp?aid=334314fr=0

وفي سياق عملية التحول الديمقراطي في ليبيا، يرى الدكتور (زاهي المغيربي والدكتور نجيب الحصادي) تفضيل المدخل الانتقالي عن المدخلين التحديثي والبنيوي على اعتبارين: «عوز الدراسات الكاشفة عن أثر تغير بنى القوة والسلطة على عملية التحول الديمقراطي في ليبيا، وحقيقة أن التحدي الآني الذي يواجه الليبيين لا يتعين في ترسيخ الديمقراطية بل في التأسيس لها[١].

وبخصوص تعيين مراحل مسار عملية الدمقرطة التي يقترحها «رستو» في الحالة الليبية تم ملاحظة النقاط التالية:

- تحققت الوحدة الوطنية في ليبيا أثناء حركة الجهاد الليبي ضد المستعمر الإيطالي، وتبلور ذلك بإعلان الاستقلال عام ١٩٥١م، غير أن ما يدور الآن من صراعات يشكل تهديدًا حقيقيًا لها.
- لم يكتمل نمو جنين الديمقراطية الليبي بعد وقد يتعرض للإجهاض بسبب حدة ما يُلم ببيئته الحاضنة من أزمات، ولكن إرادة الشعوب قادرة على الاستجابة لكل التحديات.
- لم تنجح النخب السياسية الليبية بعد في الوصول إلى تسويات لحل الأزمة.
- أما تكيف الأطراف المختلفة مع القواعد الديمقراطية فلا يلوح في أفق المشهد الليبي قريبًا[٢].

وفي السياق سالف الذكر، وإذا ما اعتمادنا على المدخل الانتقالي فإنه يمكن ملاحظة أن عملية التحول الديمقراطي في ليبيا قد مرت بمرحلة « الوحدة الوطنية «، وتمر الآن بمرحلة «الصراع السياسي غير الحاسم»، وتعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل التحول الديمقراطي، حيث أنها من الممكن أن تنتج لنا الديمقراطية في حالة الاتفاق، ويمكن أن تدمر المسار الديمقراطي برمته في حالة استمرار الصراع، أما فيما يتعلق بالمرحلتين الثالثة (مرحلة القرار)، والرابعة (التعود)، فلا يمكن الحديث عنهما الآن إلا بعد انتهاء (مرحلة الصراع غير الحاسم)، وقد تنتهي عملية حسم الصراع إما بالاتفاق، أو حسم الصراع لمصلحة أي من الأطراف المتنازعة على حساب الطرف الأخر، ومن بعد ذلك يمكن الحديث عن تحول ديمقراطي ناجح.

١) زاهي المغيربي، نجيب الحصادي، التحول الديمقراطي في ليبيا: تحديات ومآلات وفرص، (المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، طرابلس، ليبيا، ٢٠١٦)، ص ٢.
٢) زاهي المغيربي، نجيب الحصادي، المرجع السابق، ص ٢.

ورغم أن الدراسة تؤيد المدخل الانتقالي في تفسير عملية التحول الديمقراطي في ليبيا، إلا أنه يجب القول بأن المدخل الانتقالي وحده قد لا يكفي لتفسير عملية التحول الديمقراطي، حيث أن هذا المدخل قد ركز على أفعال وردود أفعال النخب السياسية في تفسير عملية التحول، وتجاهل العديد من العوامل الأخرى الهامة التي تساعد في عملية التحول، والتي من أهمها - على سبيل المثال لا الحصر - إرادة الشعوب في تحقيق الديمقراطية، أو التدخلات الدولية بشرط وجود المصداقية في دعم الشعب الليبي للتحول نحو الديمقراطية، وهذا ما لا يمكن جزمه، خاصة في ظل تضارب المصالح الدولية والإقليمية في ليبيا.

المطلب الثالث

أنماط التحول الديمقراطي

يقصد بأنماط التحول الديمقراطي الأشكال أو الإجراءات التي اتخذها التحول من نظام سلطوي إلى نظام ديمقراطي، وقد أثبتت تجارب التحول الديمقراطي بأنه لا يوجد نمط واحد لتحقيق التحول الديمقراطي، بل هناك العديد من الأنماط، وفي هذا الشأن يمكن التميز بين أربعة أنماط رئيسية للتحول، على النحو التالي:

أولاً: نمط التحول من أعلى: «تحول ذاتي»

في هذا النمط تمنح السلطة الحاكمة للشعب حق ممارسة الديمقراطية، ويكون دافع السلطة الحاكمة لذلك عندما تشعر القيادة السياسية أن الانشقاق على النظام القائم قد تصاعدت حدته وأصبح وشيك الوقوع، وقد يكون ذلك مجرد حيلة من السلطة الحاكمة للخروج من مأزق معين، وبالتالي تحاول أن تتيح لنفسها الوقت لصياغة آليات جديدة تمكنها من الاستمرار في السلطة لفترة طويلة، أيضًا قد يكون دافع السلطة الحاكمة وليد رغبة حقيقية في التحول نحو الديمقراطية[1].

إذًا نمط التحول الديمقراطي من الأعلى، هو الذي يحدث داخل الأنظمة السياسية التسلطية، وعادةً ما يقود هذا التحول الجناح الإصلاحي في النخبة الحاكمة، المقبول من المعارضة داخليًا والقوة الدولية والإقليمية المؤثرة في الخارج[2].

١) مصطفى بلعود، التحول الديمقراطي في النظم السياسية العربية: دراسة حالة الجزائر ١٩٨٨-٢٠٠٨، (رسالة ماجستير، بحث غير منشور، قسم العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة بن يوسف بن حدة، الجزائر، ٢٠٠٩)، ص ٤٠.
٢) عائشة غباشي، مرجع سبق ذكره.

ثانيًا: نمط التحول من الأسفل: «التحول الإحلالي»

يأتي أسلوب التحول الديمقراطي من الأسفل من خلال إسقاط النظام الحاكم، دون أي تسويات تتضمن تسليمه السلطة، وهذا النمط هو أكثر التصاقًا بالضغوط الشعبية، ولكن هذا النمط يعتبر الأكثر خطرًا على مستقبل الدولة، لاحتمال ظهور نظام استبدادي أخر، وهنا يتوقف التحول الديمقراطي على الدور الذي تلعبه النخب السياسية الجديدة في عملية ترسيخ الديمقراطية من خلال تفويت الفرصة على المتشددين، وخلق بيئة جديدة مناسبة لتفاهم جميع الأطراف[١].

وعادةً ما يتم هذا النمط بزيادة قوة المعارضة وتناقص قوة الحكومة إلى أن تنهار ويطاح بها، فهذا النمط (الإحلالي) يتطلب أن تنهك المعارضة قوة الحكومة من خلال تحشيد الطلاب، والمثقفين، والأحزاب السياسية، والمهنيين، وصغار التجار إلى جانبها حتى تحول الميزان لصالحها[٢].

ثالثًا: نمط التحول من خلال التفاوض بين النظام الحاكم وقوى المعارضة: « الاتفاقي «

ويكون هذا النمط من التحول عندما يكون هناك نوع من توازن القوى ما بين النظام الحاكم وقوى المعارضة ويستحيل حسم الوضع لمصلحة أي طرف منهما، هنا لابد من الجلوس على طاولة الحوار للخروج من الأزمة، ونجاح التحول الديمقراطي بأقل الخسائر الممكنة[٣].

من أجل إنجاح عملية التفاوض لابد على كلا الطرفين الاعتراف بشرعية الطرف الأخر، فعلى المعارضة أن تقبل بالحكومة كشريك في عملية التغيير، وفي المقابل تتقبل الحكومة المعارضة كقوى لها شرعيتها في تمثيل قطاعات من المجتمع[٤].

رابعًا: التحول الديمقراطي من خلال التدخل والغزو العسكري الأجنبي:

وتستخدم هذه الآلية عندما تعجز القوى المعارضة عن الإطاحة بالنظام الحاكم بسبب

١) محمود سليم الشوبكي، مرجع سبق ذكره، ص ٨٤.
٢) عميرة محمد أيوب، تأثير التحول الديمقراطي على الاستقرار في الجزائر ١٩٩٩ - ٢٠٠٩، (بحث غير منشور، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ٢٠١٣)، في:
http: / /bu.univ-ouargla.dz /pmb /opaccss /index.php?lvl=authorseefid=48642
٣) عائشة غباشي، مرجع سبق ذكره.
٤) عبد الرحمن يوسف سلامة، مرجع سبق ذكره، ص ٤٠.

ضعفها، وفي ظل هذه الظروف لا يكون هناك حل سوى التدخل العسكري الأجنبي، ويظهر هذا النمط بشكلين هما: القوى العسكرية المباشرة كما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية في العراق وأفغانستان، وقد قامت الولايات المتحدة بذلك بتحالفها مع مجموعة من الدول، والشكل الثاني للتدخل يكون من خلال نفوذ الدول والمؤسسات المانحة للإعانات الاقتصادية، والتي وضعت ما يعرف باسم (المشروطية السياسية)، حيث أنه في مقابل الدعم لابد من وجود الإصلاح السياسي في تلك الأنظمة السلطوية باتجاه التحول الديمقراطي، كما حدث في معظم الدول الأفريقية، ولكن لابد من التأكيد على أن هذا النمط لا ينجح دائمًا، حيث فشلت التجربة في العراق على سبيل المثال لا الحصر[1].

وبخصوص أنماط التحول الديمقراطي في ليبيا، فيمكن القول أن نمطا التحول الإحلالي والتدخل الأجنبي هو ما حدث في ليبيا أثناء ثورة ١٧ فبراير، حيث أنه تم الضغط الشعبي من الأسفل وبدعم من « الناتو «، ومساعدة دول إقليمية تمت الإطاحة بالنظام السابق، ولكن لابد من التأكيد هنا أن نمطا التحول في الحالة الليبية لا ينجحا دائمًا، ويتوقف النجاح في هذه الأنماط على عاملين أساسيين:

أولهما: الدور الذي تلعبه النخب السياسية في ترسيخ الديمقراطية.

ثانيهما: أن تُبذل جهود صادقة من قبل المجتمع الدولي الذي ساهم في الإطاحة بالنظام السابق في إعادة بناء الدولة الليبية.

المبحث الثاني

التحول الديمقراطي في ليبيا

نتعرض في هذا المبحث لأهم التحديات التي تواجه عملية التحول الديمقراطي، والفرص المتاحة لإتمام عملية التحول، إضافة إلى السيناريوهات المستقبلية، وذلك من خلال ثلاث مطالب على النحو التالي:

١) المرجع السابق، ص ٤١.

المطلب الأول

تحديات التحول الديمقراطي في ليبيا

تواجه عملية التحول الديمقراطي في ليبيا العديد من التحديات، منها ما يتعلق بالإرث الثقافي للأنظمة السياسية السابقة، ومنها ما يتعلق بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية الحالية.

أولاً: انعدام ثقافة التداول السلمي للسلطة:

تعتبر الثقافة السياسية في الوطن العربي عاملاً أساسيًا في تكريس ظاهرة التسلط والاستبداد وعرقلة التحول الديمقراطي، حيث أنها تتضمن قيما غير ديمقراطية أو لا تتلاءم مع الديمقراطية، خاصة وأن عملية التنشئة السياسية التي يتعرض لها المواطن العربي تغلب عليها الطابع التسلطي، مما يجعلها تكرس هذه القيم لديه، وتعتبر الثقافة السياسية عنصرًا هامًا في تفسير استمرار ظاهرة التسلط وتعثر عملية التحول الديمقراطي في المنطقة العربية[1].

وبما أن ليبيا جزء لا يتجزأ من المنطقة العربية، فقد تأثرت بشكل مباشر بهذا الوضع سالف الذكر، حيث أدى غياب ثقافة التداول السلمي للسلطة في ليبيا إلى العديد من الإشكاليات، ومن أبرز هذه الإشكاليات عدم القبول بنتائج العملية الانتخابية، كما حدث عام ٢٠١٤م عقب خسارة ما يعرف (بالإسلام السياسي) الانتخابات البرلمانية التي أعقبت انتهاء ولاية المؤتمر الوطني العام، حيث كانت تهيمن هذه الجماعة على السلطة من خلال وجودها وسيطرتها على المؤتمر الوطني العام.

وبالتالي أصبح في ليبيا سلطتين تشريعيتين، إحداهما في طبرق شرق البلاد (البرلمان) المعترف به دوليًا، والأخرى في طرابلس غرب البلاد (المؤتمر الوطني) المنتهية ولايته، وبطبيعة الحال وجود حكومتين، واحدة في شرق البلاد (مدينة البيضاء) الحكومة المؤقتة التابعة للبرلمان، وحكومة أخرى غرب البلاد (مدينة طرابلس) حكومة الإنقاذ الوطني التابعة للمؤتمر المنتهية ولايته، وفي ظل عدم توحيد هذه المؤسسات الرئيسية من المستحيل التحدث عن تحول ديمقراطي ناجح.

١) حاتم مهدي الرفاعي، إيهاب على رشيد، الفرص والمعوقات أمام بناء شرعية عقلانية قانونية في الأنظمة السياسية العربية، (بحث منشور)، ص ١١٥.

134-Tikrit Journal for Political Sciences 6 (3) (2016) 108)

لقد قام ائتلاف (فجر ليبيا) بانقلاب في طرابلس بعد الانتخابات البرلمانية عام ٢٠١٤، وكان هذا الانقلاب نيابة عن الأحزاب الخاسرة في الانتخابات، ولقد كانت جماعة الإخوان المسلمين هي الطرف المهيمن في هذا الائتلاف، وبعد أعمال العنف التي مورست ضد معارضي فجر ليبيا، ألغت المحكمة العليا في طرابلس التعديل الدستوري الذي نتج عنه قانون الانتخابات، ولم يعترف بحكم المحكمة العليا في طرابلس إلا جماعة فجر ليبيا فقط، حيث لم يعترف مجلس النواب الليبي به، كما واصل المجتمع الدولي الاعتراف بمجلس النواب (البرلمان) المنتخب في طبرق، ولم يعر اهتمامًا للحكم القضائي الصادر من المحكمة العليا في طرابلس[١].

وفي نفس السياق السالف الذكر، وفي إطار مساعي جماعة الإخوان المسلمين وغيرها من التنظيمات المتطرفة لتعزيز السيطرة على مفاصل الدولة، تم طرح مشروع قانون العزل السياسي الذي أقره المؤتمر الوطني في عام ٢٠١٣م، والذي أثار الكثير من الجدل داخل ليبيا سواءً من حيث الصياغة التي صدر بها القانون والتي افتقدت إلى التفريق بين العزل السياسي والوظيفي والإداري، أو من حيث الأجواء التي صدر فيها القانون تحت تهديد السلاح من قبل الميليشيات المسلحة عقب محاصرة مقر المؤتمر وعدد من الوزارات مثل وزارتي الداخلية والخارجية، ورغم أن جماعة الإخوان المسلمين نفت أية علاقة لها بطرح مشروع القانون إلا أن القانون كان بالنسبة لها وأعضاء الجماعات المتطرفة فرصة ذهبية للتخلص من كافة المعارضين من التيارات الليبرالية، خاصة رئيس حزب التحالف الوطني والذي حصل على أكبر عدد من المقاعد في أول انتخابات برلمانية عام ٢٠١٢م، ومن هنا يمكن القول أن عملية ربط العزل السياسي بالمناصب الوظيفية والإدارية في فترة نظام استمر ٤٢ عامًا، لا يمكن أن يستثني أحد من الليبيين إلا من كان في السجن مثل أفراد جماعة الإخوان المسلمين أو أعضاء التنظيمات المتطرفة[٢].

إن الخبرة السياسية التي تراكمت لدى النخب السياسية في ليبيا في العقود الستة الماضية، لم تؤسس على أساس مؤسسي سليم، ويعود ذلك إلى حداثة الدولة، وغياب منظمات المجتمع المدني

١) بعد أربع سنوات من الانقسام.. هل سيشهد عام ٢٠١٩ انفراجًا فيث حالة انشطار مؤسسات الدولة الليبية، (أخبار ليبيا الآن)،

http://www.libyaakhbar.com/libya-news/831508.html

٢) سعد محمد زايد، الميليشيات في ليبيا، (مجلة الشئون الأفريقية، العدد الأول، يناير ٢٠١٣، تصدر عن معهد الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة)، ص ١١٠.

والأحزاب السياسية، مما يعكس عدم التوافق بين الفرقاء الليبيين المتصارعين على السلطة بعد عام ٢٠١١، وكذلك محاولات الاستيلاء على السلطة من كل فريق وذلك من خلال العملية الديمقراطية للوصول إلى السلطة ثم الانقلاب عليها، وما ينجم عن ذلك من تحديات تشكل تهديد مباشر لإتمام عملية التحول الديمقراطي[١].

وفي السياق السابق، يعتبر عدم السماح بإنشاء أحزاب سياسية منذ الاستقلال عام ١٩٥١ وحتى عام ٢٠١١، عائق خطير لعملية التحول الديمقراطي في ليبيا، حيث كانت السلطة الحاكمة تجرم وجود الأحزاب السياسية، وبعد عام ٢٠١١م، ووفقًا للدستور المؤقت تم السماح بتشكيل الأحزاب السياسية، ولكن بدون وجود لقوانين واضحة تحدد عمل وتمويل هذه الأحزاب، مع عدم وجود رؤية واضحة تجاه القضايا الأساسية ولا برامج عمل واضحة، كما أن هذه الأحزاب ليس لها أي دور بارز في عملية التنافس على السلطة، بل إن هذه الأحزاب خرجت من التنافس السلمي واتباع قواعد اللعبة الديمقراطية إلى الاستقواء بالميليشيات المسلحة لتحقيق أهدافها، وتحقيق مصالح خاصة بقياداتها وأعضائها، وهذا ما أدى إلى تعقيد المشهد الليبي، وحال دون وصول النخب السياسية المتصارعة إلى أي توافق من شأنه المساهمة في إنجاح عملية التحول الديمقراطي في ليبيا.

ثانيًا: الاتفاق السياسي بين الفرقاء السياسيين الليبيين ومشاكل تنفيذه:

لقد زاد توقيع اتفاق الصخيرات عام ٢٠١٥ الأمور تعقيدًا في مسار التحول الديمقراطي في ليبيا، وذلك عندما نشب الخلاف بين الفرقاء الليبيين، فمنهم من كان مؤيد للاتفاق، ومنهم من اعترض عليه، ولقد أدى ذلك إلى تشتت المشهد على الصعيد السياسي، مما أدى إلى انعكاسات سلبية على الصعيدين العسكري والاجتماعي، فكتائب المسلحين وعموم الليبيين موزعون بين مناصر للحكم التوافقي ومؤيد لأحد أطراف الأزمة دون غيره[٢].

ولا يعتقد أن الاتفاق السياسي يسير بليبيا نحو البناء الديمقراطي، حيث أن الدراسات السياسية أثبتت أن تبني نظام ديمقراطية التوافق لا يؤدي إلى إنجاح التحول الديمقراطي في مثل

١) محمد عمارة سريبة، النخب السياسية في ليبيا تتجه إلى بناء دولة المواطنة والديمقراطية.
٢) أنور الجمعاوي، ليبيا من الثورة إلى الانقسام على السلطة، في:
http://www.alaraby.co.uk/opinion/201620/2/

الظروف التي تمر بها ليبيا بعد عام ٢٠١١، ولكن يقود في أحسن الأحوال إلى تأجيج الأزمات السياسية والأمنية، بل أنه أيضًا في الحقيقة قد يزيد من حدة الانقسام داخل المجتمع على مستويات مختلفة، وفي كثير من الأحيان قد يؤدي إلى تقسيم البلاد[١].

وفي السياق السابق يمكن إيجاز مجموعة من النقاط من شأنها عرقلة تنفيذ الاتفاق السياسي وهي على النحو التالي:

١- إن الموقعين على الاتفاق السياسي في الصخيرات والذين كانوا من المفترض في وقت لاحق أن يقوموا بتنفيذه ومتابعته لم يكونوا دائمًا هم نفس الأشخاص، إضافة إلى أن الموقعين لا يمثلون إلا أنفسهم [٢].

٢- لم يكن هدف الاتفاق واضح، فهل كان الهدف هو إحلال السلام والأمن، أم أن الديمقراطية نفسها ستجلب السلام والأمن، بمعنى أخر، لا يوجد تسلسل هرمي للأهداف المراد تحقيقها ولا يوجد أي تمييز بين المدى الطويل والمتوسط والمدى القصير [٣].

٣- يجب التأكيد على أن إنشاء المجلس الأعلى للدولة والصلاحيات المنسوبة إليه، يتقاربان نحو وجود مجلسين في ليبيا، هذه الثنائية للمجلس في حد ذاتها وفي المطلق هو معيار جيد للمؤسسات الديمقراطية حيث تتمتع الديمقراطيات المستقرة بنظم ثنائية (متوازنة)، ولكن في الحالة الليبية لايزال المجتمع بعيدًا عن الإجماع، ويلاحظ ذلك في الصراع الكبير بين النخب السياسية الليبية في الشرق والغرب[٤].

٤- إن عملية التعيينات بالتراضي للوظائف السيادية والتشاور في كل القرارات المهمة بين البرلمان ومجلس الدولة سوف ينتج مشاكل خطيرة، ويصبحان مصدر نزاع لا ينتهي من شأنه شلل

١) إبراهيم هيبة، معوقات التحول الديمقراطي في ليبيا، (ليبيا المستقبل، ١ يونيو، ٢٠١٦)، في:
http://libya-al-mostakbal.org/news/clicked/97594

2) Moncef Diaziri، Libya: » the deadlock in Reaching a political agreement and the problems posed by the democratic، 9 september 2017، at: http://resetoc.org/story/libya-deadlock-reaching-plolitical-agreement-problems-posed-democratic-transition/

3) Idem

٤) ندوة بعنوان، واقع الاتفاق السياسي في ليبيا بين المأمول والممكن، (اسطنبول، ٢٠١٦) ص ٩.

مؤسسات الدولة[1].

٥- فشل مجلس النواب الليبي في عقد جلسة رسمية للتصويت على تضمين الاتفاق السياسي للإعلان الدستوري كما تنص على ذلك وثيقة الاتفاق الموقعة في الصخيرات[2].

ينظر المحللين لهذا الاتفاق على أنه غير قادر على انتشال ليبيا من ورطتها على مستويات عدة، حيث أنه ركز على المصالح الشخصية والضيقة، ولم يركز على المصلحة العامة.

٦- ظهور انقسامات منذ البداية في المجلسين التشريعيين (البرلمان والمؤتمر الوطني) بحيث يصعب اعتبار أي منهما مؤسسة مستقرة، ويتضح ذلك في ظهور مجموعات من الممثلين المنتخبين من المجلسين تتصرف بدون اتباع القواعد الإجرائية - مثل إعلان بعض النواب موقفهم ورفضهم للاتفاق السياسي - ولم تخلو هذه الظاهرة في المؤتمر الوطني[3].

وفي الختام يمكن القول إن استمرار الجهتين (البرلمان ومجلس الدولة) بمكوناتهما الحالية، سوف لا يساعد على استقرار المرحلة الانتقالية، خصوصًا فيما يتعلق بالتوافق على إشغال المناصب الخالية في مجلس رئاسة الوزراء[4].

ثالثًا: غياب مؤسسات حقيقية للدولة وسيطرة الميليشيات:

يرتهن نجاح التحول الديمقراطي بوجود نخبة سياسية ذات خبرة ومصداقية قادرة على تبني الديمقراطية خيارًا وطنيًا، غير أن الدور الذي قامت به النخب السياسية الليبية المتلاحقة بعد ١٧ فبراير، والإطاحة بالنظام السابق يكشف أنها لم تنجح في هذا الصدد بما يكفي، وفيما يتعلق بالمجلس الانتقالي تحديدًا عبرت « هيومان رايتس واتش « عن قلقها من ضعف درجات الشفافية، فلم يكن الشعب الليبي يدري بما يدور في كواليس المجلس الانتقالي، بل كانوا يتوجسون من

1) MoncefDJAZIRI, Cit.

2) Idem

٣) عمر خيري، اتفاقية الصخيرات الليبي بين التحديثات الداخلية والخارجية، (العربي الجديد، ٢٤ ديسمبر، ٢٠١٥)، في:

http://www.alaraby.co.uk//opinion/201523/12/

4) المرجع السابق.

سيطرة أصحاب توجه بعينه[١].

وعلى المستوى التشريعي كان هناك غياب واضح لأي تحديد للمسئوليات، الأمر الذي أدى إلى تداخل الاختصاصات في المكتب التنفيذي، ورغم الميزانيات الضخمة إلا أن المجالس التشريعية والسلطات التنفيذية قد فشلت فشلاً ذريعًا في مواجهة العديد من العوائق التي تعيق التحول الديمقراطي مثال ذلك (فشلها في مواجهة الميليشيات وانتشار السلاح، وبناء جيش وطني قادر على ضبط الحالة الأمنية الهشة) [٢].

لقد عاشت ليبيا بعد ١٧ فبراير والإطاحة بالنظام السابق حالة من الفوضى العارمة من جراء انتشار الاغتيالات وأعمال الخطف على نطاق واسع، وكثرة الصراعات القبلية المسلحة خاصة في غرب وجنوب البلاد، وتكرار عمليات اقتحام السلطتين التشريعية والتنفيذية من أجل تنفيذ مطالب سياسية فئوية (مثال اقتحام المؤتمر الوطني العام ٢٠١٢)، ناهيك عن قيام جماعات مسلحة بإغلاق ثلاث موانئ نفطية رئيسية في شرق البلاد عام ٢٠١٣م مما ألحق أضرار بالغة بصادرات وعائدات البلاد من النفط، وقد وصل الأمر إلى قيام هذه الجماعات بالشروع في بيع النفط على نحو ينطوي على تحد سافر لسلطات الدولة، الأمر الذي وضع البلاد على حافة حرب أهلية في مارس ٢٠١٤، ويرجع كل ما سبق ذكره إلى ضعف وعجز السلطات الحاكمة ممثلة في المؤسسات الانتقالية في فرض سيطرتها على إقليم الدولة، خاصة في ظل كثرة الخلافات والانقسامات بين هذه المؤسسات وضعف الجيش الوليد والشرطة مما أدى إلى اضطراب المسار الديمقراطي برمته[٣].

لقد أدى ضعف المؤسسات الانتقالية في ليبيا إلى عدم قدرتها في السيطرة على الميليشيات المسلحة وإسقاط سلطتها، وأمام ضعف هذه المؤسسات فقد قامت بدلاً من القضاء على الميليشيات بوضعها تحت السيطرة الأسمية لوزارتي الداخلية والدفاع، وكانت نتيجة ذلك تضخيم هذه الميليشيات بما يتجاوز العدد الذي قاتل في ١٧ فبراير ضد النظام السابق، وقد تم بناء على ذلك تشكيل قطاع

١) زاهي المغيربي، نجيب الحصادي، مرجع سبق ذكره، ص ٧.
٢) المرجع السابق، ص ٧.
٣) حسنين توفيق إبراهيم، معوقات التحول الديمقراطي في دول الربيع العربي، (مجلة الديمقراطية، العدد ٥٥، مجلد ١٤ يوليو ٢٠١٤، وكالة الأهرام، القاهرة)، ص ٥٨.

أمني محلي منقسم بدرجة عالية ومختلط حيث أصبح موجودًا على التوازي مع الجيش والشرطة، إضافة إلى ذلك لم تتمكن الحكومة المنتخبة الجديدة من حل المسألة الأكثر إلحاحًا حول ما إذا كانت ستحافظ على بقايا الجيش القديم وإصلاحها أو تتولى إعادة صياغة شاملة للهيكل الأمني الذي ميز الثوريين الشباب، والأسوأ من ذلك أن شخصيات داخل المؤتمر الوطني العام طورت علاقة تكافلية مع الميليشيات، التي بدأت تهدد السلطات المنتخبة بسبب إقرار قانون العزل السياسي، واختطفت رئيس الوزراء واستولت على منشآت نفطية، حتى أنه عندما تم التخطيط للتدريب الخارجي للجيش الليبي، وجد المتدربون الذين عادوا أنه لم يكن هناك هيكل عسكري للانضمام إليه، فوضعوا في إجازة لأجل غير مسمى أو ذابوا مرة أخرى في الميليشيات[١].

وتعيش ليبيا اليوم على واقع أزمات في ظل عدم وجود سلطة موحدة للدولة وعدم قدرة المؤسسات الحالية الانتقالية على إدارة شؤون البلاد بأسلوب رشيد يمكن أن ينهي المرحلة الانتقالية المتعثرة حاليًا[٢].

رابعًا: جمود الاقتصاد الليبي في المرحلة الانتقالية:

الاقتصاد له دور مؤثر في عملية التحول الديمقراطي، حيث أن تعرض الدول التي تمر بمرحلة انتقالية إلى تدهور الوضع الاقتصادي دون إيجاد حلول حقيقية للإصلاح الاقتصادي، هنا يتحول الوضع الاقتصادي السيء إلى عائق حقيقي أمام عملية التحول الديمقراطي[٣].

لقد شرعت ليبيا منذ أوائل التسعينات من القرن الماضي في إعادة هيكلة نظامها الاقتصادي، والتحول من سيطرة الدولة على الاقتصاد إلى نظام يسمح تدريجيًا للقطاع الخاص بالمساهمة في النظام الاقتصادي، ولكن واجهت ليبيا عدة مشاكل في هذا الجانب تتعلق بعدم قدرة الدولة على

١) فريدريك هري، لماذا فشل انتقال ليبيا إلى الديمقراطية، (عن واشنطن بوست - أخبار ليبيا الآن، ٢٠١٦)، في:
http://www.libyaakhbar.com/libya-news/75669.html

٢) عبد الله التركماني، دور الثقافة السياسية في تعثر الديمقراطية في القضاء المغربي، (ندوة حول كلفة اللاديمقراطية في الفضاء المغربي، ٢٧ نوفمبر، ٢٠١٥، منتدى الفكر المعاصر، تونس)، في:
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=494527fr=0

٣) أبو الحسن بشير عمر، دراسة حول مستقبل مسار التحول الديمقراطي في دول الربيع وإشكالياته في ظل المتغيرات الدولية الحالية، ٢٠١٤، في:
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=431302fr=0

إدارة عملية التحول الاقتصادي والسيطرة على مستويات الفساد المرتفعة المصاحبة لعملية التحول الاقتصادي، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى عدم قدرة الدولة الليبية السيطرة على إدارة التحول الاقتصادي والفساد، ما يلي:

١- عدم شفافية المحاسبة، وعدم فعاليتها بسبب تعدد سلطة الأمر والتنفيذ.

٢- غياب التوازن بين المسئوليات المسندة إلى المستويات السياسية والإدارية وبين السلطة الممنوحة لضمان أدائها لمسئولياتها وفرض قراراتها[١].

لقد أسهم الاقتصاد الريعي والوفرة المالية بنصيبهما في عرقلة التحول الديمقراطي في ليبيا، حيث ان الضغوط الاقتصادية لم تشكل حافزًا على عودة الحياة إلى طبيعتها، وذلك بالنظر إلى أن معظم الليبيين يتقاضون رواتبهم من الدولة، وذلك على عكس ما حدث في مصر وتونس في المرحلة الانتقالية، أكثر من ذلك أن الدولة الليبية لم تتوقف عن دفع المرتبات الكبيرة إلى أفراد المليشيات المسلحة حتى أصبح الانضمام إليها وسيلة لتحسين الدخل[٢].

لاشك أن هبوط أسعار النفط في فترات معينة وسوء الإدارة المالية، وعدم سيطرة المؤسسات السيادية في الدولة، وانتشار الفساد بكل أشكاله في ظل الوضع الأمني السيء، والاضطرابات السياسية التي تعاني منها البلاد هي من العوامل التي هزت الاقتصاد الليبي خلال السنوات الماضية، وهذا الأمر سيزداد تفاقمًا إذا لم تتدخل القيادات السياسية والمالية بسرعة، فالأمر الأخطر هو انهيار قيمة العملة الليبية مقابل العملات الدولية، مما سيضاعف من التضخم في الأسواق، ويجعل تكاليف المعيشة عالية جدًا، لاشك أن التحول الديمقراطي سيكون ترفًا فكريًا إذا انهار الدينار الليبي كما انهار الدينار العراقي[٣].

خامسًا: الفساد المستشري في مؤسسات الدولة:

يمثل الفساد عائقًا خطيرًا أمام تطور المجتمعات، لما له من تأثيرات سلبية على عملية التحول الديمقراطي، كما أنه يؤثر سلبًا على التنمية الاقتصادية.

١) زاهي المغيربي، نجيب الحصادي، مرجع سبق ذكره، ص ١١.
٢) المرجع السابق، ص ٢٢.
٣) منبر ليبيا: http://www.minbarlibya.org/?cat=92

كما يقوض الفساد سيادة القانون عندما يتداخل مع التنمية السياسية، وتنعكس تأثيراته في عدم الاستقرار السياسي للحكومة وتحدي شرعيتها، وبالتالي إلى الانحطاط في عملية التنمية الوطنية، ويترتب على ذلك أنه في مثل هذا السيناريو لا يمكن أن يكون هناك تخطيط فاعل طويل الأجل، وبالتالي تهديد بناء الديمقراطية[١].

وفي البلدان التي تمر بمرحلة انتقالية ينهار النظام الاستبدادي، ويوفر التحول إلى النظام الديمقراطي محفزات جديدة للفساد، خاصة في تصاعد الحملات الانتخابية، وفي الصراع الجديد من أجل المناصب السياسية والخدمة المدنية، وذلك فإن التحول للنظام الديمقراطي جعل الأشياء أسوأ في عدد من البلدان، فعند الإطاحة بالنظام السلطوي القائم، وتصاعد رغبة شعبه في التمتع بحريتهم، يتضمن عادة هذا التحول بعض عمليات النهب واللصوصية، وعدم دفع الضرائب والجمارك ضمن حريتهم الجديدة، فبعد سقوط النظام الاستبدادي يتوسع الفساد بطريقة غير منضبطة ولا مركزية[٢].

وفيما يتعلق بليبيا، وبعد مرور عدة سنوات على الانتفاضة في فبراير ٢٠١١ التي كانت أحدى أسبابها محاربة الفساد في النظام السابق، ووفق تقارير محلية ودولية يتضح التنامي المرعب للفساد والعبث بمقدرات الدولة من حيث الحدية والانتشار إلى درجة أدت بليبيا إلى مشارف الانهيار الاقتصادي والإفلاس، لقد استفحل الفساد وهدر الثروات بعد ٢٠١١م، إما بسبب قوة الإكراه والتهديد أو المحاباة والمحسوبية لتكميم الأفواه وشراء الذمم وزرع الولاءات، أو لسلوكيات مرضية انتهازية، أو لقناعات ذاتية مبنية على وهم الادعاء بأحقية (المنتصر / المحرر) في الاستيلاء على ممتلكات الدولة لتحقيق مصالح ذاتية، هذه السلوكيات الهدامة والمعيقة للتنمية الاقتصادية، والتحول الديمقراطي استشرت في مؤسسات الدولة إلى درجة تحولت من (ثقافة الفساد) إلى (فساد الثقافة)[٣].

---

1) Mirugi-Mukundi Gladys، » the impact of corruption on Governance: An Appraisal of the practice of the Rule of Law in Kenya«، Masters of Law، (Pretoria: University of practice faculty of Low,27 October 2006)، p.40

2) Inge Amundsen، » political corruption: an introduction to the Issues«، (Bergen: chr Michelsen institute Development studies and human rights، working paper No. 7، 1999),p18.

٣) أحمد على الأطروش، المشهد السياسي والأمني في ليبيا،رؤية تحليلية استشرافية، (ندوة عقدت في طرابلس بتاريخ ١٣/ ٦/ ٢٠١٥ عن الانقسام السياسي في ليبيا، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات،، في: http://100psresearch.org./projects/view/1/?/arg=ara.

لقد احتلت ليبيا المرتبة ١٧٠ ضمن مؤشر مدركات الفساد للعام ٢٠١٨ بحسب التقرير الصادر عن منظمة الشفافية الدولية، وبهذا تكون ليبيا قد تقدمت نقطة واحدة عن عام ٢٠١٧، حيث كان ترتيبها في المؤشر ١٧١ من أصل ١٨٠ دولة شملها التصنيف [١].

ويتولى مؤشر التصنيف ١٨٠ دولة وفقًا لمدركات انتشار الفساد في قطاعها العام استنادًا إلى آراء الخبراء والمسؤولين في مجال الأعمال، وذلك حسب مقياس يتراوح من (صفر إلى ١٠٠ نقطة)، حيث تمثل النقطة الصفر البلدان الأكثر فسادًا في حين تمثل النقطة ١٠٠ البلدان الأكثر نزاهة، وقد تحصلت ليبيا وفقًا لهذا التقرير الصادر عام ٢٠١٨ على ١٧ نقطة، وهذا بطبيعة الحال يعتبر مستوى عالي من الفساد[٢].

ومن خلال ما تقدم يلاحظ مستويات الفساد العالية في ليبيا والتي بطبيعة الحال لها تأثير مباشر على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي من شأنه إعاقة عملية التحول الديمقراطي في ليبيا.

سادسًا: الفراغ السياسي والتدخل الأجنبي:

لقد وضعت ليبيا تحت البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة في مارس ٢٠١١م بعد أن اتهم المجتمع الدولي بقيادة بعض الدول الغربية والإقليمية النظام السابق باستخدام القوة المفرطة ضد المدنيين، إضافة إلى العديد من التهم الأخرى، هكذا بمساعدة الناتو تم إسقاط النظام السابق عام ٢٠١١، وبدأ الشعب الليبي يتطلع إلى نظام حكم قائم على تداول السلطة والديمقراطية[٣].

إن توافق العوامل الداخلية، وبصفة خاصة الاعتبارات القبلية والجهوية، إضافة إلى ضعف المؤسسات الانتقالية، مع العوامل الخارجية المتمثلة في تقديم الدعم من القوى الخارجية لطرف

١) الفساد في العالم... ترتيب الدول العربية، في:
http://www.alhurra.com/amp/477776.html#referrer=https%3A%2FWWW.GOOGLE.COM&AMPTF=%D985%%D9245%251%20%86%.

٢) أرقام صادمة لمؤشرات الفساد في ليبيا، (قناة ليبيا ٢٠١٨)، في:
«http://www.218tv.net/4.D8%A308%%B1%D982%

٣) صالح إبراهيم، ليبيا، تداول السلطة ومكافحة الإرهاب، (صحيفة العرب،العدد ٩٧٤٩، نشر في ٢٥ نوفمبر ٢٠١٤، لندن)، ص٩.

دون أخر في الصراع القائم بين القوى السياسية الليبية قد أدى إلى اضطرابات عنيفة شهدتها البلاد مؤخرًا[١].

لقد أدى التدخل الخارجي إلى إطالة أمد الصراع وضاعف عدد الضحايا، ليقود في النهاية إلى تكريس المزيد من انتهاكات حقوق الإنسان والمعاناة الإنسانية والتطرف والانتشار الرهيب للسلاح في ليبيا، وإقليميًا بما يهدد الأمن الإقليمي والعالمي بدرجة غير مسبوقة [٢].

بعد الإطاحة بالنظام السابق لم يبذل المجتمع الدولي أي جهود حقيقية للتعاون في بناء مؤسسات الدولة (وبالأخص المؤسسة العسكرية)، والتصدي لظاهرة التطرف وتداعياتها، الأمر الذي استغله المتطرفون ونجحوا في عرقلة بناء الجيش والشرطة، والسيطرة على المؤسسات والهيئات السيادية في ليبيا، وقاموا بقتل عشرات من ضباط الجيش والشرطة، الأمر الذي أدى بطبيعة الحال إلى عرقلة التحول الديمقراطي في ليبيا.

المطلب الثاني

الفرص المتاحة لإتمام عملية التحول الديمقراطي

هناك العديد من العوامل والتي يمكن من خلالها إنجاح عملية التحول الديمقراطي في ليبيا، وبطبيعة الحال يصعُب حصر كل هذه العوامل، لذلك سنحاول في هذا المطلب أن نذكر أهم هذه العوامل، وهي على النحو التالي:

أولاً: بناء جيش وشرطة على أسس وطنية:

١- يحتاج التحول الديمقراطي في ليبيا كشرط أول إلى ضبط الحالة الأمنية في البلاد، والجيش هو المؤسسة الوحيدة في البلاد القادرة على ذلك، فكان من الأجدر أن تكون الخطوة الأولى التي لا تسبقها خطوة هو بناء الجيش والشرطة، ومن ثم يتم الدفع بعملية الإصلاح السياسي والاقتصادي إلى الأمام كونها العملية الهامة لنقل ليبيا إلى مرحلة الاستقرار[٣].

١) محمد عبد الحفيظ الشيخ، تحديات المصالحة الوطنية في ليبيا بعد ٢٠١١ / (المستقبل العربي، العدد ٤٣١، مجلد ٣٧، يناير ٢٠١٥، لبنان)، ص ١٠٤.
٢) المرجع السابق، ص ١٠٤.
٣) محمد عبد الحفيظ الشيخ، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٤.

٢- بدون التركيز فعليًا على بناء ودعم الجيش والشرطة، ووقف كامل لدعم الميليشيات المسلحة بالمال وتجريدها من السلاح، وفرض الأمن بقوة السلاح لن يكون هناك أمل لبناء القواعد الأساسية لبناء نظام ديمقراطي وليس بناء ديمقراطي، بل أنه بدون بناء وتطوير الجيش والشرطة فإن حياة الدولة الليبية في حد ذاته في خطر حقيقي وموتها وزوالها هو احتمالاً كبيرًا لا يجب إغفاله أو التغاضي عنه[١].

٣-ضرورة توحيد المؤسسة العسكرية في ليبيا، بما يجعلها قادرة على مواجهة التحديات التي تواجه عملية التحول الديمقراطي، وعلى رأسها الإرهاب والجريمة المنظمة[٢].

ويجب التأكيد على أنه بدون وجود الجيش والشرطة يغيب الأمن والاستقرار، وبغياب الأمن والاستقرار لا يمكن إعادة بناء مؤسسات الدولة، ولا تنفيذ القوانين، ولا مجال للإصلاح السياسي والاقتصادي، ولا إلى إجراء انتخابات حرة ونزيهة... إلخ، من هذه العوامل التي من شأنها التحول بليبيا إلى الديمقراطية الراسخة

ثانيًا: العدالة الانتقالية والمصالحة الوطنية:

نظرًا للانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان التي حدثت بعد ثورة ١٧ فبراير من قبل النظام السابق وبعض المحسوبين على الثوار، فإن الحل عن طريق التصالح القبلي بالأساليب المتعارف عليها، أو إقامة الدعاوي القضائية، والتعويضات المالية العشوائية لن تجدي نفعًا، ولذلك ينبغي اعداد خطة متكاملة تبنى على محورين أساسيين متلازمين هما (العدالة الانتقالية والمصالحة الوطنية).

ويتطلب تطبيق العدالة الانتقالية في ليبيا مراعاة النقاط التالية:

١-يجب ربط العدالة الانتقالية بالمصالحة الوطنية ربطًا قويًا في الدستور الليبي، وأن يترك الاختصاص في ملائمة تقدير رفع الدعاوى الجنائية وحق إصدار العفو عن الجناة وفق آليات وضوابط تضعها هيئة متخصصة مثل (لجنة الحقيقة والمصالحة)، تضمن الرضا المجتمعي وتستطيع تحقيق المصالحة الوطنية[٣].

---

١) إبراهيم هيبة، مرجع سبق ذكره.

٢) محمد عبد الحفيظ الشيخ، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٥.

٣) البدري محمد الشريف، العدالة الانتقالية والمصالحة الوطنية في الدستور، (موقع ليبيا المستقبل)، في:
http;//archive2.libya-al-mostakbal.org/news/clicked/94547.

١- يجب أن يكون هناك فهمًا للنطاق الواسع للانتهاكات التي حدثت إبان ثورة ١٧ فبراير من كلا الطرفين، فمسألة معالجة الجرائم التي ارتكبت من أفراد كتائب النظام السابق بتعذيب المحتجزين، أو الهجمات الانتقامية ضد جماعات ومدن تعتبر مؤيدة للنظام السابق، ينبغي على العدالة الانتقالية ان تواجه مثل هذه الانتهاكات كذلك[١].

٢-يعد إصلاح المؤسسات الأمنية أحد أهم استحقاقات العدالة الانتقالية لما ينطوي عليه من إعادة هيكلة المؤسسات المرتبطة باحتكار استخدام القوة في المجتمع، بحيث تصبح أكثر نزاهة وشفافية، واتباعًا لسيادة القانون، وثقافة حقوق الإنسان، والمحاسبة عن الانتهاكات السابقة[٢].

٣-ضرورة توافر إرادة سياسية لدى كل الأطراف، تنطلق من مصالح الوطن بعيدًا عن المصالح الذاتية والخاصة، والولاءات القبلية والجهوية الضيقة[٣].

٤-لابد من توافر خطاب إعلامي وسياسي قائم على التسامح والعقلانية[٤].

إن أغلب الدول التي عاشت صراعات مجتمعية مسلحة، أو عانت من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، قد تعاملت مع معالجة مآسي الماضي بروح تصالحية لا تخل بحق الضحايا من جهة ولا تعتمد مبدأ العقاب كأسلوب لمعالجة تراكمات الماضي من جهة أخرى، ولقد نجحت هذه الدول في العبور بسلام نحو الأمن والاستقرار، كما نجحت في بناء دولة القانون والمؤسسات، واحترام حقوق الإنسان، كل هذا في ظل نظام ديمقراطي يقوم على مبدأ التداول السلمي للسلطة وليس احتكارها[٥].

ثالثًا: الشرعية الدستورية:

تشير الشرعية الدستورية إلى القبول العام للدستور، أي البنية الأساسية الرسمية للقواعد التي تحدد تنظيم وتوزيع القوى السياسية والتنافس عليها، ويعد تأسيس القواعد الدستورية أحد

١) محمد عبد الحفيظ، مرجع سبق ذكره، ص ١١٢.
٢) امراجع نوح، العدالة الانتقالية في مشروع القانون الليبي، (ليبيا المستقبل، ٢٠١٧)، في:
http://www.libya-al-mostakbal-org/8515656/.
٣) محمد عبد الحفيظ الشيخ، مرجع سبق ذكره، ص ١١٢
٤) المرجع السابق، ص١٠٦.
٥) عين ليبيا، في: https://www/eanlibya/posts/420036231414343

أصعب جوانب عملية التحول الديمقراطي، ويرجع ذلك إلى أن هذه العملية تفتح الباب واسعًا أمام المصالح المتنوعة والمتعارضة، حيث يسعى أصحاب المصالح المتعارضة لمعرفة كيفية تأثير الترتيبات الدستورية الجديدة على مصالحها وضمان حماية هذه المصالح، وهنا تكون المفاوضات والمساومات صعبة وشاقة، وهكذا فإن الوصول إلى الرسوخ الديمقراطي يستلزم القبول بشرعية الدستور[١].

وبناء على ما تقدم يمكن الإشارة إلى بعض النقاط الخاصة بعملية صياغة مشروع الدستور:

١-إن الدستور ما لم يكن توافقيًا ويحظى بالقبول العام، قد لا يجد من يحميه، فيكون مجرد أوراق تنص على تداول السلطة لا سلطان لها، وتشرعن لقوانين لا تطبق، وتقرر حقوق لا تصان[٢].

٢-يجب التزام جميع الأطراف الفاعلين بالقواعد والضوابط الدستورية الواردة في الدستور والخاصة بالحقوق والحريات، دون خرقها أو التحايل عليها، كما يجب العمل على تنقيتها وتعديلها بما يلبي حاجة الشعب الليبي بما يضمن عدم تعطل أو الانتقاص من هذه الحقوق، مع الالتزام بالمواثيق الدولية الصادرة بشأن دعم الحريات وحماية حقوق الإنسان [٣].

٣-يجب العمل بسرعة على عرض البرلمان لمسودة الدستور للاستفتاء عليها، ما قد يساهم في تفعيل مجموعة مهمة من الإجراءات لاسيما بناء الجيش ونزع سلاح الميليشيات[٤].

رابعًا: تجديد الثقافة السياسية كمدخل للبناء الديمقراطي:

يجب التأكيد على أن التواجد الشكلي لمؤسسات الدولة لا يكفي لإدارة المجتمع، بل ينبغي أن يعلم الجميع نخب وجماهير كيفية احترام تلك المؤسسات التي تمثل الواسطة ما بين المجتمع والدولة، ومتى تم الوصول إلى هذه النقطة يتم الوصول إلى نهاية مرحلة التحول الديمقراطي[٥].

---

١) الديمقراطية والإصلاح السياسي،
http;//bohotheblogspot.com/2010103/blog-post5623.html/?m=1

٢) محمد زاهي المغيربي، نجيب الحصادي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

٣) أبو الحسن بشير عمر، مرجع سبق ذكره.

٤) محمد عبد الحفيظ الشيخ، مرجع سبق ذكره، ص ١١٢.

٥) إيمان أحمد، مرجع سبق ذكره.

إن التطور الديمقراطي الناجح القائم على زيادة ورفع مستوى الوعي السياسي لقيم المشاركة السياسية الديمقراطية والبناء القانوني والمؤسساتي لمجتمع الدولة، يحتاج إلى مجتمع قوي وناضج وحديث، ولا يتعارض على هذا النحو وجود دولة قوية، بل على العكس يحتاج نجاح التطور الديمقراطي إلى وجود دولة قوية ولكنها منفتحة وحديثة، على أن ما نقصد به من وجود سلطة قوية للدولة هنا ليس بمعنى ممارسة التعسف والإكراه واستخدام القوة والقهر، وإنما سلطة قوية تمتلك عناصر قوتها من شعبها الذي يدعم هذه الدولة، بمعنى أخر أن تكون الدولة مع المواطن في تحقيق الأهداف ومنها الديمقراطية[1].

فبعض عمليات التحول الديمقراطي والمراحل الانتقالية فيها قد تؤدي في بعض البلدان ذات الإثنيات المتعددة إلى خطر الانقسام والنزاعات والتي تؤدي بدروها في كثير من الأحيان إلى حرب أهلية، وضعف الدولة يمكن أن يؤدي إلى تدعيم هذه الانتماءات الأدنى من الانتماء للدولة، ولاشك أن وجود الانتماءات الأدنى (قبلية، عرقية، جهوية) من الانتماء للدولة يقلص فرص إتمام عملية التحول الديمقراطي، لأن هذه الانتماءات الأدنى تقوم على عدم تقبل الرأي الأخر، وعدم التسامح.... إلخ[2].

إن المُضي قُدمًا في إنجاح التحول الديمقراطي وصولاً إلى الترسيخ الديمقراطي، لا يمكن أن يتحقق في ليبيا دون وجود ثقافة سياسية ومجتمعية تنبذ العنف والحرب وتؤمن بوجود التعددية، وتقبل الرأي الأخر، والتداول السلمي للسلطة، وفي سبيل تحقيق ذلك لابد من تكاتف جميع الجهود (نخب، وجماهير، وإعلام، ومؤسسات سياسية، وجامعات،..... إلخ) في سبيل نشر ثقافة العيش المشترك وفق نظام ديمقراطي يحفظ حقوق الجميع، بعيدًا عن الثقافة السلطوية بمختلف أشكالها.

المطلب الثالث

السيناريوهات المحتملة

هناك عدة سيناريوهات محتملة تتعلق بعملية التحول الديمقراطي في ليبيا، وأهمها السيناريوهات التالية:

١) إيمان محسن جاسم، عوامل نجاح الديمقراطية، (الحوار المتمدن، ٢٠١٠)، في:
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=228804&r=0

٢) المرجع السابق.

أولاً: الحل السياسي:

توقف القتال والوصول إلى توافق من شأنه تسوية الأزمة الليبية، وذلك من خلال الاتفاق على حكومة وطنية انتقالية تحظى بالقبول العام من قبل النخبة السياسية والمجتمع.

ولكن يمكن اعتبار أن هذا السيناريو صعب التحقيق خاصة بعد أن أصبحت الثقة منعدمة بين الأطراف المتصارعة، بالإضافة إلى أن الاتفاق السياسي في الصخيرات لم يؤدي إلى أي نتائج إيجابية أو مؤشرات يمكن من خلالها التفاؤل بنجاح هذا السيناريو، حيث يمكن القول أن حكومة الوفاق بشكلها الحالي ليست الأداة المناسبة لإنهاء الأزمة وإنجاح المسار الديمقراطي.

ثانيًا: الحل العسكري:

ويتمثل هذا السيناريو في نجاح الجيش الليبي بقيادة المشير « خليفة حفتر « في السيطرة على العاصمة طرابلس، وفرض الأمن والاستقرار على التراب الليبي، ومن هنا يمكن استرجاع السلطة وبناء مؤسسات موحدة قادرة على فرض هيبة الدولة وسيادتها، ومن ثم التمهيد لانتخابات عامة من شأنها اتمام عملية التحول الديمقراطي.

ويمكن أن يتحقق هذا السيناريو، نظرًا لوجود مؤشرات عديدة تشير إلى نجاحه، حيث استطاع الجيش الليبي تحقيق العديد من الانتصارات في عدة مدن ليبية في محاربته للإرهاب أهمها (درنة، بنغازي، بالإضافة لكامل الجنوب الليبي)، وهو الآن على الحدود الإدارية للعاصمة طرابلس، إضافة إلى وجود دعم دولي معلن وغير معلن لتحركات الجيش الليبي.

وفي السياق السابق يمكن الجزم بأن معظم الدول التي مرت بمرحلة صراع بعد سقوط الأنظمة السلطوية استطعت أن تجتاز هذه المرحلة بنجاح بفضل ضبط الحالة الأمنية وتحقيق الاستقرار عن طريق الجيش، حيث أنه هو المؤسسة الوحيدة التي تمتلك القوة المسلحة التي يمكن من خلالها فرض سيادة الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار.

وبما أن المشكلة الحقيقية في ليبيا هي أمنية وليست سياسية، فلا يمكن حلها إلا عن طريق الحسم العسكري، ولذلك نرجح نجاح هذا السيناريو.

ثالثًا: التقسيم:

لا يمكن استبعاد سيناريو تقسيم البلاد في حالة فشل الحل السلمي أو الحسم العسكري، خاصة أن هناك بعض الأطراف الداخلية، وبعض القوى الإقليمية والدولية التي تقوم بالدفع نحو تحقيق هذا السيناريو لتحقيق مصالحها الخاصة.

ولكن يمكن القول أن هذا السيناريو صعب تحقيقه نظرًا لعدة مؤشرات، أهمها سيطرة الجيش على حوالي ٧٠٪ إن لم يكن أكثر من ذلك على التراب الليبي بالإضافة إلى أن دول قوية لها مصالح لا يمكن تحقيقها إلا بوجود ليبيا موحدة، ويجب في هذا الجانب التأكيد على الرفض التام من قبل الشعب الليبي بأي حل يمس وحدة البلاد.

رابعًا: استمرار القتال بين الأطراف المتحاربة:

يكون القتال بين الأطراف المتحاربة لفترة طويلة لعدم قدرة أي منها على حسم الصراع لصالحها، ويكون نتيجة ذلك زيادة حالة التطرف وسيطرة الجماعات الإرهابية من جديد على المشهد الليبي، وهنا تعود الأمور إلى نقطة البداية من جدي، ويفشل المسار الديمقراطي برمته.

ويمكن القول بأن هذا السيناريو يمكن أن يكون بعيد بعض الشيء عن التحقيق نظرًا للرفض الداخلي والإقليمي والمحلي لهذه الجماعات، وضعف قوتها في الآونة الأخيرة بعد سيطرة الجيش الليبي على الجنوب بالتحديد، وضرب هذه الجماعات وتشتيتها وإضعافها في أكثر من مكان في المنطقة العربية.

الخاتمة:

يتضح من هذه الدراسة أن هناك جملة من التحديات تواجه عملية التحول الديمقراطي في ليبيا، حيث تقف عائقًا أمام نجاحها والوصول إلى الترسيخ الديمقراطي، وترجع تلك التحديات في جزءًا منها إلى طبيعة النظام السياسي السابق في ليبيا، إضافة إلى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية بعد ثورة ١٧ فبراير والتي ساهمت جملة من العوامل الداخلية والخارجية في تكريسها.

ولإتمام عملية التحول الديمقراطي بنجاح لابد من توافر بيئة سياسية واجتماعية وأمنية مناسبة، فعلى سبيل المثال لا الحصر لا يمكن اتمام عملية التحول الديمقراطي في ليبيا في ظل غياب مؤسسات قوية وفعالة للدولة، لاسيما المؤسسة العسكرية، كما لا يمكن إنجاح هذه العملية في ظل الصراعات القبلية والجهوية، بالإضافة إلى أنه لا يمكن الحديث عن تحول ديمقراطي ناجح في ظل الفساد المستشري بكافة أشكاله وبمستويات مرتفعة في قطاعات الدولة العامة والخاصة، كما لا نستطيع أن نتصور نجاح وتقدم المسار الديمقراطي دون دستور شرعي توافق عليه كل الأطراف.

وفي هذا السياق يجب التأكيد على أن الديمقراطية لا يمكن أن تفرض من الخارج، حيث أنها ترتبط بشكل كبير بالخصوصيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للدول والمجتمعات، ومن الممكن أن يكون دور الخارج في الدعم فقط، وذلك يتم بطبيعة الحال عندما يكون هناك رغبة حقيقية من قبل الدول المعنية في الانتقال الديمقراطي.

وفيما يتعلق بسيناريوهات التحول الديمقراطي في ليبيا، فيمكن القول بأنه لا يمكن الجزم بتحقيق إحدى السيناريوهات السالفة الذكر في متن الدراسة، ولكن يظل سيناريو الحسم العسكري هو الأقرب، حيث أن العالم أصبح يعلم الآن بأن المشكلة الحقيقية في ليبيا هي أمنية وليست سياسية، وإن استطاع الجيش الليبي حسم الصراع، سوف يتحقق الأمن والاستقرار، ومن ثم يمكن الحديث عن إنجاح التحول الديمقراطي في ليبيا.

الهوامش والمراجع:

١ـ محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الإنسان، (مركز الدراسات الوحدة العربية،١٩٩٤).

٢-عائشة غباشي، الإسلام السياسي والتحول الديمقراطي في تونس، قراءة في تجربة حركة النهضة في الحكم، (برلين: المركز الديمقراطي العربي، ٢٠١٦)، في:

Democraticac.de1?p=37201

٣- إيمان أحمد، قراءات نظرية: الديمقراطية والتحول الديمقراطي، (المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠١٦) في: http;//www.stgceter.org

٤- حاج الطيب بعطوش، أسماء دهكال، دور النخب السياسية في عملية التحول الديمقراطي (الجزائر نموذجًا، ١٩٨٩-٢٠١٦، (رسالة ماجستير، بحث غير منشور، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق، جامعة مصطفى اسطمبولي، ٢٠١٦).

٥- عبد الرحمن يوسف سلامة، التجربة التونسية في التحول الديمقراطي بعد ثورة كانون أول ٢٠١٠(رسالة ماجستير، بحث غير منشور، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٦).
٦- بن عطا الله عبد الحق، التحول الديمقراطي في الجزائر « دراسة حالة «، (بحث غير منشور، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الدكتور الطاهر مولاي - سعيدة، ٢٠١٥).
٧- (الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية)، في:
http://politics-dz.com/threads/altxhul-aldimqrati-udurx-fi-tfyil-altkaml-alyrbi-14085
٧- محمود سليم الشوبكي، سياسات حركة النهضة في تونس، ٢٠١٠-٢٠١٥، (رسالة ماجستير، بحث غير منشور، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٦)
٨. محمد مختار قنديل، دور المجتمع المدني في التحول الديمقراطي في مصر، (الحوار المتمدن، ٢٠١٢) في:
http://www.m.ahewar.orgis.asp?aid=334314fr=0
٩- زاهي المغيربي، نجيب الحصادي، التحول الديمقراطي في ليبيا: تحديات ومآلات وفرص، (المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، طرابلس، ليبيا، ٢٠١٦).
١٠- مصطفى بلعود، التحول الديمقراطي في النظم السياسية العربية: دراسة حالة الجزائر ١٩٨٨-٢٠٠٨، (رسالة ماجستير، بحث غير منشور، قسم العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة بن يوسف بن حدة، الجزائر، ٢٠٠٩).
١١-عميرة محمد أيوب، تأثير التحول الديمقراطي على الاستقرار في الجزائر ١٩٩٩ - ٢٠٠٩، (بحث غير منشور، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ٢٠١٣)، في:
http://bu.univ-ouargla.dz/pmb/opaccss/index.php?lvl=authorseefid=48642
١٢- حاتم مهدي الرفاعي، إيهاب على رشيد، الفرص والمعوقات أمام بناء شرعية عقلانية قانونية في الأنظمة السياسية العربية، (بحث منشور).
Tikrit Journal for Political Sciences 6 (3) (2016) 108-134)
http://www.libyaakhbar.com/libya-news/831508.html13-
١٤- سعد محمد زايد، الميليشيات في ليبيا، (مجلة الشئون الأفريقية، العدد الأول، يناير ٢٠١٣، تصدر عن معهد الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة).
١٥- محمد عمارة سريبة، النخب السياسية في ليبيا تتجه إلى بناء دولة المواطنة والديمقراطية.
١٦- أنور الجمعاوي، ليبيا من الثورة إلى الانقسام على السلطة، في:
http://www.alaraby.co.uk/opinion/2016/2/20
١٧- إبراهيم هيبة، معوقات التحول الديمقراطي في ليبيا (ليبيا المستقبل، ١ يونيو، ٢٠١٦)، في:
http://libya-al-mostakbal.org/news/clicked/97594
١٨- ندوة بعنوان، واقع الاتفاق السياسي في ليبيا بين المأمول والممكن، (اسطنبول، ٢٠١٦)
١٩-عمر خيري، اتفاقية الصخيرات الليبي بين التحديثات الداخلية والخارجية، (العربي الجديد، ٢٤ ديسمبر، ٢٠١٥).
٢٠- حسنين توفيق إبراهيم، معوقات التحول الديمقراطي في دول الربيع العربي، (مجلة الديمقراطية، العدد ٥٥،

مجلد ١٤ يوليو ٢٠١٤، وكالة الأهرام، القاهرة).
٢١- فريدريك هري، لماذا فشل انتقال ليبيا إلى الديمقراطية، (عن واشنطن بوست - أخبار ليبيا الآن، ٢٠١٦)، في: http://www.libyaakhbar.com/libya-news/75669.html
٢٢- عبد الله التركماني، دور الثقافة السياسية في تعثر الديمقراطية في القضاء المغربي، (ندوة حول كلفة اللاديمقراطية في الفضاء المغربي، ٢٧ نوفمبر، ٢٠١٥، منتدى الفكر المعاصر، تونس)، في:
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=494527fr=0
٢٣- أبو الحسن بشير عمر، دراسة حول مستقبل مسار التحول الديمقراطي في دول الربيع وإشكالياته في ظل المتغيرات الدولية الحالية، ٢٠١٤، في:
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=431302fr=0
٢٤- أحمد على الأطروش، المشهد السياسي والأمني في ليبيا،رؤية تحليلية استشرافية، (ندوة عقدت في طرابلس بتاريخ ١٣/ ٦/ ٢٠١٥ عن الانقسام السياسي في ليبيا، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات،، في:
.http://100psresearch.org./projects/view/1/?/arg=ara
٢٥- الفساد في العالم... ترتيب الدول العربية، في:
.http://www.alhurra.com/amp/477776.html
٢٦- صالح إبراهيم، ليبيا، تداول السلطة ومكافحة الإرهاب، (صحيفة العرب،العدد ٩٧٤٩، نشر في ٢٥ نوفمبر ٢٠١٤، لندن).
٢٧- محمد عبد الحفيظ الشيخ، تحديات المصالحة الوطنية في ليبيا بعد ٢٠١١ (المستقبل العربي، العدد ٤٣١، مجلد ٣٧، يناير ٢٠١٥، لبنان).
٢٨- امراجع نوح، العدالة الانتقالية في مشروع القانون الليبي، (ليبيا المستقبل، ٢٠١٧)، في:
.http://www.libya-al-mostakbal-org/85/15656
٢٩- البدري محمد الشريف، العدالة الانتقالية والمصالحة الوطنية في الدستور(موقع ليبيا المستقبل)، في: http: / / archive2.libya-al-mostakbal.org/news/clicked/94547
٣٠- إيمان محسن جاسم، عوامل نجاح الديمقراطية، (الحوار المتمدن، ٢٠١٠)، في:
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=228804&r=0
Mirugi-Mukundi Gladys، » the impact of corruption on Governance: An Appraisal of the practice of the Rule of Law in Kenya«، Masters of Law، (Pretoria: University of practice faculty of Low,27 October 2006).
(Inge Amundsen، » political corruption: an introduction to the Issues«، (Bergen: chr Michelsen institute Development studies and human rights، working paper No. 7، 1999)
Moncef Diaziri، Libya: » the deadlock in Reaching a political agreement and the problems posed by the democratic، 9 september 2017، at: http://resetoc.org/story/libya-deadlock-reaching-plolitical-agreement-problems-posed-democratic-transition/

العقيدة الأمنية القومية الجزائرية والتهديدات المستقبلية
التحولات والإستراتيجيات

بقلم: د. بلهول نسيم
أستاذ محاضر بقسم العلوم السياسية
جامعة البليدة لونيسي علي / العفرون
nassaiki@yahoo.fr

وطالبة الدكتوراه. حمداد نسيمة
قسم العلوم السياسية
جامعة البليدة لونيسي علي / العفرون
Hamdadofarial33@gmail.com,

الملخص:

تشير الأحداث الجارية اليوم أن هناك عدد من التطورات الرئيسية المتلاحقة في ساحة الحروب ونمط التهديدات الجديدة، تتمثل عموما في مجموعة من التحولات: حركة تحول إستراتيجية. وحركة تحول تنظيمية. وحركة تحول في نوعية المشاركين. فمن الناحية الإستراتيجية، تحولت حملات التهديدات المعقدة من الأجيال الجديدة للحرب من كونها حملات عسكرية مدعومة بعمليات حرب المعلومات إلى حروب اتصالات إستراتيجية تدعمها قوى حرب العصابات وقوى العمليات الإرهابية.

تمثل تحالفات قوى التهديد الذي تواجهه القوات المسلحة الجزائرية تحديا كبيرا، حيث اندماج الجماعات الأيديولوجية والرجعية والانتهازية، جعل معرفة المهاجم والسبب الخفي وراء هجومه أمرا عصيا وأكثر صعوبة.

المقال تطرح قضايا رئيسية قوية ومحكمة الغرض بخصوص تعاطي العقيدة الأمنية القومية الجديدة مع هذه الأجيال الجديدة من التهديدات والحروب والتي تفرز نمطا غامضا ومعقدا من المعضلات الأمنية، ما يقضي وتفعيل مدخلات الخبرة السلوكية الأمنية الجزائرية وفق الموارد الإستراتيجية القومية المتاحة.

Abstract:

Current events indicate today that there are a number of key developments in the courtyard of the successive wars and style of the new threats، it is generally in the range of shifts: traffic shift strategy. And the movement of organizational transformation. The movement of a shift in the types of participants. It is the strategic point of view، the complex threats of the new generations of war from being backed out information war to the war's communications strategy backed gangs and the forces of war، terrorist operations forces military campaigns turned.

Alliances represent a strong threat to the Algerian armed forces، a major challenge، since the merger ideological groups and the reactionary and opportunistic، making the attacker to know the reason behind the attack even more difficult.

The article put strong key issues and the Court of purpose about the abuse of the Algerian military doctrine with these new generations of wars، which secrete a pattern vague and elusive threats، which requires activation input experience behavioral Algerian security in accordance with the national strategy available resources.

الموضوع:

«كل شيء يتغير، لكن لا شيء يمحي كلية ما كان... قبل ذلك نتركه وراءنا. وما لم يوجد مطلقا يوجد الآن، وكل لحظة تمر تتجدد»

يركز الجيش الوطني الشعبي حاليا على التحول النوعي المدروس لوحداته العسكرية من أجل تلبية تحديات بيئة العمليات المعاصرة (COE) ومتطلبات الحروب المستقبلية. ولكن ربما يكون هناك شيء ناقص عند الإعداد لعملية الإسراع نحو التحول: حيث إن التحول الحقيقي لا يقتصر على إعادة تنظيم المؤسسات العسكرية وإعادة تزود القوات بالمعدات الحديثة، بل إنه عملية إنشاء وبناء يتم بموجبها تكوين الأشياء وصياغتها بشكل جديد.

ولا يقتصر التحول الأكثر أهمية على التغير التنظيمي أو التكنولوجي، الذي يتعين على أجهزة الأمن الوطني الجزائري القيام بها أثناء الاستعداد لمواجهة التهديدات المستقبلية، بل يتطلب تحويل ثقافة الجيش الوطني الشعبي لإدارة المهام المعقدة لمواجهة التهديدات الجديدة وتجنب تعريض القيم الجزائرية الحيوية للخطر.

نظرًا وكثافة تهديدات القرن الحادي والعشرين فإن هيمنة المعلومات والاستخبارات المتزامنة والتخطيط القائم على القدرات مع ضرورة إجراء تحول عسكري للجيش الوطني الشعبي نحو صيغ مؤسسة أمنية صغيرة، لكنها أكثر سرعة واعتمادا على العمل الجماعي.

ورغم ذلك فإن طبيعة بيئة العمليات التي تواجه القوات المسلحة الجزائرية اليوم لا يمكن توجيهها على نحو أفضل باستخدام الإمكانيات التكنولوجية[1]. ولا يحتمل أن تصبح كذلك في المستقبل. وفي واقع الأمر، إن تهديدات الجيل الرابع التي ستوجهها القوات المسلحة الجزائرية أثناء العقد القادم ستحد بشكل كبير من تفوق وسائط الدفاع الوطني التقنية في نظم الأسلحة والمجسات الإلكترونية ووسائل الاتصالات. ومما يدعو للحيرة أن الأجيال الجديدة من التهديدات هي في مأمن من العديد من ميزات الجيش الوطني الشعبي التقنية، بينما هي تستغل طبيعة عصر المعلومات في محاولة منها لاستهداف الإرادة القومية للقوات المسلحة الجزائرية[2].

١ - تعريف بيئة التهديد:

قبل وصف التغييرات الضرورية على مستوى ثقافة الجيش الوطني الشعبي العسكرية وهذا من أجل مواجهة هذه التهديدات، فإننا بحاجة إلى تعريف بيئة التهديد نفسها، حيث تظهر من هذا الباب معضلة أخلاقية قد تشكل تحديا كبيرا بالنسبة للجيش الوطني الشعبي. ونود أن نشير إلى أن المفكرين والمتخصصين في حقل الدفاع على السواء يعرفون بيئة العمليات المعاصرة (COE) بتعريفات عديدة، ومع ذلك فإنهم جميعا يتفقون على أن القوات المسلحة مع تباين أشكال النظم والدول قد دخلت صراعا طويل الأمد[٣].

وعندما نعكف على تحليل أهمية وزن عمليات الصراع ضد حركات الإرهاب، نجد أن التحليلات المتعلقة ببيئة العمليات المعاصرة (COE) تختلف بالفعل. فعلى سبيل المثال، يرى البعض أن الحرب على الإرهاب منفصلة عن عمليات التمرد ولا تتصل بها، بينما يعتبرها آخرون وكأنها جزء لا يتجزأ منها[٤].

لقد وصف البعض الحرب الجزائرية على الإرهاب – والتي استحوذت على الجهد الرئيسي للجيش الوطني الشعبي وإلى غاية المستقبل المنظور– بأنها حالة حربية استثنائية ومشكلة ينبغي التعامل معها قبل الانتقال إلى تهديدات قاتلة جد تقليدية.٥ فهم يعتبرون أن القوة المسلحة المزودة بالإمكانيات التكنولوجية تكون مؤهلة بشكل جيد لمواجهة تهديدات الحرب النظامية، وغير مؤهلة في نفس الوقت لمواجهة حركات العنف المسلح أو تنفيذ مهام استقرار أو إعادة الأمن في فضاءات رمادية[٦].

في كتابه الرائع: «المقلاع والحجر: الحرب في القرن الواحد والعشرين»، The Sling and The Stone: On War in 21st Century، ينتقد العقيد توماس إكس هامس ويسخر من الوثائق المقترحة بخصوص تحولات التهديدات العالمية الحالية بسبب نفس نقاط ضعف نظم الأمن القومية أمام التهديدات الجديدة قائلا: «إذا كانت نغمات رجال الصحافة وما تمثله مهنتهم من أناقة «أفكارهم» الورقية، مثل «الرؤية المشتركة لعام ٢٠٢٠م»، و «الحرب القائمة على العمل الجماعي»، و«الدليل في تخطيط التحول»، فعلينا أن نؤمن بأن نظمنا تتجاوز قدرات أي تهديد وسوف تزودنا بفهم شبه تام لميدان المعركة. هذا على الرغم من الدلالة المعاكسة التي أظهرتها القاعدة وداعش وحركات العنف الإسلامي المسلح»[٧].

ومن الدلالة الواضحة على أن نظرية الإرهاب الاستثنائية لا تزال سائدة المفهوم في الجيش الوطني الشعبي، أن قيادة القوات المسلحة لا تزال تتبنى في تدريباتها الأساسية إلى حد كبير نظرية التهديد التقليدي التي تشكلها أمة تخيلية تملك معدات وتكتيكات عصر المجمعات الحربية الكبرى.

والأمر الذي يقر به العقيد هامس وآخرون هو أن الإرهاب والتمرد العالمي المتجسد في تنظيم داعش ليس استثنائيا. وبدلا من ذلك، ينظر إليها على أنها تمثل تطورا حديثا للحرب وتلك الصراعات وتحولها لما يسمى بانبثاق حرب الجيل الرابع (4GW) - وحركة تمرد عصر المعلومات - الذي يعد امتدادا وتعديلا لتكتيكات حرب العصابات التي أوضحها ما وتسي تونغ وتأصلت في حرب فيتنام والثورة الجزائرية وبأفغانستان وحتى في الانتفاضة الفلسطينية وكذا ما يجري في العراق حاليا[٨].

٢- تعريف حرب الجيل الرابع:

إن مبادئ حرب الجيل الرابع تتضمن على العموم المسائل الحيوية التالية:

- لا يمكن لأية قوة تقليدية إنزال الهزيمة «بقوة عظمى» مثل قوة الولايات المتحدة الأمريكية، أو اتحاد للدول الغربية في حرب تقليدية. حيث تجلى ذلك بوضوح في عملية عاصفة الصحراء وعملية الحرية الدائمة والمرحلة التقليدية من عملية غزو العراق.
- يمكن لأية حركة إرهابية مسلحة هزيمة «قوة عظمى» عن طريق إلحاق الهزيمة بقيادتها السياسية.
- قد يؤدي حرمان قيادة القوة العظمى من الدعم الشعبي العام في بلادها إلى هزيمتها. وتظهر تجربة الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام وصراع الإتحاد السوفياتي في أفغانستان جبروت إرادة الشعب القومية بالنسبة لجهود الحرب التي تبذلها أية قوة عظمى[٩].

ورغم وهم التفكير والأمل بالنسبة لأنصار التكنولوجيا، المعجبين بإمكانياتها وغيرهم من الذين يحلو لهم النظر إلى الإرهاب في الجزائر على أنه حالة استثنائية. ليتسنى لهم بالتالي إنكار الطبيعة الإرهابية للتنظيمات المحيطة بالبيئة القومية الإستراتيجية الجزائرية[١٠]، فإن حرب الجيل

الرابع ستهيمن على بيئات العمليات الحالية والمستقبلية. وحتى أن إلقاء نظرة خاطفة على خريطة أفريقيا توضح جليا الوضع الهش لمفهوم «الدولة القومية». وحتى إذا كان بوسع جماعات مسلحة من جيل آخر التخيل أنها بالإمكان الدخول في حرب مفاجئة مع قوة قومية ما، فإن الشخص بوسعه أن يضمن أن الحرب ستأخذ بشكل مؤكد وإلى حد كبير إطار نموذج حرب الجيل الرابع.

لا يحتاج المرء إلى مشاهدة التلفاز أو فتح إحدى الجرائد حتى يعرف شكل حرب الجيل الرابع: إنها الحرب الإعلامية وحرب المعلومات. ونظرا لأن الهدف الرئيسي لكل جانب من جوانب صراع الجيل الرابع هو الحصول على الدعم والتأييد الشعبي، فإن الصراع الرئيسي والحاسم سيصبح حملة الدعاية المعلوماتية للحرب[١١]. ويوضح ديفيد غالولا أصل ذلك في كتابه Warfare Counterinsurgency: Theory and Practice (حرب مقاومة التمرد: النظرية والممارسة)، قائلا: «إن الحاجة الأساسية الأولى التي يسعى إليها المتمرد هي التمسك بالقضية. والقضية الجذابة التي تهدف إلى أكثر من مجرد إثارة أعمال الشغب والعنف، وخصوصا في ضوء المخاطر المحتملة، وحقيقة تقضي أن المؤيدين الأوائل والمناصرين النشطاء - الذين هم ليسوا بالضرورة نفس الأشخاص - يتعين تجنيدهم بوسائل الإقناع والاقتناع بالقضية»[١٢].

وليس هذا بالأمر الجديد، فمن المتعارف عليه أن أية قوة إرهابية لا يمكنها الاستمرار والبقاء لفترة طويلة دون دعم شعبي. فعلى الأقل، عكست شعارات استمالة القلوب والعقول في الحرب الجزائرية على الإرهاب معرفة القوات المسلحة الجزائرية بنظرية مكافحة الجماعات المسلحة وحركات التمرد. حتى إذا كانت سلوكات الأمن القومي غالبا ما تظهر غير ذلك. ومع وضعنا لما سبق في عين الاعتبار، نجد أن الدعم الشعبي والإرادة الوطنية يشكلان مركز الجاذبية لأي سلوك إرهابي أو تمرد وأية حملة لمكافحة الإرهاب أو مقاومة التمرد.

إن عزل الجمهور عن الإرهاب أو التمرد يصبح أحد الأهداف الرئيسية لمكافحة الإرهاب أو مقاومة التمرد. ويوضح غالولا قائلا: «إن المشكلة المتعلقة بمن يكافح الإرهاب ويقاوم التمرد هي كيفية الحفاظ على منطقة خالية تماما من الإرهابيين أو المتمردين. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال الدعم الجماهيري والدعم الشعبي... لذا فإن الجمهور يصبح هدفا لمن يكافح الإرهاب أو يقاوم التمرد، كما كان هدفا لعدوه قبل ذلك»[١٣].

ونظرا لتطور التمرد، في ظل تأثير الإعلام العالمي، إلى حرب الجيل الرابع، فقد أصبح جليا أن هزيمة إرادة الشعب الجزائري قد تكون بمثل أهمية كسب دعم الجمهور المحلي أو أكثر. فعندما تخوض أية قوة قومية حربا ضد أي تمرد، تبرز إلى الأفق ظاهرتان من ظواهر الإرادة الشعبية:

الدعم الشعبي لهؤلاء من قبل الدولة التي تكافح التمرد (معارك القوات المسلحة الجزائرية في تحرير بعض المناطق السيادية والتي تشكل ثقوب الأمن السيادي القومي الجزائري). والدعم الشعبي للذين يرسلون قوات قومية مسلحة حاسمة (Task Force) هدفها ردع الجماعات المسلحة التي تشكل وسائط إستراتيجية تابعة لقوات نظامية قومية أخرى تستهدف جغرافية الجزائر الإقليمية. ويكتب هامس، مضيفا لما كتبه غالولا، قائلا: «من الناحية الإستراتيجية، تحاول حرب الجيل الرابع مباشرة تحويل عقول صناع السياسة لدى العدو. ويتم تحقيق ذلك من خلال الاستخدام الفائق لكافة الشبكات المتاحة من أجل هزيمة إرادة قيادة العدو مباشرة وإقناعها بأن أهدافها الحربية غير قابلة للتحقيق أو مكلفة للغاية. وسوف يتم استغلال هذه الشبكات لنقل رسائل معينة لصناع السياسة، وأولئك الذين يمكنهم التأثير على صناع القرار»[١٤].

ومن خلال تحويل المعركة من الأهداف المتعلقة بالأرض - أو القوة - إلى معركة حول الدعم الشعبي والإرادة القومية، فإن إرهابيو الجيل الرابع لا يقبلون الاعتراف بحدود الدول القومية فحسب، ولكنهم أيضا يمحون الحدود بين المستويات التكتيكية والإستراتيجية للحرب. وقد دأبت العادة على تقسيم الحرب إلى ثلاثة مستويات: المستوى التكتيكي (المعركة)، والمستوى العملياتي (حملة الدعاية) والمستوى الإستراتيجي (أهداف الحرب أو الأهداف الوطنية)[١٥]. وفي إطار هذا النموذج المقسم إلى مستويات، فإن إنجاز العديد من الأهداف التكتيكية سيؤدي إلى النجاح العملياتي للحملة، مما سيؤدي بدوره إلى النتيجة الإستراتيجية النهائية للحرب.

في بيئة العمليات الحالية وفي حرب الجيل الرابع بشكل عام، أصبح المستوى الإستراتيجي للحرب مهيمنا على المستويين التكتيكي والعملياتي، حيث تشابكت المستويات الثلاث مع بعضها البعض. وعندما يوجه الإرهابي جهده من أجل التأثير على الإرادة القومية لعدوه، فإنه يصبح متحررا من بعض الضروريات والقيود الأصلية لنمط حرب العصابات عند «ماو» أو القيود الإضافية التي صاغها غالولا.

فعلى سبيل المثال، قد لا يحتاج إرهابيو الجيل الرابع حتى إلى التحكم في مناطق أساسية (مبدأ ماو) إذا كان بمقدورهم تنسيق جهدهم الإستراتيجي من مواقع متفرقة. ويمكن أن تقتصر منطقة الإرهابيين الأساسية الآمنة على الإنترنت، حيث يقوم القادة على انفراد بتوجيه عمليات لامركزية حول العالم ومن مواقع منفصلة[١٦]. ويمكن تأخير المسؤوليات والقيود التي تترتب على امتلاك الأرض ووجود سكان يتعين الاهتمام بشؤونهم إلى حين أن يتيح توازن القوى أو النفوذ الإرهابي حرية الحركة. إن إرهابي الجيل الرابع لا يوجد أمامه احتياج ملح لحيازة الأسلحة والمواد نظرا لأنه في الغالب الأعم يمكنه استخدام أسلحة وأجهزة مصنوعة في المنازل أو حتى أنه يمكن أن يقرر الاستغناء عنها إذا كان يتبنى طرق المقاومة التي استخدمها غاندي أو الانتفاضة الفلسطينية الأولى[١٦].

إن تحفيز القوى التي تكافح الإرهاب على استخدام قوة ساحقة حاسمة غير متناسبة ضد قوة إرهابية ضعيفة التجهيز أو معزولة عن السلاح ومن مناصريها قد يمثل ضربة عملياتية معلوماتية هامة بالنسبة للجماعات الإرهابية.

إن القاعدة الأساسية التي يعمل بموجبها إرهابي الجيل الرابع، والتي تأخرت قيادة الجيش الوطني الشعبي في إدراكها بشكل مؤسف، تتمثل في أن كافة أفعال الإرهابي تعتبر إستراتيجية من حيث النطاق. فهناك أهداف تكتيكية قليلة جدا في حرب الجيل الرابع قياسا بالأهداف الإستراتيجية، حيث يتم حساب كل إجراء وكل انفجار سيارة وكل بيان أو تصريح من أجل التأثير ليس فقط على الهدف المادي، ولكن على الإرادة الجماهيرية القومية للعدو أيضا.

٣- الانضمام إلى حرب المعلومات:

نظرا لعدم مقدرة مقاتل الجيل الرابع على مضاهاة قوة عدوه الصناعية والعسكرية الكبيرة، فإنه يعمد إلى الدخول في حقل عمليات حرب المعلومات بشكل أساسي[١٧] وقد لا يكون وقع انفجار العبوات الناسفة في بعض الفضاءات الهشة من ولاية بومرداس ووسائل التفجير المصنعة محليا IED ذات أهمية كبيرة من الناحية التكتيكية. وقد لا يتعرض الهدف التكتيكي المقصود من وراء الإنفجار لأية خسائر. وقد تكون آثاره تافهة في السياق المباشر والمغزى العام، نظرا

وأن الجزائر تحتكر القوة التكتيكية والعملياتية في بيئتها الجغرافية السيادية – ولكن الهدف الإستراتيجي المقصود من وراء مثل هكذا عمل إجرامي هو نقل الحدث للمشاهدين من عامة الجمهور والرأي العام الدولي والجزائري، الذين سوف يشاهدون النتائج على القنوات الفضائية وعلى الصفحات الأولى من الجرائد حول العالم. حيث تترك تلك النتائج تأثيراتها من دون أدنى شك. ليصبح الانفجار ونتائجه على الفور جزء من إحصائيات الحرب. كما سيدخل في عمليات التقييم وصنع القرارات بالنسبة لمتلقيي الأخبار.

وبعيدا عن الإحصائيات النسبية، فإن مشاهدة الحدث ستتاح مباشرة لجمهور عريض، مما سيترتب عليه آثار مختلفة. فقد يتم عرض الانفجار على شبكات الأخبار الخاصة بالجزائر أو دول الجوار الجغرافي، مما يدفع إلى إجراء مناقشات حول ما إذا كان الوضع هناك يشهد أي تحسن، أو حول التكاليف المتزايدة المترتبة على مواصلة الصراع. كما أنه قد يستخدم على مواقع الويب Web الخاصة بالإرهابيين باعتباره أداة للتجنيد وبيان الكيفية ورفع المعنويات. وعادة ما تستضيف مواقع الويب الخاصة بالإرهابيين وغيرها من المنافذ على الإنترنت أفلام الفيديو الخاصة بالهجمات على فرق من الأمن الوطني أو قوات الدرك الوطني، مصحوبة غالبا بمسارات صوتية ووسائل شعارية مركبة فوق الصورة. ويشار إلى أن عمليات التفجير والاغتيالات والاختطافات هذه لا تحدث سوى تأثيرا ديناميكيا طفيفا أو أن تأثيرها التكتيكي لا قيمة له.

وأحيانا يؤكد القادة العسكريون الجزائريون بكل ثقة أن المتفجرات والعبوات الناسفة المصنوعة محليا ليس بإمكانها أن تحد من حرية الحركة لديهم أو لدى الوحدات التكتيكية. ولكن الهدف الحقيقي من وراء هكذا عمليات هو الحد من حرية الحركة الأساسية لدى صناع القرار السياسي في الجزائر.

إن حملات العبوات الناسفة والاختطاف في الجزائر مثلت ولا تزال تمثل عمليات معلوماتية رئيسية ذات تأثير إستراتيجي كبير، حيث يبدو جليا أن أهدافها ذات نطاق استراتيجي. كما أن جمهورها يشمل الجزائريين والقادة العسكريين والجمهور الدولي. وحول التكتيكات في بعض الفضاءات القومية السيادية الهشة، لا بأس الاستدلال هنا بما كتبه هامس موضحا أن: «اختيار الأهداف من قبل قوات مناهضة للقوة العسكرية القومية، أظهر مفهوما استراتيجيا واضحا

لتدمير الإرادة القومية من خلال مهاجمة القوات العسكرية القومية أو أي حكومة أو جهة تدعم الأمن القومي لدولة ما أو يعتقد أنها تتعاون معها»[١٨]. على الرغم من ذلك، فإن هدف الهجوم لا يمثل أهمية فعلية من الناحية التكتيكية، حيث إن المهم هو تنفيذه ونشره على الملأ.

لقد انضمت الجزائر مثلها مثل بقية الدول المستهدفة من قبل تهديدات حرب الجيل الرابع إلى حرب المعلومات في وقت متأخر، لكنها الآن مشاركة فيها وتخوضها بكل قوة. لقد تم شن المعركة الإستراتيجية لكسب الإرادة الجزائرية عبر أثير الفضاء (وهذا بعد عملية إطلاق أول قمرين صناعيين جزائريين) وشبكات البث الفضائية التي تفسد الحياة اليومية لخصوم اليوم والغد. إن حرب المعلومات تحيط بالجزائر من كل جانب. ومن عمليات التبادل النمطية في هذه المعركة بعض الأحداث الإخبارية كالتي نقلت عام ٢٠٠٦م الذي سببه هجوم فاشل على ثكنة عسكرية بشرق ولاية جيجل. ولقد قام الإرهابيون بتصوير الهجوم من أجل استخدامه في حملتهم الدعائية. وحينما فشل الهجوم في مراحله الأخيرة، فقد تم استعادة الفيلم وأصبحت تلك الثكنة حديث الأخبار الجزائرية، حيث أوضحت الطريقة التي من خلالها تم ردع الإرهابيين ومن ثم القضاء عليهم وكيف أن جنود الثكنة قاموا بعد ذلك بالاعتناء بجراح بعض الإرهابيين الذين نجوا من الموت جراء كثافة نيران أفراد الثكنة المستهدفة. لقد أصبحت العملية المعلوماتية الدعائية الفاشلة للإرهابيين فرصة «للرد المضاد» بأدلة عن فشلهم مع إيضاح القيم العسكرية الجزائرية الإيجابية.

وللمرء مطلق الحرية في قبول أو رفض فكرة أن الحرب المستقبلية ستهيمن عليها عمليات الدعاية والمعلومات. وعلى الرغم من ذلك، فإن حكومة الجزائر والجيش الوطني الشعبي يدققان النظر في الصراع الحالي من خلال هذا المنظور.

إن بعض أهم المعارك في العشريات الأولى من القرن الواحد والعشرين تجري الآن في «غرف الأخبار»، بالتالي يتعين على تخطيط الاتصالات الحكومية القومية أن يكون «مكونا مركزيا لكل جوانب هذا الصراع»[١٩].

٤- تحولات في الجيش الوطني الشعبي لتتوافق والعمليات المعلوماتية:

تشكل هيمنة العمليات المعلوماتية في الصراعات الحالية والمستقبلية تحديات فريدة

ومزعجة بالنسبة للمؤسسة الدفاعية الجزائرية[٢٠]. وتتطلب هذه السمة الخاصة بحرب الجيل الرابع بشكل عاجل إجراء تعديلات داخل ثقافة وعقيدة مؤسسات الجيش الوطني الشعبي. ولتوضيح سبب ذلك، يتعين أن نفحص التأثيرات المترتبة على عمليات إلغاء الفواصل الكامنة في حرب المعلومات.

يستخدم الجيش الجزائري حاليا لغة فوهة المدفع عند استهدافه لمناقشة حملة المعلومات. ومن بين المصطلحات السائدة «استهداف التأثيرات غير المميتة» و«النيران المعلوماتية والنيران المضادة»[٢١]. وعادة ما يتم تنسيق العمليات المعلوماتية لأحد الأقسام أو القيادات الفرعية من خلال ربط التأثيرات والنيران بأحد مراكز القيادة. وهي عملية غالبا ما يقودها ضباط المدفعية أو غيرهم من «عناصر الاستهداف». إن استخدام تلك اللغة يوضح أكثر من مجرد أن سرعة التغيير تفوق قدرة الجيش الهائلة على صياغة لغة جديدة: حيث تبرز هذه المصطلحات جانبا هاما من حرب المعلومات. بينما يتم «إطلاق» النيران والنيران المضادة عبر الإعلام.

يجب أن نفهم، ما هو الهدف الرئيسي؟، ومن الذي «سيصاب» بهذه الطلقات الرقمية؟، ومن سيتعرض لوابل من النيران الكثيفة؟ فإذا كان الهدف الرئيسي، كما هو موضح أعلاه، من هجوم إرهابيي الجيل الرابع هو الإرادة القومية الجزائرية، فإن الامتداد المنطقي للصراع حينئذ يتطلب استهداف الجمهور الجزائري إستراتيجيا، ليس فقط من قبل الإرهابيين، ولكن من قبل نيران الجزائر المضادة أيضا. وهذا لا يمثل تحديا أخلاقيا فحسب أمام الجيش، لكنه يمثل أيضا خطرا حقيقيا على المؤسسات الديمقراطية الجزائرية.

إن العوامل الأساسية لنجاح القوة الدفاعية القومية تمثلت في تحديد أربعة خطوط ميدانية للعمليات (LOD): «التحكم القيادي في المنطقة، الاتصالات، التنمية الاقتصادية، والأمان».٢٢ أما عن الأمان فهو وحده المرتبط بأدوار الجيش الوطني الشعبي التقليدية. وفي واقع الأمر، إن الخطوط العملياتية الثلاثة الأولى تركز بوضوح على كسب الدعم الشعبي من طرف القوات القومية: فهي توضح أن القوة الأمنية القومية قد أدركت أن الدعم الشعبي هو مركز الجاذبية في حرب مكافحة الإرهاب.

ويعد خط العمليات الخاص بالاتصالات هو الأكثر أهمية في هذا السياق، حيث يكتب باتيستي قائلا: «إن أي هجوم مثير للعدو يحتل الصفحات الرئيسية الإعلامية الأولى حول العالم. ونحن نرى أن الإعلام العالمي، بما في ذلك شبكات التليفزيون القومية الرئيسية والإعلام المكتوب، تركز بشكل كبير على الأحداث السلبية. وبطبيعة الحال، فإن العدو، مستخدما ممثلين إعلاميين يتعاطفون مع قضيته، استطاع شن حملات دعائية لتشويه المعلومات ولنزع الصلاحية الشرعية للقوة الأمنية القومية[٢٣]. وقد استدعى هذا، اتخاذ عملية معلوماتية استباقية وسريعة ومنسقة. فضلا عن عمليات الحرب النفسية (PSYOP)، وتدريبات على معركة الشؤون والعلاقات العامة من أجل تصحيح التقارير غير الدقيقة أو غير المكتملة[٢٤].

من الأمور الرئيسية التي يتعين ملاحظتها في هذا الاقتباس إشارة باتيستي إلى وسائل الإعلام القومية ودعواه بأن الصحافة القومية أظهرت في العديد من الدول التحيز السياسي في الفترات السابقة إلى كل ما يتعلق ومعالجة ظاهرة الإرهاب. ومن الواضح أن القوات المنزعجة من ثبات وفاعلية القوات المسلحة الجزائرية على سبيل المثال والمعادية لها، ستستهدف الجمهور الجزائري والرأي العام الإقليمي بحملات معلوماتية دعائية تزعم ارتكاب القوات المسلحة الجزائرية لأخطاء إبان حربها على الإرهاب. ولكن ما هي النقطة التي ينبغي عندها القادة الميدانيين استهداف الجمهور الجزائري والرأي العام الإقليمي أيضا بمعركة علاقات عامة؟ إنه بالإمكان بالنسبة لقيادة القوات المسلحة وبسهولة تحديد تلك النقطة في مكان ما بين تصحيح التقارير غير الدقيقة والحكم على تقارير معينة متحيزة بسبب سياسات دفاعية قومية تتعلق بمواجهة التهديدات.

لقد كان الهدف الرئيسي هو عدم السماح بمرور أي تقرير غير دقيق دون محاولة تصحيحه.. فلقد أصدرت وحدات القوات المسلحة عبر قيادة النواحي العسكرية والقطاعات العملياتية «نشرات» عبارة عن ملخصات بسيطة باللغة العربية مكونة من صفحات قليلة تضم أحداثا إخبارية دقيقة وجيدة – وقامت بتوزيعها على المنافذ الإعلامية ومقرات القيادة العليا.

إن الهدف من ضابط العلاقات والشؤون العامة التابع للقائد هو المساعدة في إمداد (أو استهداف) الشعب الجزائري بمعلومات حول الحملات الحالية. ولا شك أن القادة العسكريين الجزائريين يحاولون نقل الحقيقة (من وجهة نظرهم) للشعب الجزائري والرأي العام، لكن

النظام الذي ينشر «رسائل القيادة الجزائرية إلى المستوى الأدنى» ويستخدم «نشرات إيجابية» كسلاح ضروري في حرب المعلومات، يشرع بذلك للدخول إلى مسارح عمليات خطرة وغير واضحة المعالم. وقد يكون ذلك نتيجة منطقية لحرب أهدافها الرئيسية هي كسب الدعم الشعبي المحلي والإقليمي (الجزائري وشعوب دول الجوار الجغرافي في هذه الحالة). لكن هذا يعرض المتخصصون العسكريون والسلطة السياسية القومية لخطر إفساد الحريات الديمقراطية الرئيسية.

وإذا ما تم إرغام الجيش، في محاولة للفوز بحروب الوطن، على التلاعب بمعرفة الجمهور بالأحداث – وهي معرفة هامة للمشاركة المطلعة في العملية الديمقراطية – فكيف يطمئن هذا الجيش إلى أن السلطة السياسية وأهداف الحرب ستظل مشروعة؟

إن التوجيه القومي الأمني العملياتي يقضي أن تشكيل المجموعات الأساسية لنشر المعلومات العامة الأمنية من أجل مواجهة المشكلات التي تم تحديدها أثناء المهام العسكرية لا بد أن تراعى في العملية التأكيد على أن المجموعات ينبغي أن توفر معلومات ليس الهدف منها تضليل جمهور دول القرب أو الجوار الجغرافي، بل يجب أن تكون هذه المعلومات «صادقة». إلا أن الميثاق الأخلاقي للسلوك الأمني القومي الجزائري يوضح القلق بشأن تقارير الإعلام الأجنبي التي تنقلها وسائل الإعلام الأمريكية خاصة، والتي قد تؤدي إلى حدوث آثار معلوماتية سلبية على مصادر المعلومات الجزائرية. وقد بلغ القلق إلى درجة الدفع الحتمي بالقوة الأمنية القومية للاتجاه نحو خيار تنسيق الجهود بالنسبة للمعلومات ومصداقيتها ودمجها وإزالة الاختلاف بينها ومزامنتها من أجل تحقيق جهد متضافر للأنشطة المعلوماتية الإستراتيجية[٢٥].

ويتضح أنه بينما تدفع قيادة الجيش الوطني الشعبي نحو إلغاء الفواصل بين المستويات في الحرب وأنشطة مقاتلي الجيل الرابع إلى استهداف الرد على العمليات المعلوماتية أو التدريب على معارك العلاقات والشؤون العامة بالجزائر والمجتمعات الإقليمية، ينبغي على قيادة القوات المسلحة الجزائرية التوقف مؤقتا للنظر في النتائج. بينما تحاول قيادة الجيش تحقيق الفوز في حرب الإعلام والمعلومات الإستراتيجية، فقد تتجاوز قيادة الجيش هذه الخطوط الدقيقة بسهولة بالغة عن طريق الخطأ.

٥- إطلاع ومشاركة الجماهير:

يعد الإعلام غير المقيد جزءًا أساسيا من نظام المحاسبة والتدقيق Check and Balance في النظام الجزائري، فلا يمكن للديمقراطية أن تؤتي ثمارها بدون شعب مطلع وواع. كما أن وضع القيود أمام الإعلام وملكية الدولة له تعيق بوضوح فرص الشعب في اتخاذ قرارات سياسية مطلعة وواعية. ولسوء الحظ، فإن الثقافة العسكرية الجزائرية غالبا ما كانت تدعم علاقة العداوة التقليدية مع الصحافة الحرة، وفي أفضل الأحوال، ينظر الجيش الوطني الشعبي إلى الصحافة على أنها أداة وسلاح يستخدم لنقل رسالة القيادة الودودة والقصيرة إلى الجمهور المستهدف، وفي أسوأ الأحوال، ينظر الجيش إلى الصحافة على أنها جهاز إعلامي معاد.

بالتالي يعتبر، منح الطلبة الضباط في الكليات والمدارس العسكرية فرصة المشاركة من خلال الفصول التكوينية/ الدراسية في مقابلة إعلامية تقليدية يعتبر ذي أهمية كبيرة، خاصة وأن الهدف من وراء هكذا تدريب - هذا إلى جانب مناقشات اللجان الإعلامية والفصول- هو مساعدة الضباط العسكريين وقادة المستقبل على معرفة الكيفية التي من خلالها يتم التعامل مع وسائل الإعلام. وفي أغلب الحالات، تبين أن التمثيل الإعلامي - وهذا حسب آراء الطلبة العسكريين- ما هو إلا عدو آخر يتعين مكافحته في ميدان المعركة. وقد عمدت مهمة لعب الأدوار إلى تصوير الصحافة على أنها جاهلة أو متحيزة بشدة. فغالبا ما كان يتم تصوير الصحفيين على أنهم يقومون بالهجوم، بدلا من كونهم مهتمين بالحصول على قصة ذات صلة وصادقة لنقلها إلى الجمهور. وتعد هذه الأعراض والعوامل مساهمة في الصراع المستمر بين الصحافة والجيش.

وقد تأصل بلا شك جزء من السبب في هذا الاتجاه نظرا للعزلة المتزايدة للجيش عن الثقافة الجزائرية السائدة. غير أنه يمكن تبرير هذه العزلة على أنها بسبب تلك الصعوبات التي تواجهها الجزائر إقليميا في حربها على الإرهاب. رغم أن عادات وتقاليد الجيش الجزائري في معظمها هي نتاج المجتمع الجزائري، إلا أنها مميزة بشكل مذهل... فجنود الجيش الوطني الشعبي هم مواطنون جزائريون: ولا شك أنهم انعزلوا تماما عن انتماءاتهم الأصلية عندما قرروا طريق الخدمة في الجيش[٢٦].

في واقع الأمر، هنالك مجموعات من الضباط الجزائريين يواجهون اليوم صعوبات نسبية ما يتعلق والتكيف مع ثقافة التهديدات الجديدة ومخاطر من حرب الجيل الرابع أكثر منها مما يتعلق والتعامل مع الصحافة الحرة. وفي كلتا الحالتين، فإن المشكلة تنحصر في طبيعة الثقافة الاجتماعية العامة وعادات وتقاليد الناس المختلفة من قطعة جغرافية سيادية إلى أخرى. وهذا في إطار عدم اعتقاد قيادة الجيش بوجود أي خطأ كامن في التحيزات الثقافية السائدة في مجموعات الضباط أو الجيش ككل ما عدا ما هو مرتبط وحالات التطرف الشديد والتحيز الظاهر، الموحد للتفكير والتي من شأنها أن تشكل عائقا في أي مؤسسة[٢٧].

إن قبول التعامل مع الثقافات الأصلية الاجتماعية المختلفة والإعلام المحلي والإقليمي أمر ضروري لتحقيق النجاح والتفوق في الصراعات الحالية منها والمستقبلية. ونظرا لطبيعة الحرب ذات المستويات المنفصلة والطبيعة الحاسمة للعمليات المعلوماتية، فإنه ليس بوسع قيادة الجيش أن تترك المعركة لمجموعة من الضباط تعوقهم الثقافة الخاصة. والأمر الذي يدعو للأسف، أن أكبر المعضلات الأخلاقية التي تواجه الضباط في الصراع الحالي والمستقبلي تشمل التعامل مع الإعلام والمسائل السياسية، حيث أن كلى المعضلتين تشكلان نقاط ضعف كبيرة أمام محاولات فهم الحالة الراهنة للبنية الثقافية الاجتماعية لمجتمع تتحكم فيه تقاليد مختلفة.

ولا يعكس قلق قيادة الجيش بشأن التحيز الاختياري شكلا لعدسة سياسية تجسد من خلالها الصحافة فقط، لكنها تراها على نحو أكثر وضوحا دون قصد أن هناك أدوارا سياسية يلعبها كل من الإرهابيين وفرق الإعلام والصحافة. لا يبدو أن افتراضها الضمني بأن الصحافة (وربما الإرهابيون) سيستخدمون تغطية سلبية للحرب الجزائرية على الإرهاب من أجل ترجيح كفة سياسة جهة غربية لصالح كتلة إستراتيجية أجنبية أخرى، دون التوقف من أجل مناقشة ما هو أفضل بالنسبة لعامة الناس.

قد تثير هذه الملاحظات نوعا من الاستقطاب الذي من شأنه أن يتحول إلى نقطة ضعف حاسمة أثناء خوض القوات المسلحة الجزائرية معركتها الإستراتيجية لكسب الإرادة الجزائرية. كما ولا يتمثل الخطر في كون أن هناك ضباط ذوي نية سيئة سيخططون في غرف مظلمة لشن حملات نفسية من أجل ترجيح الدعم الشعبي في اتجاه أو آخر، وهذا من أجل تضليل الشعب

الجزائري. لكن الخطر يتمثل في أن الضباط ذوي النية الحسنة سوف يتلاعبون عن غير قصد أو معرفة الشعب الجزائري أثناء مواجهة العمليات المعلوماتية للعدو دون نظر تام في تأثيرات الدرجة الثالثة المترتبة من وراء ذلك التلاعب. وهناك عاملان يجعلان من ذلك الأمر مثيرا للاضطرابات على نحو كبير: الأول هو التوافق السياسي والديني والثقافي السابق لمجتمعات الضباط والذي قد يجعل الأمور لا تبدو جلية. والعامل الثاني هو الاتجاه العام بعدم الرفض لدى نفس المجموعات. فمجموعات الضباط تضم العديد من الشخصيات المتميزة. كما أن العديد من العبارات المبتذلة مثل: «لا تثير مشكلة ليس لها حل» و«المدى المؤثر للعذر هو عدم وجود أي مسافة له»، وشعار «يمكن تنفيذه» وصراخ «يحيا» تحدد كلها نوع المشكلة الإيجابية.

فبدأ من الحفرة في الخندق على أرض المعركة وانتهاء بوزارة الدفاع الوطني، تستطيع القوات المسلحة الجزائرية أن تؤسس اتجاها بإمكانية القيام بالأشياء وأداءها. حتى في الحالات التي قد تكون الإجابة الصحيحة فيها هي: «يمكننا عمل الشيء ولكن لا يفترض بنا عمله».

٦- التعبير عن «الرفض»:

الأمر الذي يمثل مشكلة أكبر هو عندما تكون الإجابة الصحيحة هي عبارة لا للتعبير عن «الرفض». فبينما يقدس الجيش الوطني الشعبي وصفوف ضباطه الاحترام والنزاهة والشجاعة الشخصية، يبدو أن هناك حظر غير مكتوب ضد كلمات مثل «لا» أو «لا نستطيع». وهذا التردد لتأكيد الجانب السلبي يتعاظم في حرب المعلومات التي لا حدود لها، خاصة عندما ينظر إلى أي أخبار سلبية على أنها انتصار للإرهابيين. ومن وجهة نظر الضباط من ذوي النية الحسنة، فإنه للفوز بحرب المعلومات الإستراتيجية، يتعين أن تتجاوز أعداد الأخبار الجيدة أعداد الأخبار السيئة. وهذه العوامل تجعل صفوف فرق الضباط عرضة بشكل خاص لأن تصبح مشاركة غير مطلعة في الصراع السياسي لكسب الإرادة الجزائرية، مما يجعلها عن غير قصد تتجاوز الحدود القانونية والأخلاقية لتجد نفسها لا تستهدف فقط مقاتلي الجيل الرابع، ولكن الشعب الجزائري أيضا.

ولن يصبح سهلاً في حرب المعلومات غير واضحة المعالم بالجيل الرابع تحقيق الهيمنة مع الاحتفاظ بالقيم الديمقراطية. وتوجد أدلة فعلية تشير إلى أن هذا الصراع قد يؤدي إلى محو القيم

الأصيلة التي تجتهد قيادة الجيش من أجل حمايتها. كما وتجري مؤخرا مناقشات حول تداعيات تصريحات ضباط الجيش المتقاعدين عن الخدمة، ويعد رد فعل قيادة الجيش على تصريحات البعض منهم أمام وسائل الإعلام مؤشرا ودليلا على المشكلة. إذ أثناء تواجدهم بالخدمة الفعلية، واجه الضباط عوائق أو قيود تمليها تقاليد الكياسة العسكرية التي تتعلق بعدم انتقاد القيادة العسكرية والقيادة المدنية والمدنيين على حد سواء. وإذا ما عبروا عن آرائهم بعد تقاعدهم فسوف يكونون عرضة للسخرية لأنهم كانوا ضباط كبار متقاعدين أو سيتم توبيخهم بسبب الظن أن انتقاداتهم قد تكون ورائها دوافع سياسية.

وفي مثل هكذا بيئات ديناميكية، أين يكمن واجب العسكريين للتعبير عن آرائهم المهنية؟، وهل المشورة العسكرية السليمة متاحة بالفعل للقادة المدنيين، إذا كان تأكيد الجوانب السلبية أمرا مستنكرا داخل الثقافة العسكرية؟

يتعين أن تتوافر للمتخصصين العسكريين فرصة لتقديم الخبرة بطريقة غير مقيدة لضمان اتخاذ الإجراءات الصحيحة وتحقيق النجاح والهيمنة، مع الاحتفاظ بالتقاليد التي تحارب القوات المسلحة الجزائرية من أجلها. ويتعين إجراء إصلاحات كبيرة داخل مؤسسة الأمن الوطني الجزائري وثقافة بيئة المجتمع المهني العسكرية.

وينبغي أن تتضمن عملية الإصلاح الكبرى الأولى إعادة تأكيد السلطة السياسية وإعطائها الأولوية على السياسة الخارجية. لقد ساهمت عملية عسكرة السياسة القومية الجزائرية بوسائطها الناعمة والذكية بشكل كبير في نجاح إرهاب الجيل الرابع وانتشاره النسبي إقليميا وتقويضه في الجغرافيا القومية السيادية.

إن عدد الأفراد الموثوق بهم المطلوب لسحق الإرهاب يزداد بشكل مذهل. ولا يمكن لغير القوات المسلحة عادة توفير هذا العدد على الفور. ونتيجة لذلك، تتعرض حكومة مكافحة الإرهاب لإغراء مزدوج يتمثل في: تخصيص مهام سياسية وشرطية وغيرها من المهام للقوات المسلحة، أو ترك الأمر للجيش لكي يوجه العملية بالكامل[٢٨]. ورغم هذا الإغراء، فإنه يفضل أن تخضع المهام المرتبطة بمكافحة الإرهاب لقيادة القادة الدبلوماسيين/ السياسيين، وليس القادة العسكريين.

ومن الواضح أن الشخصية الدبلوماسية أو السلطة السياسية المدنية تكون أكثر قدرة على توجيه جهود أية حكومة والاهتمام بالتنمية الاقتصادية وسبل الاتصالات. وبدلا من إسناد هذه الأنواع من المسؤوليات للمؤسسة الدفاعية، فإنه ينبغي عليها توجيه مواردها للدولة وغيرها من المؤسسات غير الدفاعية من أجل زيادة السعة العاجلة مع تطوير قوة عسكرية أكثر ملائمة وتجهيزا لدعم الجهود غير الدفاعية.

٧- بناء وتنمية القوة:

إن العمل على تنمية وتوجيه قوة، وبصفة خاصة، نخبة ضباط قادرين على العمل في بيئة حرب الجيل الرابع ستستهلك الكثير من الوقت وستكون مكلفة وصعبة التحقيق من الناحية السياسية. وسيكون المطلب الأول هو زيادة حجم الجيش والمؤسسات الأخرى التي سبق ذكرها.

إن مكافحة الإرهاب ليست مهمة تكنولوجية، بل هي عملية مواجهة مباشرة لكسب الثقة وبناء الإجماع، بالإضافة إلى توفير الأمن. فالتكنولوجيا لا تتيح للجيش الوطني الشعبي سوى وسائط للعثور على الإرهابيين والقضاء عليهم. بينما يتيح التفاعل من خلال التكنولوجيا المنخفضة إنهاء الإرهاب نفسه. كما ستتيح زيادة حجم القوات مزيدا من الانتشار عبر الدولة المتأثرة بدلا من تركيز القوات في قواعد العمليات المتقدمة المعزولة والمحمية بشكل مكثف، أو قواعد العمليات المتقدمة التي يصبح فيها الجنود «معزولين» ونادرا ما يتفاعلون مع السكان المدنيين ومن ثم يكاد يكون تأثيرهم شبه منعدم في الصراع ضد الإرهاب.

وتنطوي استراتيجية المشاركة على المخاطرة: فهي تعرض حياة الجنود للخطر أثناء انضمامهم إلى الجماهير والعامة، كما أنها قد تشكل خطورة حيث إنهم سيساهمون في حملة المعلومات الإستراتيجية المفيدة للعدو من خلال أفعالهم أو سكونهم وعدم إبداء ردود الفعل التي قد تسبب حتى وفاتهم. وتعد الطريقة الوحيدة للتقليل من هذه الخطورة هي من خلال توفير قيادة وتدريب متميزين. والأمر هنا يتجاوز مجرد التدريب على اللغة العملياتية البسيطة أو تدريبات الوعي بالعبوات الناسفة الموضوعة على الطرق. إن القوة المطلوبة في عالم تهيمن عليه حرب الجيل الرابع سيتعين عليها أن تكون متميزة ثقافيا ومختلفة بشكل مميز عن ثقافة الجيش الوطني الشعبي الحالية.

ولتوفير القدرات المتميزة الضرورية للهيمنة والسيادة على أرض صراع غير محددة المعالم، فإن قيادة الجيش بحاجة إلى مراجعة المفهوم الذي تعنيه مهنة الجندية الجزائرية. مع اقتراح الإصلاحات الرئيسية التالية، والتي تركز بصفة أساسية على صفوف الضباط من أجل قيادة التغيير:

* إلغاء التأكيد على الحلول الحركية. وتعد مبادئ المحاربين الحالية نقطة بداية جيدة لتغيير تركيز الجيش الجزائري. لقد أصبح التأكيد الذي تبديه «عقيدة الجنود» الجديدة بالقوة الحركية والمتمثلة في «أنا الجندي على أتم الاستعداد للانتشار والمشاركة والقضاء على أية قوة معادية للجزائر في اشتباكات قريبة» غير مناسب مع الاتجاهات القتالية الحالية والمستقبلية. ويرجح أن قيادة القوات المسلحة الجزائرية لن تكون بحاجة إلى جيش يضم جنودا للقتال عن قرب سواء في الوقت الحالي أو في المستقبل. بل ستكون في أمس الحاجة للجنود الذين لهم دراية بالحلول غير الحركية والراغبين في تطبيقها.

إن عملية تغيير تأكيدات قيادة الجيش عن طريق تغيير العقيدة والسمة العسكرية ليست بالعملية السهلة. ويتعين أن يعتنق الجيش تعريفا أوسع نطاقا للحرب وأن يعيد تعريف دور الجيش في هذه الصراعات المتفرقة. كما ولم يعد التأكيد على أن مهمة قوات الجيش الوطني الشعبي هي ببساطة «الحرب والفوز بالحروب التي تخوضها الدولة الجزائرية» أمرا مسموحا به نظرا لأن تعريف قيادة الجيش للحرب أصبح ضيق المفهوم ولا يمثل فائدة.

* بناء القادة الذين يمتلكون القدرات ويتسمون بالإبداع والتفكير الناقد. إن بناء جيش يضم هؤلاء الضباط والجنود، سيمكن القوات المسلحة من خوض حرب المعلومات للجيل الرابع وحرب الجيل الثالث التقليدية. ولا أساس له من الصحة ذلك التخوف من أن تركيز الجيش على حرب الجيل الرابع سيفقده قدرته على هزيمة العدو في الحرب التقليدية. وسوف تنتج التغييرات الضرورية لخوض حرب غير واضحة المعالم بشكل فعال قوة أكثر حدة وسرعة، قادرة على هزيمة أي تهديد تقليدي. ورغم ذلك، يتعين أن يبدأ التغيير بين صفوف الضباط. رغم أن هذا التحول في التركيز من التعليم الفني أو العلمي إلى تعليم فنون متحررة أوسع نطاقا يبدو بسيطا، إلا أنه سيشكل كثيرا من الخلاف.

إن الخلفية الفنية المتحررة تزود الضباط بمهارات التفكير الناقد، الضرورية للتكيف والتغلب وفقا لما تتطلبه الضرورة. فعلى سبيل المثال، إنه أثناء التدريبات والمناورات الحربية، تظهر الطرق التقليدية لتتبع الفعل والفعل المضاد ورد الفعل بطريقة خطية والمؤهلات المترتبة على ذلك، غير كافية نظرا لما تتسم به مكافحة الإرهاب من تعقد واختلاف دقيق.

غالبا ما تترجم القدرة على قراءة شعارات الأكاديميات العسكرية والنصوص مع الاهتمام بالسياق أو المغزى والنص الفرعي والاختلافات الدقيقة إلى القدرة على قراءة العالم. بالإضافة إلى ذلك، فإن التجنيد المتزايد في هذه الفروع سيجذب مجموعة أكثر تنوعا من المتقدمين وهذا من أجل تدعيم هؤلاء المتواجدين بصفة تقليدية في فروع الهندسة والفروع الفنية، مما يجلب مزيدا من التنوع في الأفكار والإبداع بالنسبة لرتب وصفوف الضباط.

* زيادة المتطلبات والواجبات ما قبل التكليف وإعادة التفكير في فلسفة التعليم العسكري المتخصص. يتعين أن يتمتع كل ضابط عند التكليف (التخرج) بطلاقة أساسية في لغة واحدة على الأقل ذات أهمية وفقا لما تحدده وزارة الدفاع الوطني. ويتعين على الجيش حينئذ أن يتيح فرص الانخراط الثقافي خلال حياة الضابط العملية. كما أن قضاء فترة من التدرب في العمل أو معايشة تجارب متبادلة بين الهيئات المختلفة والحكومة سوف تؤدي أيضا إلى تدعيم المهارات المطلوبة في عمليات الاستقرار وإعادة الهيكلة إلى جانب المساعدة في الحفاظ على اندماج صفوف الضباط في المذهب العسكري الجزائري العام. وبعد ذلك ينبغي على العديد من الضباط الذين يشغلون رتبة نقيب أو رائد، الخدمة في مواقع بهيئات متعددة من أجل تقدير عمليات الهيئات المتعددة وتوسيع نطاق تعرضهم الثقافي ومنع العزلة المستمرة للثقافة العسكرية.

وعلى المستوى الميداني حاليا، يفترض أن يتلقى جميع الضباط تعليما متوسطا، والذي كان مقصورا فيما مضى على مجموعة من أفضل ٥٠٪ في سنة معينة. وبدلا من ذلك، فإنه مع توفر قوة أكثر حجما لتوفير طوفان محسوب أكبر حجما (المتدربون)، فإن الهدف ينبغي أن ينصب على تزويد كل ضابط بفترة تتراوح بين ١٨ شهرا و٢٤ شهرا من التعليم المدني، بحيث يتمكن كل منهم من الحصول على درجة الماجستير. كما وينبغي أن يكون موضوع الدراسة غير مقيد بشكل نسبي، وأن يشمل فروعا مثل: العلاقات الدولية والتاريخ والعلوم السياسية والفلسفة والأدب.

لن تؤدي مثل هذه التجارب فقط إلى شحذ مهارات التفكير الناقد عند الضباط وبناء قادة على قدر كبير من التعلم، ولكن الوقت الذي يقضونه في المجمع التعليمي المدني سيعرفهم ثانية بتنوع الأفكار والتجارب الجزائرية التي تتجاوز مهمات الجيش الوطني الشعبي الحالية.

* إعادة الحماس والتحدي والقدرة الانتقائية لحياة الضباط العملية. سوف تحتم العمليات المستقبلية الحاجة إلى توفير ضباط على قدر عالي من حيث المستوى. إن إعادة الحماس والتحدي والقدرة الانتقائية إلى حياة الضباط العملية ستكون معاكسة للاتجاه الحالي، وهذا من أجل إزالة عوامل التمييز مثل مراجعات المصنفين رفيعي المستوى من الملفات وترقية ما يزيد عن ٩٥٪ من المتقدمين للمناصب العليا.

إن هذه الممارسات ليس لها تأثير سوى أنها تضمن أنه خلال فترة خمس سنوات سيكون لدى قيادة الجيش مجموعة كبيرة من القادة المعتدلين على مستوى الكتائب والألوية، الذين يرتقون لأعلى ولا ينسحبون عندما تزداد حاجة قيادة الجيش إلى القيادة المميزة. وبدلا من محاولة الاحتفاظ بكل ما لدى قيادة القوات المسلحة، على هذه الأخيرة أن تضمن أن يصبح نمط الحياة العملية للضباط مرة أخرى دقيقا وتنافسيا من أجل مواجهة التهديدات التي يمثلها نمط حربي أكثر دقة وتحديا من الناحية العقلية.

كما وقد تحتاج قيادة الجيش إلى النظر فيما وراء مصادر التكليف التقليدية للعثور على المتقدمين المناسبين لتنفيذ المهام التي تجد القوات المسلحة نفسها من خلالها أنها بصدد القيام بها في صراع الجيل الرابع.

* مكافحة مشكلة الإيجابية. يتعين أن يسير التحول من القاعدة السفلى إلى القمة العليا. وفي البيئة الحالية التي تحتم التحول، فإنه يتم التغاضي عن المساهمات القيمة من قبل صغار القادة في ظل مناخ الإدارة من أعلى إلى أسفل والمستعصية على النقد. إن مشكلة كون القوات المسلحة الجزائرية تتمتع بالإيجابية تعوق التغير والتكيف المرتبطان بالأوضاع الحالية. بينما يبدو أن هنالك العديد ممن يرون الانفصام بين التحول وبيئة العمليات الحالية، إلا أنه لا تتاح سوى لعدد قليل من القادة فرصة نقد التحول دون التخوف من النتائج السلبية على حياتهم

العملية. كما وينبغي أن تمثل الدورات المقدمة للضباط فرصا لاختبار أو اعتماد أو بطلان أو تهذيب العقيدة الحالية والآخذة في الظهور.

كما وينبغي ألا يشكل هيكل الفروع عائقا أمام وضع الضباط في المكان المناسب والمهمات اللائقة. فعلى سبيل المثال، ينبغي أن يكون ضابط المدرعات المحدد على أنه حلقة ربط متميزة بين المدنيين والجيش، قادرا على العمل في هذا الحقل دون الإضرار بفرصه في الترقية أو الحاجة إلى إزالة المعوقات البيروقراطية الكبيرة من المؤسسة العليا لغرض التقدم والترقية. في واقع الأمر، تتطلب مكافحة الإرهاب وحرب الجيل الرابع التي تتسم بالغموض أحيانا أن تحدد قيادة الجيش بسرعة قصوى المؤهلين لطبيعة الصراع ووضعهم في المكان الذي تكون الحاجة فيه أشد لمهاراتهم. وقد تحتاج قيادة الجيش إلى التخلي عن الأبواب التقليدية للترقية وحتى حصص الفروع (الأصناف العسكرية) بينما تقوم بإعادة هيكلة القوات المسلحة من أجل الاستجابة لمتطلبات حرب الجيل الرابع.

٨- سيادة الحقيقة ونشرها:

إذا كان سيتم شن معارك القرن الحالي بصفة أساسية في ميادين الأفكار، والصراع من أجل الدعم الشعبي والإرادة القومية، فعلى قيادة الجيش أن تطالب من صفوف ورتب الضباط والقوات المسلحة أن تكون قادرة على التنقل بين مهام معقدة ذات أهمية أخلاقية واستراتيجية. وإذا كان الهدف الرئيسي للعدو هو تحويل الإرادة القومية الجزائرية من خلال حملة معلومات إستراتيجية. فيتعين أن تكون المؤسسة الدفاعية الجزائرية قادرة على خوض تلك المعركة وأن تكون على دراية تامة بتبعاتها وأن تكون قادرة على تجنب إلحاق الضرر بالمؤسسات الديمقراطية التي أقسمت أن تدافع عنها. مع الوثوق بأن عالم الأفكار الحر سيتيح للحقيقة أن تسود وللجماهير المطلعة أن تتخذ القرارات الصائبة، فإنه يتعين على قيادة الجيش مقاومة إغراء تقييد تدفق المعلومات أو استهداف الشعب الجزائري بحملات معلوماتية عامة متحمسة أكثر من اللازم.

في الحقيقة لا يمكننا الثناء على فضيلة غير متوطنة ومنعزلة لا تتم ممارستها والشعور بها، ولا تظهر مطلقا بشكل مفاجئ وترى عدوها. لكنها تتسلل حيث يتم البحث عن ذلك الإكليل الخالد

من الزهور مصحوبة بالرماد والحرارة. إننا بكل تأكيد لا نجلب البراءة لأوطاننا، ولكننا نجلب إليها الفساد: إن ما يطهرنا هو المحاولة. والمحاولة هي باتباع الشيء المعاكس.

يتعين على قيادة الجيش الوطني الشعبي أن تطلق الجماح لمعركة الأفكار ومقارنة الحقيقة والكذب والخطأ والصواب والفرق بين التسامح والرأي المطلق، حتى تظل قيادة الجيش على يقين من أنها تنفذ إرادة الشعب. إن تجديد الجيش الوطني الشعبي لمبادئه والإيمان بهذه الإرادة الجديدة والعمل على تطبيقها لن يعرض القوات المسلحة الجزائرية لخطر الخسارة، وستكون في مأمن في حروب المعلومات القادمة.

١٠- الاستعداد لحرب الجيل الخامس:

«إن المؤسسات العسكرية وأسلوبها في استخدام العنف اعتمد على الظروف الاقتصادية والاجتماعية للبلاد التي تنتمي إليها» - كلوزفيتز[٢٩].

كما هو الحال دائما، فإن أجيال الحرب القديمة تواصل استمرارها في الوجود حتى وإن ظهرت أجيال أخرى جديدة. فاليوم نرى معارك كئيبة بقوة استنزاف نارية من طراز حرب الجيل الثاني في أجزاء من أفريقيا وحتى عند بداية ظهور ملامح حرب الجيل الخامس، لا يجب أن يكون هذا مبعثا للدهشة. فالدول التي تفتقد للأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية اللازمة لدعم الأشكال الجديدة للحرب سوف تواصل استخدامها للأشكال القديمة. ومع ذلك فيلزم أن يتطور جيل جديد. وبما أن حرب الجيل الرابع ظلت الشكل السائد للحرب على مدى أكثر من ٥٠ عاما، فقد حان الأوان لظهور حرب الجيل الخامس. قيادة الجيش الوطني الشعبي بأمس الحاجة إلى أن تكون لديها القدرة على تكوين فكرة ما عن المظهر الذي سيظهر به الشكل الجديد من الحرب، وذلك عن طريق دراسة الكيفية التي من خلالها تغيرت الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ أن سادت حرب الجيل الرابع.

من الناحية السياسية، فقد حدثت بعض التغييرات بشأن الذين يخوضون الحروب. فكان الاتجاه ولا زال ينخفض من الإشارة إلى الدول القومية التي تستخدم جيوش نظامية ضخمة ليتجه إلى جماعات صغيرة ذات عناصر متشابهة في الميول والأفكار، ليس لهم تنظيم رسمي، يختارون بكل بساطة أن يخوضوا حربا.

أما من الناحية الاقتصادية، فقد رأينا الزيادة المطردة في التأثير القوي للمعلومات. فقد استفادت المجموعات الإرهابية من شبكة المعلومات المتقدمة في تنفيذ حملات الاتصالات الإستراتيجية والتي تعد عنصرا محوريا لتحقيق انتصاراتهم. وبناء على ذلك، فقد تحول شكل المحتوى وطريقة نقل المعلومات من أسلوب الدعاية الضخمة لماوتسي تونغ إلى حملات صممت بشكل فائق، تساعد عليها وسائل الاتصال الحديثة والأنماط الاجتماعية الجديدة. وقد سارع الإرهابيون إلى استغلال أدوات الاتصال الفعالة مثل الهواتف المحمولة والإنترنت لأغراض التجنيد والتدريب والاتصال والتعليم وتوجيه الأعضاء الجدد. فقد تحولوا من طريقة التعبئة الاجتماعية إلى التعبئة الفردية الموجهة. وقد ازداد إنتاج الشركات الكبيرة اليوم أكثر من أي وقت مضى بفضل إمكانية الوصول إلى المعلومات أو تداولها. وقد كانت أحد نتائج هذه الطفرة هي: انتشار الشركات الصغيرة التي تمكنت من تحقيق ثروات كبيرة، وهي ظاهرة تتماشى مع الاتجاه طويل الأمد الهادف إلى نقل القوة إلى الكيانات الصغيرة سواء في المجال التجاري أو العسكري. وكصورة مصغرة لهذا الاتجاه يمكن أن نستشهد باثنين من الشباب قاما بتصميم كامل لمحرك البحث غوغل Google.

ليست الاتصالات وحدها كقطاع متعلق بحرب الجيل الخامس هي الآخذة في الازدهار، فهناك صناعات أخرى أشرفت على تحقيق نمو ضخم في التقنية الحيوية Nanotechnology and Biotechnology اللتان لهما قدرة أكبر على تغيير عالمنا. يمكن أن تندمج مشاكل الأعمال التجارية ومن عدة جوانب مع المشاكل العسكرية كما وتتشابك في كثير من الأحيان. حيث إن العالم أصبح أكثر ترابطا ومنطق القوة أصبح يأخذ هذا المنحى كذلك. ففي عام ٢٠٠٦م قام نحو عشرون نيجيريا ثائرا باختطاف رهائن من منصة نفطية تابعة لشركة شيل في خليج غينيا. وعلى إثر ذلك قامت الشركة بوقف إنتاجها في منطقة دلتا النيجر وارتفعت أسعار النفط بشكل كبير. هذا العالم المترابط أصبح عرضة للتوتر جراء حدوث أي خلل في السلع الأساسية وبشكل سريع، حيث يمكن أن تصبح القضايا التجارية من أمور الأمن الدولية الخطيرة. إلا أن هذا لم يحدث بنفس الدرجة إبان حروب الموز وهذا عندما كانت قوات المارينز الأمريكية ملتزمة بشكل دائم بحماية المصالح الأمريكية فقط والتي تعني القليل من ملاك الأسهم. فاليوم أصبحت مجموعات مسلحة صغيرة جدا، لديها القدرة على إحداث تأثير كبير على اقتصاد العالم بالكامل في لحظة واحدة.

ما يتعلق منه والناحية الاجتماعية، فقد رأينا نقلة كبيرة في شكل المجتمعات. فقد تحول ولاء الناس من الأوطان إلى القضايا، وهو اتجاه ساعد على التعجيل به اتصالات الإنترنت. في حقيقة الأمر، هناك الكثير من الناس منشغلون بأمورهم على الإنترنت أكثر من انشغالهم بمجتمعات الحياة الواقعية. ويعد استعداد عناصر تلك الجماعات لبذل كل ما في وسعها من أجل تعزيز قضاياها من الأمور الهامة جدا – بدءا من السيدة التي عاشت في الغابات الحمراء لمدة سنتين، إلى الانتحاريين الذين يفجرون أنفسهم. والذين يقومون بهذه الأعمال يضعون قضاياهم فوق أي تحليل عقلاني للآثار المترتبة على أفعالهم – ويمكن أن نجد الكثير منهم عبر شبكات الإنترنت.

خلاصة القول، إن الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية تشير إلى ظهور أشخاص أو جماعات صغيرة تم تزويدها بقوة فائقة. وهذه الجماعات يربط عناصرها حب قضية معينة وليس حب الوطن. فمن خلال توظيفهم لتلك التقنية التي ظهرت حديثا يستطيعون توليد قوة مدمرة عادة ما تستهدف موارد الدول القومية.

وتحظى هذه التطورات الحديثة باهتمام خاص، كون التراكيب السياسية والتجارية والاجتماعية الحديثة هي باستمرار الأكثر نجاحا في تطبيق التقنية الوليدة. فقد تفوقت في ذلك على المؤسسات القديمة الثابتة. واليوم هناك نوعين من التقنيات، وهما التقنية الحيوية البيولوجية وتقنية النانو تكنولوجيا اللتان لديهما القدرة على تغيير عالمنا وشكل الحروب بوتيرة تفوق قدرة تقنية المعلومات بكثير. وقد أجمع أغلب الكتاب على أنه لن يتم اتخاذ خطوات كبيرة في تقنية Nanotechnology قبل عشرين عاما أو أكثر، ولذا فلن نسهب في الحديث عنها. وعلى النقيض من ذلك، فإن التقنية الحيوية المتاحة اليوم تعطي للجماعات الصغيرة نوعا من القوة التدميرية والتي كانت محصورة سابقا في القوى العظمى فقط[٣٠].

ربما كانت هجمة الجمرة الخبيثة على مدينة مبنى الكونغرس الأمريكي في أكتوبر من عام ٢٠٠١م هي أولى هجمات حرب الجيل الخامس. وبالنظر إلى الجهود الضخمة التي استنفذتها الإدارة الأمنية الأمريكية في التحقيقات من أجل الوصول إلى مرتكبي الجريمة، إلا أنها لم توفق بالقبض على أي شخص يعتقد أنه قام بهذه الهجمة وليس معروفا فيما إذا كان مدبرها فرد واحد أو جماعة صغيرة. إذا كان هناك عدد كبير قد تورط في هذا العمل، لقام أحد الأشخاص منهم

بتسريب المعلومات أو كان قد تم القبض عليه. إذا كان هذا افتراض سليم، إذن لكان الأمر هناك يتعلق بفرد أو جماعة صغيرة تم تزويده أو تزويدها بقوة فائقة لتهاجم الهيئة التشريعية لدولة قومية باستخدام أسلحة بيولوجية متقدمة، مناصرة لقضية غير معروفة. وقد تسبب هذا الشخص أو هذه المجموعة في تعطيل عمل الكونغرس الأمريكي لشهور عدة، وفي إنفاق مئات الملايين من الدولارات في صورة تكاليف للتطهير والتنظيف، وكذا ما يتعلق وفرض لوازم مراقبة البريد (والتكلفة اللازمة لها) والتي لا يزال معمولا بها حتى أيامنا هذه، وهو ما يعد نتيجة أكثر من جيدة مقارنة ببضع أوقيات من الجمرة الخبيثة أو تكاليف البريد.

لقد أعطت هجمة الجمرة الخبيثة دليلا قويا على أنه قد أصبح اليوم بمقدرة فرد واحد شن هجوم على دولة قومية. وبمرور الزمن فقد أعطى المزيج المتألف من الدافع السياسي والتنظيم الاجتماعي والتنمية الاقتصادية للجماعات الأصغر قوة تدميرية أكبر. وبينما يعتقد بعض خبراء التقنية أن بعض الجيوش القومية قد وصلت إلى قمة القوة التدميرية بعد ظهور الأسلحة النووية الحرارية إلا أن الحقيقة هي أن صنع وإيصال وحمل هذه القوة إلى أهدافها وضربها بالدقة المطلوبة ما زالت تحتاج إلى جهود تطويرية متقنة ولا تزال علية التكلفة.

إن التطورات الحديثة التي سبق ذكرها تشير إلى أن القوة التدميرية الهائلة التي يمكن أن تسببها الأسلحة البيولوجية هي في متناول الجميع وخاصة من لهم دوافع لاستخدامها:

* منذ اثنتي عشرة سنة قام فريق بقيادة الدكتور كاريغ فينتر بصنع فيروس جرثومي فعال من مواد كيميائية جاهزة. وقد اختار فريق فينتر فيروسا محددا واشتروا زوج الأساس الجيني اللازم لصنعه، ثم قاموا بتجميع هذا الزوج في فيروس تركيبي فعال. كل المواد والمعدات التي استخدمها الفريق متاحة تجاريا بدون أية قيود. وقد تنبأ فينتر بأن ما أنجزه فريق من صفوة البيولوجيين باستخدام مختبر عالي التجهيز لأول مرة، يمكن أن ينجزه أي خريج مؤهل في مختبر الجامعة في وقت يقل عن عشرة أعوام.

* قرر الكاتب باول بوتين المتخصص في العلوم أن يضطلع بـ «التحدي» الذي طرحه فينتر. وبالرغم من أنه لم يكن قد دخل مختبر للأحياء منذ دراسته الثانوية، فقد تمكن بوتين من

صنع خميرة متوهجة بإرشاد بسيط من الدكتور روجر برينت الذي كان عليه ايضا المحافظة على بوتين من التجارب الخطيرة. بالرغم من أن الخميرة ليست هي الجدري إلا أن المعدات والتقنية والنيوكليوتيدات المستخدمة هي نفسها اللازمة لصنع الجدري من زوج الأساس الجيني الخاص به.

* تم نشر جينوم الجدري بالكامل على الإنترنت وهو متاح على نطاق واسع. وقد وجده بوتين في حوالي ١٥ دقيقة.

* يمكن شراء النيوكليودات اللازمة لصنع الجدري من عدد كبير من الموردين دون الحاجة إلى إثبات الهوية.

* للجدري حوالي ٢٠٠,٠٠٠ زوج لقاعدة جينية. وقد تم تصنيع حامض نووي به أكثر من ٣٠٠٠,٠٠٠ زوج جيني بنجاح.

* قام فريق بحث أسترالي بتسخين جدري الفأر عن طريق تنشيط جين واحد. وقد زاد هذا التعديل معدل إماتته من ٣٠ بالمائة إلى أكثر من ٨٠ بالمائة. بل هو مميت بنسبة تفوق ٦٠ بالمائة بالنسبة لسكان محصنين ضده. وقد قام الفريق بنشر النتائج التي توصل إليها على الإنترنت وأوضحت تلك النتائج أن الجدري له نفس الجين.

* تكلفة صنع الفيروس/ الميكروب تنخفض بشكل مطرد. فإذا ظل منحنى كارسون ثابتا ستنخفض تكلفة الزوج الجيني إلى ما بين ١ و١٠ سنتات خلال العقد الواحد. وعلى هذا يمكن للباحث طلب كل الأزواج الجينية اللازمة لصنع فيروس الجدري بتكلفة تتراوح بين ٢٠٠٠ دولار و٢٠,٠٠٠ دولار[٣١]. وبهذا ستكلف الأدوات اللازمة لتجميع الفيروس ١٠,٠٠٠دولار إضافية.

* وينتهج قراصنة المواد البيولوجية نفس نهج أسلافهم من قراصنة المعلومات. فهم ينشأون مثل هذه المعامل والمختبرات في مرآب بيوتهم ويصنعون تلك المنتجات. ففي سنة ٢٠٠٦م استثمر باحث بريطاني شاب ٥٠,٠٠٠دولارا في إعداد وإنتاج منتجين بيولوجيين جديدين. بعد ذلك باع شركته المسماة «أغري بيوتكس» ب ٢٢ مليون دولار. ويمكن أن نفترض أنه يوجد

الآن المئات إن لم يكن الآلاف من طلبة علم الأحياء يحاولون صنع منتجات بيولوجية جديدة في مساكنهم البسيطة.

هذه الأحداث المتفرقة والمرتبطة في ذات الوقت تعني أن الأمر قد أصبح أكثر سهولة بالنسبة للجماعات الصغيرة وحتى الأفراد من اليسير بالنسبة لهم أن يصنعوا فيروسا مثل الجدري ثم يستخدموه كسلاح.

وقد تطمئن قيادة الجيش الوطني الشعبي عند العودة إلى آراء بعض الخبراء والتي تفيد أنه إذا كان من السهل أن تقوم جماعة صغيرة بصنع فيروس جرثومي بيولوجي، إلا أن التجارب والتخزين والنشر هي الخطوات الأكثر صعوبة في استعمال العنصر البيولوجي كسلاح. وهم صائبون فيذلك، إن كان صانع الفيروس الجرثومي يستخدم طرقا تقليدية، إلا أنه يمكن لصانع الفيروس الجرثومي تجنب متطلبات التجارب عن طريق اختيار مادة مميتة معروفة مثل الجدري. فهو يعرف بالفعل أنه يمكن أن ينجح في استخدامها خارج المختبر. أما مشاكل التخزين والنشر فيمكن تفاديها عن طريق تسخير الاتجاه المتزايد من الهجمات الانتحارية المنتشرة في أنحاء العالم – يمكنه ببساطة حقن الجدري مباشرة في متطوعي الانتحار، فيصبحون أجهزة تخزين ونشر.

يمكن لجماعة إرهابية عن طريق تجنيد القليل من المتطوعين وخطوط الطيران التجارية أن يتسببوا في انتشار لفيروس الجدري في جميع أنحاء العالم وغي وقت شبه متزامن. الشتاء الأسود كان تجربة عمل أجريت عام ٢٠٠١م، تتمثل في وتحاكي هجمة الجدري التي وقعت على ثلاث مدن أمريكية. فبعد ١٣ يوما من التجربة انتشر الجدري إلى ١٥ ولاية و١٥ دولة من خلال موجات وبائية. مات على إثرها مئات الآلاف من الأمريكيين الذين أصيبوا بالمرض. ويقدر أن جيلا رابعا من المرض سوف يخلف ٣ملايين مصاب ومليون حالة وفاة. غلا أن هذا العمل تم إنهاؤه في ذلك الوقت[٣٢].

ومن المهم أن نتذكر أن الجدري ليس من شأنه فقط ان يتسبب في عدد استثنائي من حالات الوفيات، ولكنه سوف يؤدي إلى توقف التجارة العالمية حتى تتم السيطرة على المرض أو اختفاؤه من نفسه، مع الأخذ بعين الاعتبار أن إضراب عمال موانئ الساحل الغربي الأمريكي في عام

٢٠٠٢م قد كلف اقتصاد الولايات المتحدة بليون دولار يوميا. فإن تكلفة الإغلاق التام للنقل ستكون بمثابة الكارثة.

الأسلحة البيولوجية لها القدرة على قتل عدد أكبر من الناس وأكثر تأثيرا من الهجمات النووية. فضلا عن ذلك وعلى خلاف الأسلحة النووية التي تتسم بصعوبة الصنع وزيادة الكلفة، فإن إنتاج الجدري غير مكلف على المدى القريب. وكذلك سيكون اكتشافه قبل إطلاقه شيئا صعبا. ورغم أننا قد اخترنا الجدري لهذه المداخلة فإنه يمكن بالطبع لأي من علماء البيولوجيا اختيار أي من الأمراض المعدية الفعالة المعروفة. كما وبإمكانهم تماما أن يحاولوا صنع مرض معد جديد أيضا. إلا أنه لا يمكن لأي شخص أن يتنبأ بالطبع عن الكيفية التي سيتعامل بها الفيروس المصنوع في المختبر عند الخروج إلى الطبيعة وكيف ستواجه الطبيعة خروجه. وعلى هذا تتزايد احتمالات استخدام الإرهابيين لمرض معد موجود بالفعل أو قيامهم بتعديله ليصبح أكثر قدرة على القتل والإفناء. كما ويمكنه نشر كل من النسخة الطبيعية والنسخة المعدلة من الفيروس لضمان النجاح.

خاتمة:

عن طريق الاستفادة من التغيرات السياسية والاقتصادية الاجتماعية والفنية أفضت حرب الجيل الأول إلى تشكيل الجيوش المتأججة بالقوة البشرية للعصر النابليوني. وبنفس الأسلوب استخدمت حرب الجيل الثاني التطور الذي حدث في المجتمع الصناعي لجعل القوة النارية هي الشكل السائد في أشكال الحرب. بعد ذلك استغلت حرب الجيل الثالث التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حولت العصر من عصر صناعي إلى آخر آلي، لتصبح الحرب الآلية هي الشكل السائد من أشكال الحرب. أما حرب الجيل الرابع فتستخدم جميع التحولات من مجتمع آلي إلى مجتمع معلوماتي إلكتروني لتزويد قوة الإرهاب. وهي تساير تطور مجتمعاتنا في كل شيء، مما يزيد من صعوبة وخطورة تعامل قوات الجيش الوطني الشعبي مع حرب الجيل الرابع.

أما حرب الجيل الخامس فستكون نتاج التحول المستمر في الولاء السياسي والاجتماعي، حيث سيصبح الولاء للقضايا العقائدية أكثر منه للأوطان. وستتميز هذه الحرب بتزايد قوة الكيانات الأصغر وبانفجار ديناميكي للثورة التقنية. إن حرب الجيل الخامس ستكون في حقيقة

الأمر حرب الشبكات والطائرات النفاثة: ستقوم الشبكات بنشر المعلومات الهامة وتوفير مصدر للأدوات والمواد اللازمة. وستكون بمثابة ميدان لتجنيد المتطوعين. أما النفاثات فستساعد على نشر الأسلحة بتكلفة قليلة وبشكل فعال في جميع أنحاء العالم.

ويعد سيناريو العدوى، الذي بيناه سابقا، أحد أكثر الطرق التدميرية المحتملة، إلا أن الجدري هو سلاح واحد فقط، يمكن أن تستخدمه جماعة يتم تزويدها بقوة فائقة للهجوم على المجتمع. وقد يستخدمون أي عدد من التقنيات المتطورة.

إن الحقيقة الرئيسية التي يجب ألا ننساها هي أن التغيرات في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفني تتيح لأي جماعة صغيرة تربطها قضية ما، استخدام التقنية الحديثة لتتحدى دولة قومية. وليس في وسع قيادة الجيش الوطني الشعبي رد هذه التحديات ولا منع تطور الحرب. ومن الواضح أننا كدولة سيادية وعلى الأخص أفراد القوات المسلحة ليست على استعداد للتصدي لمثل هكذا ضربات. فقد حان الوقت لتبدأ وسائط الدفاع الوطني الجزائري في التفكير بشأن الأسلوب الذي يجب أن تتبعه في تعاملها مع الخطوات الأولى والتالية من الحرب.

الهوامش:

1- AFP، » Mali-based Islamist group claims Algerian attack,« Alarabiya، June 30، 2012، and » Al-Qaeda offshoot claims Algeria attack,« Al Jazeera، March 3، 2012.

2 - Steve Massa، » Is a Possible Power Struggle Looming in Algeria?« The Journal of Diplomacy and International Relations، November 26، 2013. Lamine Chikhi، » Algeria's Bouteflika consolidates curbs on state intelligence agency,« Reuters، October 24، 2014.

3 - Riyadi Hamadi، » Vers une profonde restructuration du DRS,« Tout Sur Algerie، September 29 2013.

4- Lamine Chikhi، » Analysis: Algeria's Bouteflika flexes muscles before 2014 vote,« Reuters، October 1، 2013.

5- Isabelle Mandraud، » Power struggle takes centre stage ahead of Algerian presidential election,« The Guardian، February 25، 2014.

6- Florence Gaub، » Algeria's Army on Jihadist Alert,« European Union Institute for Security Studies، Brief 6، March 2015.

7- See for example: B. Djaouida، » Prospective sur l'évolution des événements dans le monde arabe,« El Djeich، January 2014، p. 50

8- H.G. Sihem، » La stratégie des acteurs européens et des USA en Méditerranée et dans la région du Sahel: concurrence ou complémentarité?« El Djeich، June 2013، p. 51

9- H.G. Sihem، » INESG. Crise، choix du modèle économique et integration régionale en Méditerranée: quels enjeux?« El Djeich، May 2011، p. 60

10- F. C. Amel، » Colloque national organisé par l'IMDEP: Le Maghreb et les mutations régionales: Quelle synergie face aux nouveaux défis ?« El Djeich، February 2015، p. 50.

11- Nouvelle revue spécialisée dans les études de défense et de prospective,« El Djeich، April 2014، p. 52.

12- Samia Djenaoui Goubi، » Les Technologies de l'Information et de la Communication: La clé du succès opérationnelle,« El Djeich، October 2013، p. 44–47.

13- ESG. Conférence sur le système C4ISR,« El Djeich، June 2011، p. 60

14 – ESG. 'Assurer la sécurité de l'Etat sur le plan militaire en temps de crise,' thème du Wargame,« El Djeich، June 2011، p. 60

15 – Séminaire sur le développement des Tic à l'EST: Plus de sécurité et de haut debit,« El Djeich، June 2013، p. 46.

16- B. Djaouida، Conférences à l'Ecole supérieure de Guerre: Contribution des Douanes à la sécurité nationale,« El Djeich، January 2014، p. 49.

17- Alexis Arieff، » Algeria and the Crisis in Mali,« Institut français des relations internationals (IFRI)، July 2012 and Laurence Aida Ammour، » Regional Security Cooperation in the Maghreb and Sahel: Algeria's Pivotal Ambivalence,« Africa Center for Strategic Studies، Brief 8، February 2012.

18- George Bajalla، et al، » Algeria at a Crossroads: Borders and Security in North Africa,« Muftah، September 24، 2014 and Lamine Chikhi، » Wary of disorder in Libya and Mali، Algerian army targets southern smuggling,« Reuters، May 11، 2015.

19- Gaidi Mohamed Faouzi، » Feu vert pour une 7e Région militaire à Illizi,« El Watan، December 7، 2014.

20- L'Algérie déploie 4.000 soldats à ses frontières avec la Libye et le Niger pour traquer des trafiquants d'armes,« Xinhua، September 3، 2014.

21- U.S. pledges $60 million to aid Tunisian Army's war on terror,« World Tribune، September 2 2014. and Suzanne Malveaux، President Obama pledges aid to Tunisia,« CNN، May 22، 2015.

22- Danica Simans، » NPS Helps Northern Africa Improve Border Security through Series of Workshops,« Naval Post Graduate School، March 13، 2014.

23- H. G. Sihem، » L'Algerie et le règlement pacifique des conflits: Constante immuable,« El Djeich، April 2015، pp. 23–25.

24- Ali Shuaib، » Libya، Algeria and Tunisia to step up border security,« Reuters، January 12، 2013.

25- Mokrane Ait Ouarabi، Attentats terrorists en Tunisie: l'engagement de l'armée algérienne,« August 4، 2014، El Watan.

26- Kaci Racelma، » Tunisia، Algeria Join Efforts to Combat Growing Terror Threat,« Al-Monitor، May 2، 2013 and» Algeria-Tunisia Joint Commission: Security and development high on agenda,« Algérie Presse Service، February 8، 2014.

27- See for example: » Le président Bouteflika reçoit le chef du gouvernement tunisien,« El Djeich، December 2012، p. 6

28- Audiences du chef d'état-major de l'ANP: Le chef d'état-major des armées tunisiennes,« El Djeich، December 2012، p. 7

29- Laurent Gayer، « Ni guerre ni paix: guerres sans fin(s) ou désordres ordonnés ? » in Badié، Bertrand et Vidal، Dominique، Nouvelles

Guerres. L'état du monde en 2015، La Découverte، Paris، 2014، p.55.

30- Jean-Marc Flükiger، Nouvelles guerres et Théorie de la guerre juste، Editions Infolio، Suisse، 2011 p.11.

31- Nanotechnologies: prospective sur la menace et les opportunités au service du combattant »» CEA-Alcimed، avril 2004، p. 68

32- Cf « Aujourd'hui le Nanomonde - Les nanotechnologies، un projet de société totalitaire » Pièces et Main d'œuvre (Editions L'Echappée)، p. 21

دور مؤسسات المجتمع المدني في تعزيز النزاهة ومكافحة الفساد في أفريقيا

بقلم: أ .مصطفى دردق

باحث دكتوراه كلية الدراسات الأفريقية العليا ـ جامعة القاهرة

الفساد جريمة منظمة تهدد الاستقرار والتنمية ومن المشاكل الخطيرة التي تواجهها الأمم والشعوب بشكل عام وأن جرائم الفساد تعتبر محل اهتمام المجتمع الدولي نظرا إلى تصاعد خطورتها على الاستقرار والسلم الأهلي والتماسك الاجتماعي، وبالنظر إلى خطورة الفساد على الاستقرار والتنمية المستدامة، فإن مسألة مقاومته هي مسؤولية لا تخص الحكومات وحدها فحسب، وإنما هي مسألة تهم المجتمع برمته، وهي مسؤولية تشترك فيها جميع الهيئات الرسمية والشعبية على السواء. كما أن مكافحة الفساد هي مصلحة مشتركة لجميع الفواعل في المجتمع الواحد، وهي لا تتوقف عند الحكومة أو البرلمان، بل يجب أن يشترك فيها الجميع من أفراد ومؤسسات حكومية ومؤسسات المجتمع المدني مثل النقابات والأحزاب والجمعيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ووسائل الإعلام، كما أنها مهمة تستهدف إرساء أسس وقواعد الحكم الراشيد[1].

المجتمع المدني Civil Society

يعد مفهوم المجتمع المدني او المجتمع الاهلي مفهومًا غربيًا من حيث النشأة والتطور، وبالرغم من التاريخ الفلسفي الطويل للمجتمع المدني والذي يعود إلى أرسطو وأفلاطون إلا أن المفهوم عاود الظهور بشكل قوي في ثمانينيات القرن العشرين، وقد ارتبط المفهوم في ظهوره بالحقبة

١) أ/ رضا هميسي: دور المجتمع المدني في الوقاية من جرائم الفساد ومكافحتها
https://revues.univ-ouargla.dz/index.php/numero-01-2009-dafatir/538-2013-05-02-11-20-27

الليبرالية الجديدة ومشاريع الإصلاح السياسي والاقتصادي وتحجيم دور الدولة وإفساح المجال للقطاع الخاص مع تقليل المساعدات الحكومية والدعم الاجتماعي[١]، والمجتمع المدني هو المجال الاجتماعي لمجموعة الاتحادات والجمعيات والروابط التى تعتمد على العمل التطوعي، وتعد هذه الجمعيات والحركات الاجتماعية اشكالاً تنظيمية مستقلة عن اى جهاز حكومي وليس لديها اهتمامات ربحية ولا تعتمد على المبادئ الخاصة بالسوق فالمجتمع المدني يتوسط بين الدولة والمجتمع[٢].

ويرى بعض الباحثين المجتمع المدني هو ميدان العمل الجماعي التطوعي وهو يختلف عن الأشكال المؤسسية للدولة والأسرة والسوق. وعرف **شميتر** المجتمع المدني باعتباره نظام او مجموعة من الجماعات الوسيطة المنظمة ذاتيا، والتي تتمتع باستقلال نسبي عن كل من السلطات العامة ووحدات الانتاج الخاصة، ولديها القدرة على القيام بأنشطة جماعية، ولا تحل محل اجهزة الدولة في الحكم بشكل مباشر، وتقبل العمل فى ظل قواعد ذات طبيعة مدنية ووسط مناخ من الاحترام المتبادل. وعرف **استيفين فيش** المجتمع المدني بانة مقيد على نحو معقول بحيث يستبعد الاتحادات المتعصبة التي تسعى للسيطرة على الدولة، كما انه يركز على الاستقلالية بما يشتمل على الاتحادات الطوعية التي تعمل في إطار النطاق العام. وبالإضافة الى ما تقدم عرفت **كلية لندن للاقتصاد** «المجتمع المدني باعتباره يشير الى حلبة العمل الجماعي الذي لا يتسم بالإكراه، والذى يدور حول مصطلح واهداف وقيم مشتركة متبادلة»، وانطلاقا من هذا المفهوم يتسم المجتمع المدني بالتنوع الشديد من حيث المساحة واللاعبين والاشكال المؤسسية، ويختلف في درجة الرسمية وكذا الاستقلال الذاتي والنفوذ[٣].

---

١) إيناس محمد الزاهر عبد الله: المنظومة القيمية الحاكمة لتحركات المجتمع المدني تجاه اللاجئين.. دراسة للمجتمع المدني في ألمانيا، بحث مقدم فى مؤتمر «أزمات اللجوء والهجرة وتحديات الدولة القومية في الوطن العربي وأوروبا»، (القاهرة: مركز البحوث السياسية وحوار الثقافات ٢٤ – ٢٦ سبتمبر ٢٠١٦).

٢) فرانك ادلوف- المجتمع المدني.. النظرية والتطبيق السياسي، ترجمة عبد السلام حيدر (القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات- ٢٠٠٩) ص ١٠.

٣) د. شيماء محى الدين- المجتمع المدني فى الكاميرون.. بين عمومية المفهوم وخصوصية الواقع الأفريقي (القاهرة: مجلة الشئون الافريقية، العدد الثانى- أبريل ٢٠١٣) ص ٣٠-٣١.

خصائص المجتمع المدني:

يمكن القول ان السمات والخصائص التي تميز المجتمع المدني هي[1]:

١- **الاستقلال** عن الدولة ماديا واداريا، فاذا كانت منظمات المجتمع المدني تعمل وفقا لاطار قانوني وضعته السلطات الرسمية في الدولة، الا انها لابد ان تتمتع في عملها باستقلال عن الدولة بحيث لا يتم السيطرة على هذه المنظمات الا من قبل مؤسسيها ومن قبل مجلس الادارة سواء كان بالانتخاب او بالتعين.

٢- **التطوعية** بمعنى ان تشكل منظمات المجتمع المدني على اساس تطوعي من قبل المواطنين، ويقوم العمل فيها على اساس المشاركة الطوعية بما فى ذلك المتطوعين من الموظفين ومن اعضاء مجلس الادارة، وقد يتقاضى موظفو هذه المنظمات اجورا ورواتب فى حالات معينة نظير العمل الذي يؤدونه ولكن اعضاء مجلس الادارة لا يتقاضون اية رواتب وانما يستردوا قيمة ما انفقوه.

٣- **السعي لتحقيق اهداف عامة**، بمعنى ان يكون لكل منظمة هدف او جملة من الاهداف التي تسعى لتحقيقها ويكون لديها برنامج عمل واضح وخطة تبين اهدافها بأكبر قدر من الدقة.

٤- ان تكون **غير هادفة للربح** وانما تقتصر ايراداتها على الحد الذي يمكنها من القيام بوظائفها ومواصلة ومتابعة مهامها.

٥- **التجانس** بحيث يكون لدى منظمات المجتمع المدني درجة من المرونة تمكن اعضائها من احتواء الصراعات الداخلية سواء كانت عقائدية او ايدولوجية بطريقة سليمة وعادة ما تستخدم هذه السمة كدليل على مدى تطور المنظمة.

٦- **البعد عن المصالح الشخصية** حيث يجب ان تكون اهداف وغايات منظمات المجتمع المدني عامة بحيث لا تخدم المارب والاغراض الذاتية لأعضائها وانما تهدف الى تطوير وتحسين احوال المواطنين فى دائرة نشاطها من خلال تناول قضايا تمس المجتمع بأسرة او بعض القطاعات فيه.

١) د. شيماء محى الدين، المرجع السابق.

٧- **القدرة على التكيف** زمنيا ووظيفيا مع المستجدات والتطورات في البيئة المحيطة بمجال عملها.

٨- **التشابك** الذي قد يصل احيانا الى التعقيد على المستويين الأفقي والراسي سواء من حيث الهيكل التنظيمي او من حيث الانتشار الجغرافي.

منظمات المجتمع المدني:

تعريف **موسوعة العلوم الاجتماعية** مؤسسات المجتمع المدني على انها: مجموعة من المنظمات والمؤسسات التي تعمل في مختلف الميادين بشكل مستقل عن الدولة بهدف تحقيق اهداف شريحة او طبقة من السكان، وتشمل النقابات والاتحادات او الجمعيات المهنية والحرفية والخاصة وجمعيات رجال الأعمال[١].

ويستخدم **البنك الدولي** مصطلح منظمات المجتمع المدني للإشارة الى المنظمات غير الحكومية وغير الربحية الموجودة في الحياة العامة والمعبر عن مصالح وقيم اعضائها او قيم اشخاص اخرين بناء على اعتبارات اخلاقية او ثقافية او سياسية او علمية او دينية او انسانية[٢]. وقد ثار جدل بين الباحثين حول مدى شمول الاحزاب السياسية في إطار المجتمع المدني، وانقسموا بين مؤيد لدخول هذه الاحزاب في إطار المجتمع المدني، باعتباره مؤسسات سياسية وبين معارض لدخولها في إطار المجتمع المدني وعلى راسهم لأرى دايموند، واحتج المؤيدون لدخول الاحزاب السياسية في المجتمع المدني بانها تمثل نقطة التقاء بين المجتمعين المدني والسياسي. اما المعارضون لتضمين الاحزاب السياسية فى المجتمع المدني فقد اكدوا على ان الاحزاب السياسية تسعى دائما للوصول للسلطة سواء بشكل منفرد او بالاشتراك مع احزاب اخرى في اطار حكومة ائتلافية، وبالتالي لا يتوفى فيها دائما ركن الاستقلال الذى يعد ركنا اساسيا فى تعريف المجتمع المدني[٣].

١) نور الهدى بوقره: دور منظمات المجتمع المدني فى مكافحة الفساد الاداري فى الجزائر- (بحث ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي-ام البواقى- كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية) ص ٦١-٧١.فى

http://bib.univ-oeb.dz:8080/jspui/bitstream/123456789/2194/1/20.pdf

٢) موقع البنك الدولي : تاريخ التصفح ٢١ مارس ٢٠١٩.

http://web.worldbank.org/WBSITE/EXTERNAL/EXTARABICHOME/EXTTOPICSARABIC/EXTCSOARABIC/0,,contentMDK:20581116~pagePK:220503~piPK:220476~theSitePK:1153968,00.html

٣) د. شيماء محى الدين، مرجع سابق.

تطور المجتمع المدني في أفريقيا:

يمكن القول بوجود مرحلتين اساسيتين شهدتها نشأة وتطور المجتمع المدني فى افريقيا وهى مرحلة الاستقلال الوطني والمرحلة الثانية منذ عام ١٩٨٩. وظهر ثلاث انماط من منظمات المجتمع المدني فى فترة الاستعمار، اولاً: المنظمات العمالية وظهرت في المجتمعات التعددية مثل جنوب افريقيا، وروديسيا الشمالية زيمبابوي حاليًا، ثانيًا: الجماعات الاثنية وظهرت للتعبير عن مصالح اثنية وبتشجيع من الاستعمار وبخاصة الاستعمار الانجلوفوني، ثالثًا: التنظيمات الدينية مثل البعثات التبشيرية واخترقت المجتمع بالخدمات الصحية والتعليم، وكانت ايضًا في شكل المدارس والكتاتيب القرآنية والخلاوي.

مرحلة الاستقلال الوطني:

سبقت هذه المرحلة تلك الاشكال الجديدة من الجمعيات التطوعية التى انشأها الافارقة خلال الفترة الاستعمارية واحيانا كانت هذه الجمعيات تمثل تعبيرات متطورة عن اشكال التكافل غير الرسمي الراسخ منذ فترة طويلة «مثل جمعيات الرعاية الاثنية، والحركات المنتسبة الى الانبيا prophetic movements، واحزاب العمل الزراعية، وفى حالات اخرى تم التعبير عن هويات مهنية وفئوية جديدة «حركات الفلاحين، والنقابات العمالية، وجمعيات المعلمين» وقد صارت هذه الجمعيات سياسية بشكل صريح، اولاً: عن طريق الاحتجاجات على التصرفات المهنية الصادرة عن الحكم الاستعماري، ولاحقًا عن طريق تشكيل اللبنات الاساسية للأحزاب السياسية القومية[١].

وعقب الاستقلال اعطت النخب الافريقية الحاكمة اولوية قصوى لسيادة الدولة، والامن الوطني، وقد حاول بعض قادة واد المنظمات المستقلة، من خلال دمجها تحت جناح الاحزاب الحاكمة، في حين قام قادة اخرون بحظرها تماما. اما الحياة الجميعاتية (associational life) فقد اخذت اشكالاً مختلفة في مختلف الدول، مثل: الكنائس المسيحية فى كينيا وبوروندي، وجمعيات المحامين والصحفيين في غانا ونيجيريا، وجمعيات المزارعين فى زيمبابوي وكينيا، واتحادات عمال

١) نشوى مختار حسين محمد: الالية الافريقية لمراجعة النظراء فى اطار النيباد ودور المجتمع المدنى الافريقى (رسالة دكتورة، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة ٢٠١٥) ص ٣١-٩١

المناجم في زامبيا وجنوب افريقيا، غير ان فى كل مكان تواجدت فية الجمعيات المستقلة وانها قدمت للمواطنين الافارقة العاديين منفذا يحثهم على التجمع لتحقيق اهداف مشتركة[1]. وبعد الاستقلال كان هناك مرحلتين، اولاً مرحلة ما بين الستينيات الى بداية التسعينيات وشهدت هيمنة الدولة على المجتمع المدني، من خلال الهيمنة الصريحة او من خلال الحزب الواحد او التبعية من خلال التمويل والاطر المنظمة.

الفترة الثانية منذ عام ١٩٨٩م:

يرى micheal bratton ان بزوغ المعارضة للحكم السلطوي في الدولة الافريقية قد ادى الى وجود مجتمعات مدنية قوية، فقد استمد الفاعلون المدنيون فى افريقيا قوة جديدة من مناخ التحرر السياسي فى فترة التسعينيات واستجابة للاحتجاجات الشعبية، وضغط الجهات المانحة، خلق القادة السياسيون الافارقة عمليات انفتاح سياسي، وذلك عن طريق تحرير السجناء السياسيين، والتخلي عن دساتير الحزب الواحد، على سبيل المثال: كان من شأنها تحسين البيئة القانونية لحرية التغير، وتكوين الجمعيات[2]. وكانت المرحلة الثانية ما بعد التسعينيات فترة بروز المجتمع المدني والتحرر النسبي، وكان التغير النسبي في شكل تزايد عدد المنظمات وتطور طبيعة دور هذه المنظمات، وحاليا هناك سبع انواع من التنظيمات في افريقيا تقريبا، اثنية، دينية، عمالية، مهنية، طلابية، نسوية، واعضاء هيئات تدريس والمعلمين الأكاديميين. ومن اهم المشكلات التي تواجهه المجتمع المدني في افريقيا التمويل، وقيود العلاقة مع الدولة، والثقافة السياسية للمجتمع، بالإضافة الى الضعف المؤسسي لتنظيمات المجتمع المدني، وطبيعة العلاقة بروابط المجتمع المدني بالخارج.

مفاهيم متعددة للفساد تتعلق بواجبات الوظيفة العامة

يوجد مفاهيم مختلفة للفساد الاداري حسب تصنيف العلماء، يشير **لوسيان باي**: «الفساد يضم كافة اشكال اساءة استخدام السلطة الناتجة عن الوظيفة العامة بغرض تحقق مكاسب شخصية قد لا يكون ماليا بالضرورة». ووضع بعض العناصر لتورط الموظف العام في الفساد ومنها نية الموظف للفساد، ان تعود المنافع بالضرورة للموظف ولا بد من علاقة بين الموظف وقيمة المنفعة،

١) المرجع السابق
٢) المرجع السابق

وايضا ان يكون الموظف متأثر أو مؤثر بادا قيمة الوظيفة القانونية. ويرى **جوزف ناي** الفساد هو: «سلوك يعد انحراف عن الوظيفة الطبيعية بسبب اعتبارات خاصة سعيا وراء مكاسب بالمخالفات للقواعد المهنية».

ولكن **لوسيان** يناقش ويقول إن الأفعال التي تتم وفقا لرغبات أعلى مقدم عرض، ومقدم العرض هنا «جماعات المصالح» ويقصد بالأفعال «سن القوانين» يمكن اعتبارها مخالفة للمصلحة العامة، بغض النظر عن الاتجاه الموضوعي لتأثيرها على السياسة العامة. في الثمانينيات من القرن الماضي، كانت هناك إحياء لمحاولات توظيف مفهوم المصلحة العامة من أجل تمويل الأعمال التجارية على نطاق واسع، بشكل خاص من خلال ارفاق اعمال الفساد صفة القانونية، وبناء على ذلك، تم التمييز بين «جماعات المصلحة العامة» التي تمثل المجتمع عموما والتي تركز على المصالح غير المالية، ومجموعات «المصالح الخاصة» التي لديها قاعدة خاصة او ضيقة بتمثيل المصالح المالية بصورة اساسية.

تعرف **منظمة الشفافية الدولية** الفساد بأنه « كل عمل يتضمن سوء استخدام المنصب العام لتحقيق مصلحة خاصة ذاتية لنفسه أو جماعته، ويعرف **البنك الدولي** الفساد بأنه: "استغلال أو إساءة استعمال الوظيفة العامة من أجل مصلحة شخصية[1].

دور المجتمع المدني في تعزيز النزاهة في أفريقيا

قد اكتسب دور المجتمع المدني في التصدي للفساد الاعتراف على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية ووفقًا لتقرير الاتحاد الأفريقي الذي تم تقديمه في عام ٢٠٠٢، يُقدر أن الفساد الاقتصادي يكلف الاقتصادات الأفريقية ما يزيد عن ١٤٨ مليار دولار سنويًا[2]، وإن محاربة الفساد تحتاج إلى جهود متضافرة من القطاع العام والقطاع الخاص والمجتمع المدني. وفى نفس السياق تدعو المادة ١٢ من اتفاقية الإتحاد الإفريقي لمنع الفساد ومكافحته الدول الأطراف إلى إشراك المجتمع المدني بشكل كامل في مكافحة الفساد وخلق بيئة ملائمة تمكن وتشجع على الارتقاء الى اعلى مستويات الشفافية، وتهيئة بيئة مواتية للمجتمع المدني، وضمان مشاركته في عملية المراقبة والتشاور[3].

1) https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=2607272

2) https://www.u4.no/

٣)اتفاقية الاتحاد الإفريقي لمنع الفساد ومكافحته

https://carjj.org/sites/default/files/achievements/tfqy_lthd_lfryqy_lmkfh_lfsd.pdf

وبموجب المادة ١٣ من اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد، تلزم الدول الأطراف باتخاذ التدابير المناسبة لتعزيز المشاركة النشطة للأفراد والجماعات خارج القطاع العام، مثل المجتمع الاهلي، والمنظمات غير الحكومية، والمجتمع المدني، في مجال منع الفساد ومكافحته ورفع الوعي العام بشأن وجود الفساد وأسبابه وخطورته والتهديد الذي يشكله الفساد[١].ويبرز دور المجتمع المدني في مكافحة الفساد عن طريق منظمة الشفافية الدولية وهى المنظمة الغير حكومية «منظمة المجتمع المدني» الرائدة في مجال مكافحة الفساد في أنحاء العالم والتي تصدر مؤشر مدركات الفساد السنوي والذى يُعد أحد أهم الإصدارات البحثية لمنظمة الشفافية الدولية وهو المؤشر الرائد عالميا الذي يسلط الضوء على الفساد في القطاع العام ويعطي لمحة سنوية عن الدرجة النسبية لانتشار الفساد[٢]، وتعتبر المنظمة العالمية الرئيسية التى تهتم بانشطة مكافحة الفساد.

تعزيز الشفافية فى الحكم

ساهمت منظمات المجتمع المدني في افريقيا في الحكم الجيد عن طريق الضغط من اجل تحسين مستوى الشفافية فى الحكومة، وزيادة توافر المعلومات حول السياسيات وتنفيذها، وتشمل الانشطة التى قامت بها منظمات المجتمع المدني في هذا الصدد، اكتشاف المعلومات عن بنود التشريعات والاحكام القانونية، ومخصصات الانفاق العام، وتنفيذ السياسات والبرامج وغيرها والاعلان عن هذه المعلومات ونشرها. وبوجه عام يذكر Miceal Bratton انة فى الثمانينيات انشأ عدد قليل من المواطنين (فى نيجيريا واوغندا وزامبيا وزيمبابوي وغيرها) منظمات غير حكومية لمراقبة الاداء الحكومي فيما يتعلق بحقوق الانسان، وفى عام ١٩٩١ بدأت الفروع النشطة بالفعل في زامبيا وموريشيوس، وبعض هذه الجماعات امتد عملة ليشمل مراقبة الانتخابات، وذلك من خلال شبكة Gerdess للمثقفين والمختصين والمهنين professionals فى غرب افريقيا الفرنكفونية، ومن خلال الجماعات المظلية الكنسية (Umbrella Groups of Churches) فى شرق افريقيا على سبيل المثال[٣].

---

١) اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد:
https://www.unodc.org/res/ji/import/international_standards/united_nations_convention_against_corruption/uncac_arabic.pdf

٢) الشفافية الدولية:
https://www.transparency.org/news/pressrelease/2018_29_2019

٣) نشوى مختار حسين محمد: مرجع سبق ذكره.

ويمكن القول دعم منظمات المجتمع المدني لعملية التنمية يتوقف على عاملين رئيسين: اولهما ذلك الدور الذى تلعبه البيئة الثقافية والاجتماعية والسياسية (ويدخل ضمن الاخيرة التشريعات)، وثانيهما يرتبط بقدرات منظمات المجتمع المدني ذاتها، والتي تدفعها الى انشطة ومشروعات تنموية مثل القدرات المؤسسية او التنظيمية المتوافرة.

ومن الجهود التى بذلت استضاف الاتحاد الإفريقي مؤتمر منتدى المجتمع المدني الثالث لمكافحة الفساد في البرلمان الأفريقي كجزء من جهود الاتحاد الافريقي لمكافحة الفساد في أفريقيا، واعتبر ان استمرار الفساد في افريقيا يعيق التنمية في العديد من البلدان الأفريقية، وأعلن الاتحاد الإفريقي عام ٢٠١٨ عام مكافحة الفساد في إفريقيا. وكان الهدف الرئيسي للمنتدى هو تحديد إمكانات بناء تحالف أكبر وتشبيك أوسع من قبل منظمات المجتمع المدني (CSOs) وأجهزة الاتحاد الإفريقي والصحفيين من أجل تسجيل نتائج أقوى مجدية ومستدامة في مكافحة الفساد في القارة، وتم إنشاء مجلس بتفويض من الاتحاد الأفريقي لمكافحة الفساد في أفريقيا[1]. وفوض المنتدى فريق عمل لاستعراض حالة مكافحة الفساد على المستويين الإقليمي والقاري، بالاستناد إلى أفضل الممارسات التي اعتمدتها الدول الأعضاء في الاتحاد الأفريقي في مكافحة الفساد، بهدف فهم الديناميات السياسية التي تسهم في هذا الجهد، إن دور فريق العمل هو أيضا توعية منظمات المجتمع المدني والبرلمانيين حول أحدث تقدم على مستوى الاتحاد الإفريقي في صياغة سياسات لمحاربة الفساد.

فى نفس السياق المبذول شارك المجتمع المدني في أفريقيا في مكافحة الفساد من خلال أنشطة الرصد والمراقبة وعلى قدرة المجتمع المدني في بناء علاقات وثيقة تقوم على الثقة مع أعضائه أو قطاع المجتمع الذي يمثلونه والذي يساعده في تلقي المعلومات وتوفيرها لتسهيل أنشطته. اذ قام ائتلاف من المنظمات غير الحكومية، شبكة الديون الأوغندية UGANDA DEBT NETWORK، بتنفيذ مشروع على مستوى القاعدة يهدف إلى مراقبة جانب الإنفاق في صندوق مكافحة الفقر. تم دمج مشروع مراقبة نفقات شبكة الديون الأوغندية UDN مع مراقبة أداء الميزانية، وحملة مكافحة الفساد والدعوة من أجل المساءلة والشفافية، من خلال ضمان وصول الأموال التي خصصتها

١) كوربشن ووتش، تاريخ التصفح ٣ مارس ٢٠١٩، فى

https://www.corruptionwatch.org.za/au-promotes-civil-society-anti-corruption-efforts/

الحكومة لتحسين تقديم الخدمات الاجتماعية للمستفيدين والمستهدفين، وساعدت شبكة الديون الأوغندية UDN الحكومة الأوغندية في تنفيذ تدابير التخفيف من حدة الفقر. وعملت شبكة الديون الأوغندية UDN بشكل وثيق مع وسائل الإعلام لاطلاع الجمهور على مشروع المراقبة الخاص بها وكذلك تلقي الملاحظات لتحسينها، كما أنها أنشأت منصات حيث يقوم المراقبون وقادة المجتمع والمسؤولين الحكوميين بعقد اجتماعات لمناقشة نتائج عملية الرصد[١].

أهمية دور المجتمع المدني:

يلعب المجتمع المدني دورا مكملا للدور الحكومي، وذلك إن جرائم الفساد لا يمكن محاصرتها ومكافحتها إلا بتظافر جهود الحكومة والمجتمع المدني ثم أن مكافحة الفساد والوقاية منه هي عملية ينبغي أن يشترك فيها الجميع من أفراد ومؤسسات المجتمع المدني مثل النقابات والجمعيات والأحزاب السياسية. ويمكن لمنظمات المجتمع المدني القيام بدور هام في توفير وتعزيز قيم النزاهة والشفافية في عملها، والمشاركة في صياغة السياسات العامة وحماية الحقوق، وتعزيز المشاركة في الشؤون العامة وتقوية حكم القانون بالإضافة إلى دورها في رفع الوعي العام بموضوع الفساد ومحاربته والرقابة على القطاع العام[٢].

ان منظمات المجتمع المدني، يمكن ان تلعب دورًا هامًا في محاربة الفساد، ولكن ذلك الدور تحده عدة اعتبارات، غير منتخب ديمقراطيًا كما انه لا يخضع لمساءلة مماثلة، فان الحل الأمثل هو خضوع منظمات المجتمع المدني الي فحص دقيق من قبل المواطنين حتى تكون مساءلة بنفس الدرجة التي تتم بها مساءلة العاملين في الوظيفة العامة أو القطاع الخاص. ويمكن ان تلعب منظمات المجتمع المدني دورًا في التحقيق والقاء الضوء علي قضايا الفساد منها[٣]:

1) https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=2607272

٢) علي كمال: دور مؤسسات المجتمع المدني في مكافحة الفساد- موقع صفحة الصباح الجديد العراقية،تاريخ التصفح ٠٢ فبراير ٩١٠٢، في:

http://newsabah.com/newspaper/107955

٣) د. أحمد المفتى: دور مؤسسات المجتمع المدني فى محاربة الفساد، (مقال عبارة عن ترجمة وتلخيص لدراسة قدمت للبنك الدولي عام ٠٠٠٢) سودانيل، تاريخ التصفح ٣٢ فبراير ٩١٠٢، في:

https://www.sudaress.com/sudanile/47155

خلق وعى عام بالفساد: وذلك من خلال اجراء مسوحات قوميه عن الفساد وعن تقديم الخدمات وفحص تلك الحالات وتقييمها. ومن امثلة ذلك برنامج صوت المواطنين في اكرانيا وبرنامج خدمات الفقراء في الفلبين، وهى طرق مبتكرة لإيصال صوت المواطنين الي المسئولين وذلك لتحسين تقديم الخدمات وتقليل مستويات الفساد.

صياغة وترويج خطط لمحاربة الفساد: ان السمنارات والمؤتمرات وورش العمل تعتبر من الوسائل الفاعلة في نشر المعلومات عن الفساد وبناء تحالفات ضد الفساد ووضع خطط عمل للقضاء عليه. ويمكن ان تشمل تلك الخطط التأثير على مسودات القوانين بحيث تساعد علي مراقبة الفساد او تعمل علي بناء مؤسسات لمنع الفساد أو القضاء عليه. ومن بين مجالات تداخل المجتمع المدني الترويج للإصلاح القانوني والقضائي وحرية الحصول على المعلومات وتبسيط اللوائح المنظمة للعمل والخصخصة واصلاح اجراءات المشتريات الحكومية والتأكد من أن كل المشتريات والخدمات والإنشاءات الحكومية تتم وفق تلك الإجراءات.

مراقبة اعمال وقرارات الحكومة لتقليل الفساد: مثال ذلك في مجال الاسكان والصرف الحكومي ومراقبة الانتخابات، ومن امثلة مراقبة الانتخابات الناجحة ما جرى في الانتخابات العامة في زيمبابوي عام ٢٠٠٠ حيث عقدت حولها حوالى ٥٠٠ ورشة عمل وسمنار ومؤتمر خلال نوفمبر ١٩٩٩ ويونيو ٢٠٠٠ وشارك فيها اكثر من ٥٣٫٠٠٠ شخص.

الحصول على المعلومات: من أجل إضفاء الشفافية في تسير الشؤون العامة ينبغي على هيئات المجتمع المدني وكذلك وسائل الإعلام الحصول على المعلومات المتعلقة بالفساد ونشرها، وتمكينها من ذلك ودور هذه الوسائل هام في كشف الممارسات المتعلقة بالفساد والمفسدين، وهذه مسؤولية حساسة وخطيرة لا تقل في أهميتها عن مسؤولية الأجهزة التشريعية والتنفيذية والقضائية في محاربة ومكافحة الفساد المالي والإداري[1].

١) أ/ رضا همیسي: دور المجتمع المدني في الوقاية من جرائم الفساد ومكافحتها تاريخ التصفح ٢١ مارس ٢٠١٩، https://revues.univ-ouargla.dz/index.php/numero-01-2009-dafatir/538-2013-05-02-11-20-27

الرصد: هو وسيلة فعالة تمكن المجتمع المدني من خلال فضح الممارسات الفاسدة، وتعبئة الرأي العام ويمكن للمجتمع المدني أن يقوم بمراقبة كيفية صرف المال العام وإبرام الصفقات، ومراقبة الأحزاب السياسية وتمويل الحملات الانتخابية، حيث نجد أنه في كثير من البلدان يقوم أصحاب المصالح الخاصة والأثرياء بابتزاز السياسيين وشراءهم بالمال.

العوامل المساعدة لدور المجتمع المدني

الشفافية: تعرف الشفافية وفقا لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي» ظاهرة تشير إلى تقاسم المعلومات والتصرف بطريقة مكشوفة. فهي تتيح لمن لهم مصلحة في شأن ما أن يجمعوا معلومات حول هذا الشأن قد يكون لها دور حاسم في الكشف عن المساوئ وفي حماية مصالحهم، والشفافية في مفهومها كذلك هي التدفق الحر للمعلومات.

المساءلة: يعرّف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي المساءلة على أنها «الطلب من المسؤولين تقديم التوضيحات اللازمة لأصحاب المصلحة حول كيفية استخدام صلاحياتهم وتصريف واجباتهم، والأخذ بالانتقادات التي توجه لهم، والمساءلة هي صورة من صور الرقابة وهي شكل من أشكال الحكم الرشيد وهي وسيلة تمكن من رقابة الموظفين المكلفين بتسيير الشؤون العامة، خاصة المتعلقة منها بإنفاق وتسيير المال العام[1].

التحديات التي تواجه المجتمع المدني في افريقيا

من أهم التحديات التي تواجهه المجتمع المدني في افريقيا تحديد ما هي منظمات المجتمع المدني التي يمكن أن تقوم بهذا الدور، وما مدى قدرة المجتمع المدني على مواجهة الفساد بمعناه الشامل. وان مكافحة الفساد مجالاً جديدًا بالنسبة لمنظمات المجتمع المدني في جميع أنحاء العالم وتفتقر هذه المنظمات إلى المعلومات أو الخبرة أو القدرات التقنية، فمن الطبيعي ان يكون للمجتمع المدني الأفريقي تاريخً قصيرً مقارنةً بالمجتمع المدني في المناطق الأخرى من العالم. وايضا من التحديات نقص القدرات المادية والفنية للمجتمع المدني في العديد من البلدان الأفريقية اذ تعتبر المنظمات صغيرة جدًا وتعتمد ماليًا على الأموال العامة في ظل هذه الحالات، يكون لدى الشخص سبب للتشكك في قدرته على ضمان المساءلة العامة والاستقلالية والقوي في مواجهة الجهات الفاعلة القوية في القطاع العام.

١) أ/ رضا هميسي: مرجع سابق

قبائل الهوتو في بوورندي بين الطبيعة الجغرافية والوضع السياسي

بقلم: رشا العشري

باحثة متخصصة في العلاقات الدولية والحركات الإرهابية

تعتبر جماعة الهوتو من أكبر الجماعات العرقية في منطقة البحيرات العظمى، فهي مجموعة عرقية من وسط أفريقيا توجد بشكل كبير في رواندا وبوروندى، وهى إحدى طرفي الصراع في الحرب الأهلية في بوروندي مع التوتسي، فالهوتو تمثل ٨٥٪ من إجمالي السكان يليها التوتسى حيث تمثل ١٤٪ وتمثل جماعة التوا ١٪. فضلاً عن وجود جماعات مهاجرة تشكل أقلية من مالي، والسنغال، وغينيا، والهند وباكستان، وجالية عربية أيضًا. وتأخذ الهوتو التلال مسكنا لها.

الشكل:

تتميز الهوتو بأنها جماعة زنجية قصيرة القامة، أما التوتسى فهم من أصول حامية نتيجة الزواج المختلط بالزنوج، وهم يتميزون بطول القامة والرشاقة، والمجموعة الثالثة (التوا twa) من الاقزام.

الأصل:

يرجع أصل الهوتو إلى جماعة البانتو، وهو الاسم الصحيح للهوتو، حيث تعني كلمة (ماو هوتو) في (الكيهاميت) وهى لغة التوتسى بـ«الخادم» فعندما أتى التوتسى إلى بوروندي قاموا باعطاء الأبقار والعطايا للبانتو ليرسخو أقدامهم في الارض وبتالي شعر التوتسي بأنهم أعلى مرتبة منهم، وبتالي أطلقوا عليهم اسم الهوتو وقد حاول البانتو رفض اسم الهوتو إلا أنه التصق بهم.

اللغة:

يتحدث الهوتو باللغة الكيروندية، وهناك اللغة السواحيلية وهي لغة التجارة في بوروندي ويلم بها معظم السكان، فضلاً عن اللغة الفرنسية.

الدين:

يدين معظم الهوتو بالمسيحية ذو المذهب الكاثوليكي، حيث أن ٦٠٪ من السكان كاثوليك، و١٠٪ مسلمين، ٣٠٪ مجموعات مسيحية مختلفة، وأخرى ذات ديانات محلية.

ونجد أن العديد من الحركات التبشيرية التي تبنتها الهوتو كانت جميعها ضد الطوائف البروتستانطية في الجنوب مما أثار مخاوف التوتسي في المناطق الجنوبية من سيطرة الكنيسة باعتبارها قوة منافسة تهيمن على قبائل التوتسي غير الجنوبية.

العادات والتقاليد:

- من سمات جماعة الهوتو أن لديها فلكلور شعبي في أنها تتأثر بالحكايات الشعبية والأساطير، فلديهم بطل شعبى يسمى (ساماداری samadari) وهو يسخر من الأغنياء وهم اصحاب الماشية.
- يرتدي الهوتو ملابس من قماش من التنانير وهي مصنوعة من لحاء الشجر، والعباءات المصنوعة من جلود الحيوانات، ولكن تم الاستعانة بالملابس على النمط الغربي، إلا أنه مازال يرتدون تلك الملابس القديمة، كما يرتدون أيضا قلائد الخرز والأساور اليدوية.
- عندما يولد الطفل تترك الأم وابنها بمفردهما في المنزل لمدة سبعة أيام، وفى اليوم السابع يقام حفل لتسمية الطفل.
- يرتبط الشباب الهوتو مع بعضهم البعض من خلال الانشطة الجماعية مثل الرقصات المعينة وكذلك الطقوس الكنسية.

الأعياد:

يحتفل الهوتو بأيام الاستقلال البوروندية، وعيد العمال، عيد رأس السنة، والأعياد الكبرى المسيحية.

وخلال الاحتفالات المحلية الكبرى، يشرب سكان بروندي مشروبًا تقليديًا يسمى (امبيكي) - جعة محلية الصنع من الشعير تقدم في كوب تقليدي جميل.

أيضًا يعد الطبل التقليدي عنصرًا هامًا من الموروث الثقافي في بروندي. إن الطبل التقليدي الملكي الذي صُنع قبل أكثر من أربعين عام يعد الأشهر ويعرف بطبوله التي تسمى باللغة المحلية بـ(امشاكو-ابيشيكسو-وايكرانيا). يترافق الرقص الشعبي مع إيقاع الطبول والموسيقى التقليدية خلال الاحتفالات الشعبية واللقاءات العائلية.

الرياضة والترفيه:

المشاهدة الرئيسية لكرة القدم، أما فهم يمارسون رياضة تسمى (igisoro) أو تسمى (mancala) في أجزاء من أفريقيا، حيث يقوم فريق بوضع الفاصوليا في ثقوب فى لوح خشبى، ويوضع عند خط اللاعبين، ويحاول الفريق الأخر أخذ هذه الفاصوليا من اللوح الخشبي والجري بها، فيقوم الفريق الأول بالقبض على هؤلاء من خصومهم. أما الترفيه فنجد سيطرة الأفلام الأوروبية والأمريكية على دور السينما في رواندا وبوروندي.

المرأة:

تتحمل المراة العبء الأكبر في النزاع المسلح، فبعد أن يقُتل الرجال أو يُسجنون أو يشاركون فى حركات التمرد تصبح المرأة بمفردها ترعى الأسرة، وتحاول ضمان بقاءها على قيد الحياة، وفي الزراعة تقوم النساء برعاية المنزل، وأيضا تزرع في الحقول، كما تقوم بمسح الميدان لإعداده للزرع، أما الفتيان والرجال يقومون برعي الماشية. ولكن مستقبل المرأة غير واضح من حيث التعليم أو مشاركتها في الحياة السياسية.

الحالة الاجتماعية

نجد الحالة الاجتماعية عند الهوتو سيئة للغاية من حيث التعليم والصحة ويرجع ذلك للحرب المستمرة في البلاد وعدم الاستقرار الأمني، وفيما يلي استعراض لكل منهما.

التعليم:

لا يحصل الهوتو على التعليم الكافي نتيجة الصراعات والحروب، ونتيجة استحواذ التوتسى على الثروة والسلطة نجدهم يستأثرون بالتعليم، وبتالي نجد فقر في المساواة بين الهوتو والتوتسى، فضلاً عن رداءة نظام التعليم أدى إلى زيادة الأمية بنسبة ٣٥٪، ومع الحرب وعدم الاستقرار

تم استخدام المدارس كثكنات للمتمردين، ومأوى للمشردين ، فضلاً عن قضاء الحرب على المعلمين، حيث قتل التوتسي من مائة ألف إلى مائتى ألف من الهوتو، والذى نتج عنه وفاة وهروب معظم المتعلمين من الهوتو، والبعض الأخر فروا كلاجئين إلى تنزانيا.

أما المناطق التي لم تتأثر بالحرب وتركز فيها التعليم مثل بوجمبورا وجيتياجا، فمعظم المدارس والجامعات من التوتسى، ولم يحصل الهوتو على نصيب من التعليم كما يحصل عليه التوتسى فهم يشغلون أفضل المدارس فى البلاد، ومع فقر الدولة وتراجعها فى الدعم بدأت تطالب الحكومة من الطلاب تسديد تكاليف تعليمهم مما زاد الأعباء على الهوتو، وهذا بدوره أدى إلى ظهور حركات وتنظيمات مناهضة للحكومة حيث ظهرت منظمة تشمل جماعة الهوتو مما أثار مخاوف التوتسي.

- وفي ثقافة الهوتو نجد أن الأدب عندهم يتكون من الأساطير والخرافات.
- وفي الصحافة والإعلام: نتيجة عدم القراءة والكتابة لم يكن للهوتو نصيب في التاثير على الصحافة والاعلام، فضلا عن سيطرة التوتسي عليها ودحض أي محاولة لسيطرة الهوتو عليها، والدليل على ذلك فقد تم إغلاق جريدة (la verete) وهى جريدة معارضة للتوتسي، وذلك فى عام ٢٠٠٠.

الصحة:

حال الصحة كحال التعليم عند الهوتو، فهناك سوء وإضرار جسيمة في النظام الصحي، فنجد أن المستشفيات التي لاتزال صالحة للاستعمال ضئيلة جدًا، فالطب في غاية السوء فضلاً عن قلة الامكانيات، وقد أدى الانخفاض في التحصين الروتينيى إلى ارتفاع مرض الحصبة بالاضافة إلى تفشي مرض الالتهاب السحائي، حيث يتحمل الهوتو النصيب الأكبر من هذه الأمراض نتيجة الفقر وقلة الامكانيات ؛ وقد أجبرت النزاعات المسلحة العديد من المزارعين فى المناطق المرتفعة في البحث عن أراضي أخرى صالحة للزراعة، ومع اختلاف المناخ فى المناطق المرتفعة والممارسات الزراعية غير الصالحة أدى إلى انتشار مرض الملاريا في هذه المناطق، حيث يفتقر السكان إلى حصانة الأرض، مع قلة إمكانيات التنمية في الرعاية الصحية، فضلاً عن حدوث الجفاف في المناطق المختلفة فى البلاد، والصراع الدائم الذي أدى إلى انخفاض في المحاصيل الزراعية مما ساهم فى زيادة سوء التغذية على نطاق واسع، الأمر الذى أدى إلى انتشار مرض الايدز (نقص المناعة المكتسبة)، مما أدى إلى زيادة معدل الوفيات.

الزواج:

تترك العائلة سواء الرجل أو المراة في اختيار من تتزوج، وعرف الزواج عند الهوتو أن يدفع العريس إلى أسرة العروسة ثروة تقدر بمجموعة من الابقار والماعز والبيرة، وفي الاحتفال بالزواج يغطي جسد العروس بالحليب ومجموعة من الاعشاب حتى يصبح الجسد نقي، وعند موت الزوج تقام الصلاة والطقوس والخطب، كما لاتعمل أفراد الاسرة ولا يشاركون في بعض الأنشطة، أيضًا لا تعمل المرأة في الحقل، ولا تقيم أى علاقات في فترة الحداد، وعندما تعلن الأسرة عن انتهاء فترة الحداد تقيم طقوس معينة احتفالا بذلك.

- بالنسبة للزواج بين الهوتو والتوتسي دائما ما يكون نادرا.

اللجوء:

أثرت عملية اللجوء على الهوتو تاثيرًا كبيرًا، فضلاً عن التشريد والنزوح، الأمر الذي أدى إلى بعدهم عن وطنهم وجعلهم عرضة للقتل والفقر والمجاعة ويرجع ذلك نتيجة للحرب وعدم الاستقرار الامني والخوف من الابادة الجماعية، فقد نزح من ٦٠ ألف الى ٨٠ ألف من الهوتو إلى تنزانيا ورواندا بعد عمليات الإبادة الجماعية عام ١٩٧٢، وفي عام ١٩٨٨ نزح حوالى ٣٠ ألف من الهوتو إلى رواندا، وفى عام ١٩٩٣ تبعها أكثر من ٣٠٠ ألف من اللاجئين، ولايزال هناك العديد من اللاجئين المبعثرين في العديد من الدول المجاورة حتى الأن.

النشاط الاقتصادي

أولاً: الزراعة:

تمارس جماعة الهوتو النشاط الزراعي فهو الحرفة الأساسية لديها، ونجد أن المحاصيل الزراعية التي تشغل نصيبًا كبيرًا من الأرض هي الذرة، والكاسفا، والقمح، الشعير، والبطاطا الحلوة، ومن المحاصيل النقدية نجد الشاي، والقطن، والبن، والتبغ، ونخيل الزيت ؛ إذن فمعظم الهوتو يعملون في الزراعة وهي وسيلة التوظيف الوحيدة لهذه الاغلبية، ويرجع ذلك لأنهم مجموعة من الفلاحين المضطهدين الذين لايملكون أرض ويشكل الكثير منهم عمالة فائضة، في مقابلها طبقة التوتسي وهي مالكة للاراضي ومهيمنة عليها منذ عام ١٩٧٤.

فضلاً عن أن القطاع الزراعي في الغالب ينمو بمعدل سنوى لايتجاوز ١٪ وهو أبطأ معدل فى النمو الحقيقي في قطاعات الاقتصاد، فأكبر عدد من الموظفين يعانون من البطالة في الريف بسبب النقص فى الأراضي، وعدم وجود أنشطة مربحة بديلة، فضلاً عن نقص الأمطار والجفاف مما أدى إلى تضرر معظم المحاصيل الزراعية، ومع الفقر أدى إلى قلة القادرين على شراء المواد الغذائية حتى ولو كانت متاحة، وقد أدى هذا الوضع إلى وجود حالات وفاة من الجوع ؛ أما بالنسبة للمواد الغذائية الأساسية عند الهوتو تشمل الفاصوليا، والذرة الرفيعة، والبطاطا الحلوة، والكاسافا، والحليب، ولحم البقر وهي الأطعمة الهامة لديهم، كما تؤكل لحوم الماعز وحليب الماعز من قبل الناس ذو الوضع الاجتماعي المتدني.

البنية التحتية:

معظم الطرق في بوروندي غير معبدة، كما لا توجد بها خطوط سكك حديدية. وتحمل البواخر عبر بحيرة تنجانيقا البضائع بين بوجومبورا، وكيجوما في تنزانيا، وكاليمي في الكونغو الديمقراطية (زائير سابقًا) ويوجد في بوجومبورا مطار دولي. تعد تجارة بوروندي خارج الحدود باهظة الثمن وصعبة؛ لأنه يجب شحن البضائع وتفريغها من السفن وعربات النقل الحديدية مرات عدة، قبل أن تبلغ وجهتها النهائية.

الصناعة:

تشمل حرف الهوتو صناعة الفخار، والمشغولات الخشبية، والمجوهرات، والأعمال المعدنية، والسلاسل.

التعدين:

لم يستحوذ الهوتو على نصيب من الثروة المعدنية حيث يستأثر بها التوتسي ونتيجة ذلك قام المتمردين الهوتو بتفجير مناطق التعدين، الأمر الذي أدى إلى خروج شركات أجنبية من مناطق التعدين وسحب استثماراتها باعتبارها منطقة غير آمنة.

إذن فان نظام الطبقية الذي خلفه الاستعمار مع سيطرة التوتسي على الموارد في البلاد نتج عنه وجود علاقات اقتصادية غير متكافئة.

الأقلية الهندية في بوروندي ودول شرق أفريقيا:

يمثل الهنود أحد أهم الأقليات التي لها تأثيرًا في بوروندي ودول شرق أفريقيا بشكل عام، فهي تعتبر من الطبقات الرئيسية المشتغلة بالتجارة، ويحترمها العديد من سكان المجتمع البوروندي باعتبارها من أهم الأقليات التي ليس لها تأثيرًا سلبيًا على المجتمع كالعديد من الأقليات المسلمة في الدولة أيضًا، ونتيجة السياسة الاقتصادية الانفتاحية التي انتهجتها العديد من دول شرق أفريقيا فساعدتهم على الاتجار والاستقرار وتحقيق السيطرة على العديد من الشئون الاقتصادية، وهم مثل العرب جاءوا مع الرياح الموسمية للتجارة. وعندما جاء البريطانيون شجعوا الهجرة الهندية. ويتسم الهنود بسمات دينية وطائفية (حسب الجنس، من باكستان Pakistani أو جاءوا من الهند في عام ١٩٤٨ م).

ينقسم الهنود إلى مجموعتين هما المسلمين والهندوس. أما الهندوس فعقيدتهم الهندوسية وهى عبادة الأبقار ولهم معابدهم الخاصة وأبقارهم المقدسة والمكان الذي تحرق فيه جثث موتاهم ويسمون بانيان Banyans باللغة السواحيلية وهم غالبًا تجار ومنهم فئات فقيرة أصحاب مهن مختلفة مثل العربجية والحلاقين والاسكافيين، وللهنود دور في دعم الاقتصاد حيث قاموا بتمويل مشاريع زراعية وتطوير تجارة القوافل الداخلية.

قد تمكن عدد من التجار الهنود من شراء إقطاعيات زراعية مما جعلهم يضيفون إلى تجارتهم دعامة جديدة من السيطرة على قدر من الأراضى الزراعية. سواء في بوروندي أو تنزانيا أو دول شرق أفريقيا بشكل عام.

اعتبرت بريطانيا الهنود (رعايا بريطانيين)، وشجعت هجرتهم إلى شرق أفريقيا لحاجتها إلى العمالة الهندية (الفنية والحرفية) فأرادت بريطانيا الاستفادة من خبرة الهنود في التجارة وعمليات الصرافة والسمسرة وتوظيف رؤوس أموالهم مما ساعد على ازدهار التجارة. فنظر البريطانيون للهنود على أنهم الفئة التي تليهم درجة ولذا يحق لها أن تختلط وتنسجم معهم دون سواهم. فكان للهنود دور مهم في تجارة شرق أفريقيا.

النظام السياسي

تعد الأسباب السياسية من أهم الاسباب فى نشأة الصراع، وتكمن هذه الأسباب في النزاع على السلطة بين الأغلبية من الهوتو والأقلية من التوتسي، وكذلك الصراع العرقي الذي أدى إلى حرب الإبادة الجماعية، يليها التركيبة السكانية في المجتمع وما ترتب عليها من وضع قبلي واجتماعي أدى إلى خلق مشكلات سياسية حادة أعقبها حرب مشتعلة راح ضحيتها مئات الألاف من كلا الطرفين، وقد حافظت التوتسي على الهيمنة السياسية لمدة أربعة عقود وخلال هذه الفترة استطاعت التوتسي أبعاد الهوتو عن السلطة السياسية بل وسيطرة على كافة المؤسسات فى الدولة، فضلاً عن هيمنتها الاقتصادية، ومع سوء عدالة التوزيع في الموارد وممارسة القمع على الهوتو أدى إلى اشتعال الحرب بين الطرفين وفشل أى محاولة للوصول لاتفاق سلام بين الجانبين.

القضاء:

لايستحوذ الهوتو على القضاء بل يستحوذ عليه التوتسي ويسيطر على كافة مؤسساته، وبتالي فهم يفرضون العقوبات القصوى على الهوتو بينما يرفضون أو يكرهون إدانة التوتسي.

الدفاع والأمن:

تقوم جماعة الهوتو بتكوين ميليشيات عسكرية تدعمها فصائل معارضة لحكم التوتسي وهي قوى وجماعات مسلحة ومن هذه الفصائل المتمردة جماعة تعرف باسم (المجلس الوطنى للدفاع عن الديمقراطية CNDD)، (قوات التحرير الوطنى FNL)، (وقوات الدفاع عن الديمقراطية FDD)، وهذه الفصائل تمتلك من ٥ ألاف إلى ٦ ألاف من المقاتلين الذين يتسلحون تسليحًا خفيفًا.

في المقابل يسيطر التوتسي على الجيش كاملاً، فمعظم الجنود من التوتسي حيث تصل رصيد التقديرات العسكرية من عام ١٩٩٩-٢٠٠٠ إلى ٤٥٥٠٠ جندي، فضلاً عن احتوائه على أسلحة عسكرية مختلفة.

- ونجد أن رفض قوات المعارضة من الهوتو على المشاركة في اتفاق السلام مع التوتسي ورفض الانضمام إلى المفاوضات كان له الأثر الكبير في زيادة حدة التوترات واستمرار الحرب بين الجانبين.

علاقة جماعة الهوتو بالجماعات الإثنية الاخرى

يشكل الهوتو ٨٥٪ من السكان، بينما التوتسي ١٤٪، والتوا ١٪، فضلاً عن وجود جماعات أخرى مثل جماعة الجنوا ganwa، وهناك جماعات مهاجرة تشكل أقلية من مالي، والسنغال، وغينيا، والهند وباكستان، وجالية عربية ايضًا.

ومن الصعب معرفة القواسم المشتركة من حيث اللغة أو الثقافة والتاريخ والتنظيم الاجتماعي فنجد أن المجتمع البوروندي غير متجانس، ولكن نجد أن علاقة الهوتو بالجماعات الموجودة باستثناء التوتسي علاقات عادية ليست صراع، ولكن علاقتها مع التوتسي علاقة صراع وحرب على السلطة والموارد الاقتصادية، وبتالى فالزواج بينهم ليس من المألوف أو النادر، وتعتبر الخريطة الإثنية فى بوروندي نموذج للانفصال العرقي والتطهير الاثني، حيث يوجد أعداد كبيرة من التوتسي تتركز فى شمال شرق كلاً من (كاينزا- نجوزوا - كيروندا- وبعض المحافظات)، بينما يتركز الهوتو فى الشمال الغربي (كيبيتوك- ومحافظات بوبانزا - فضلا عن تمركزهم فى التلال).

إن ما استعرضناه عن جماعة الهوتو البوروندية يوضح لنا مدى أهمية هذه الجماعة فى المجتمع البوروندي ومدى قوتها وكيف أن حقوقها كانت مهدورة من قبل الأقلية الحاكمة في فترة سيطرة التوتسي، تحول الوضع وأصبح السيطرة للهوتو بعد تولي الرئيس نكورونزيزا الحكم في بوروندي، إلا أن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتردية أصبحت غير مقتصرة على الهوتو فقط بل تشارك فيها شعب الدولة من العرقيات المختلفة وكذلك الأمر بالنسبة لدولة رواندا، وإن تتميز بالوضع المستقر والتنمية الاقتصادية مقارنة بجارتها بوروندي.

قائمة المراجع:

أولاً: مراجع اجنبية

1- BOOKS:

-lemarshand rene، Burundi ethnic conflict and genocide (Cambridge: Cambridge university press، 2004).

2-stratigic reports:

- legume colin (ed), Africa contemporary record (new yourk and gondon: Africa publishing company, vol 17, 1984-1985).

----------, Africa contemporary record (vol 19, 1986-1987).

----------, Africa contemporary record (vol 27, 2000).

ثانيًا: شبكة المعلومات الدولية

- موقع Pan Africa Press

http://panafricapress.com/510?lang=ar

- موقع ستار تايمز

http://www.startimes.com/?t=32764233

- مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط

http://www.beirutme.com/?p=19774

- موسوعة ويكيبيديا

http://www.wtgonline.com/country/rw/gen.html

الوسائل القانونية لتسوية نزاعات الحدود الدولية
(نزاع أبيي الحدودي أنموذجًا)

بقلم: د. فتح الرحيم عبد الله سليمان
أستاذ مساعد قسم القانون العام
نائب العميد كلية الشريعة والقانون - جامعة الزعيم الأزهري

المستخلص:

تناولت الدراسة الوسائل القانونية لتسوية نزاعات الحدود الدولية «نزاع أبيي الحدودي أنموذجًا». تمثلت مشكلة الدراسة في وسائل تنفيذ الأحكام القضائية لمحكمة العدل الدولية في النزاعات الحدودية بين الدول وحول إحجام بعض تلك الدول من تنفيذ تلك الأحكام بعد صدورها كأحكام نهائية غير قابلة للاستئناف وقصور آليات ووسائل تنفيذ قرارات وأحكام المحكمة في المواثيق والاتفاقيات الدولية. نبعت أهمية الدراسة في إيجاد الوسائل والآليات القانونية لتنفيذ أحكام وقرارات المحاكم الدولية حول تسوية النزاعات والخلافات الحدودية بين الدول بالطرق السلمية ووفقًا لمبادئ ومعايير القانون الدولي والآليات القانونية المنشئة بموجب المواثيق والاتفاقيات الدولية مما يؤدي إلى تحقيق السلم وحفظ الأمن والاستقرار الدوليين.

وهدفت الدراسة إلى بحث الحكم القضائي لمحكمة العدل الدولية حول النزاع الحدودي لمنطقة أبيي وإيجاد وسائل وآليات لتنفيذ القرارات القضائية لمحكمة العدل الدولية للنزاعات الحدودية. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي. توصلت الدراسة لعدة نتائج أهمها اللجوء لمحكمة العدل الدولية التابعة للأمم المتحدة للفصل في النزاعات الحدودية بين الدول اختياري وحكمها ملزم للأطراف لا يجوز استئنافه وإخفاق الدولتين في تنفيذ الحكم القضائي الصادر من محكمة العدل الدولية حول ترسيم حدود منطقة أبيي رغم قبولهم والتزامهم به.

أوصت الدراسة بعدد من التوصيات أهمها أنه على محكمة العدل الدولية بعد إصدار أحكامها القضائية حول النزاع الحدودي بتكوين فريق فني يضم الخبراء والمختصين لتنفيذ تلك القرارت ووضع العلامات على الأرض والترسيم النهائي للحدود الفاصلة بين الأطراف وإلزام الأطراف التي تلجأ للتحكيم بدفع التمويل المالي للجان الخبراء والمختصين التي تشكل من قبل محكمة العدل الدولية لتخطيط وترسيم الحدود مع المساهمة من الدول الأعضاء في محكمة العدل الدولية لضمان التنفيذ والتحقيق العدالة الدولية.

Abstract:

The study addressed the legal means of settling international border disputes، the model of Abyai border dispute. The problem of the study was in the means of the executing the judicial judgment for the international justice court in the border dispute between the countries and the refrain of some countries of executing of the judgment after issuing it as final judgment not appealable and the lack of the mechanisms of the means of execution of the decision and judgments of the covenants and the international agreements.

the importance of the study emerged in finding legal means and mechanisms for the execution of the judgments and the decisions of the international courts about the settlement of the disputes and conflicts between the states peacefully according to the principles and the norms of the international law and the legal mechanisms that established according to the covenants and the international agreements which led to the achievement of peace and preserve the international security and stability.

The study aimed to investigate the legal judgment of the international justice court about Abyai area border conflict، and finding means and mechanisms for executing the judicial decisions of the international justice court for the border disputes.

The study followed the descriptive analytical، and the historical methods.

The study came to many results، the most important; going to the international justice court of the United Nations for the settlement of the border disputes between states was optional، but its judgment was obligatory for the parties، and not appealable.

The failure of the two countries in executing the judicial judgment issued by the international justice court about the demarcation of the border of Abyai area in spite of their acceptance and obligation.

The study recommended; the international justice court after issuing its judicial judgment about the border dispute should form technical team include experts who were specialized in executing these decisions by putting land marks، and the final demarcation to the border between the parties and obligated them to pay the costs of financing the committees that the international court formed.

The member countries of the international court should contribute in financing to grantee the execution and the international justice achievement.

المقدمة:

تعد منازعات الحدود من الموضوعات المعقدة الشائكة، باعتبارها منازعات ترتبط بسيادة الدولة علي أقليمها، كما ترتبط بكرامة الدولة وهيبتها على الصعيد الدولي. اذ أن اي نزاع حدودي بين دولتين يفترض وجود أدعاءات متقابلة أمتعارض بشأن سيادة كل منهما على مناطق الحدود المتنازع عليها.

وتعد منازعات الحدود من أقدم موضوعات القانون الدولي، ومن أكثر النزاعات التي عرضت على التحكيم الدولي أعلي محكمة العدل الدولية: قد لعبت هذه الأخيرة دورًا مهمًا في تسوية العديد منها مقررة الفصل في النزاع لصالح الطرف الذي يقدم الأدلة القانونية ذات القيمة الثبوتية الحاسمة القاطعة.

ولقد أصدرت محكمة العدل الدولية العديد من القرارات القضائية النهائية والملزمة لطرفي النزاع، ساهمت في ترسيخ عدد من المبادئ والأسس أالقواعد القانونية التي صار متعارفاُ عليها في العمل الدولي وأصبحت مرجعًا أساسيًا للفصل في أي نزاع حدودي ينشأ بين دولتين أأكثر، إلا أن كثيرًا من أحكامها لم تجد التنفيذ من الأطراف المعنية رغم إلزامية هذه الأحكام وقبول الأطراف بها وظهر ذلك في عدد من نزاعات الحدود مما يتطلب التفكير في إيجاد الوسائل والآليات لإنفاذ قرارات وأحكام محكمة العدل الدولية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية البحث في إيجاد الوسائل والآليات القانونية لتنفيذ أحكام وقرارات المحاكم الدولية حول تسوية النزاعات والخلافات الحدودية بين الدول بالطرق السلمية ووفقًا لمبادئ ومعايير القانون الدولي والآليات القانونية المنشئة بموجب المواثيق والاتفاقيات الدولية مما يؤدي إلى تحقيق السلم وحفظ الأمن والسلم الدوليين.

أهداف الدراسة:

١- التعرف على مفهوم النزاعات الحدودية الدولية وأسبابها ودوافعها وطرق حلها.

٢- تحليل دور محكمة العدل الدولية في حل النزاعات الحدودية الدولية.

٣- بحث بنود اتفاقية منطقة أبيي الحدودية بين السودان وجنوب السودان بشأن تقسيمها وتخطيط حدودها.

٤- بحث الحكم القضائي لمحكمة العدل الدولية حول النزاع الحدودي لمنطقة أبيي.

٥- إيجاد وسائل وآليات لتنفيذ القرارات القضائية لمحكمة العدل الدولية للنزاعات الحدودية.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكل البحث حول حتمية تنفيذ أحكام وقرارات محكمة العدل الدولية في النزاعات الحدودية بين الدول وحول إحجام بعض تلك الدول من تنفيذ تلك الأحكام بعد صدورها كأحكام نهائية غير قابلة للاستئناف وتصور آليات ووسائل تنفيذ قرارات وأحكام المحكمة في المواثيق والاتفاقيات الدولية، مما يؤدي إلى إخفاق الجهود الدولية لحل النزاعات الحدودية وتسويتها. ويبقي التوترات والصراعات التي تهدد السلم والأمن على المستوى الإقليمي والدولي.

فروض الدراسة:

١. الالتزام بأحكام وقرارات المحاكم الدولية بتسوية النزاعات حول الحدود يحفظ حقوق الدول الأطراف ويقوي العدالة الدولية.

٢. الالتزام بالقانون الدولي وآليات تنفيذه يجدد الثقة في القضاء الدولي.

٣. عدم تنفيذ الأحكام القضائية لمحكمة العدل الدولية يقوض جهود التسوية السلمية ويهدد السلم والأمن الدوليين.

٤. الخطوات الآحادية من جانب أي دولة لخرق الأحكام القضائية الدولية غير مبررة قانونًا.

منهج البحث:

اتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي للوقوف على أبعاد المشكلة ودراستها وتحليلها واختراح الحلول من وجهة نظر القانون الدولي والوسائل والآليات لتنفيذ أحكام وقرارات محكمة العدل الدولية حول تسوية النزاع الحدودي لمنطقة أبيي وهى أنسب المناهج لمثل هذا البحث.

هيكل الدراسة:

المبحث الأول: مفهوم النزاعات والحدود الدولية.

المبحث الثاني: وسائل حل نزاعات الحدود الدولية.

المبحث الثالث: دور محمكة العدل الدولية في حل النزاع الحدودي لمنطقة أبيي.

الخاتمة:

النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول

مفهوم النزاعات والحدود الدولية

تمهيد:

تعتبر النزاعات من الظواهر الاجتماعية في المجتمعات البشرية منذ القدم، تقع بين المكونات لتلك المجتمعات وتعدد أطرافها وتنوعها من صراعات الأسر أو القبائل دولاً ومجتمعات.

المطلب الأول: تعريف النزاع في اللغة والاصطلاح

الفرع الأول: النزاع لغةً:

ان مصطلح النزاع لغة يعني الخصومة، ونازعه منازعة أي جاذبه في الخصومة، وبينهما نَزاعة بالفتح أي خصومة في حق[١]، ونازَع فلانًا على الأمر أو نازَع فلانًا في الأمر أي خاصمه، جادله، غالبه، ونازعه في حقّه، ونازَع إخوته، أو نازَعه على ملكية الضَّيعة[٢] قال تعالى { **فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم**}[٣] ويقال أيضا تنازع القوم في الشيء أي أختلفوا، وتخاصموا[٤].

الفرع الثاني: النزاع اصطلاحًا:

اصطلاحًا يحدث النزاع نتيجة تقارب أوتصادم بين اتجاهات مختلفة، أوعدم التوافق في المصالح بين طرفين أوأكثر، ممَّا يدفع بالأطراف المعنية مباشرة إلى عدم القَبول بالوضع القائم ومحاولة تغييره، أما محكمة العدل الدولية الدائمة فعرفت النزاع الدولي في قرارها الصادر بتاريخ ٣ آب ١٩٢٤ م في قضية مافروميتس بأنه "خلاف بين دولتين على مسألة قانونية أو حادث معين أو بسبب تعارض وجهات نظرهما القانونية أو مصالحهما[٥] "ويجنح آخرون إلى استخدام مصطلح الصراع بدلاً مِنْ النِّزاع ويعِّرفونه بتعريفٍ شاملٍ بقولهم: (الصراع في صميمه هوتنازع الإرادات الوطنَّية، وهوالتنازع الناتج عن الاختلاف في دوافع الدول وفي تصوراتها واهدافها وتطلعاتها وفي مواردها وإمكاناتها مما يؤِّدي في الأخير إلى اتخاذ قرارات، أوانتهاج سياسات خارجية تختلف أكثر مما تتفق[٦].

---

١) محمد أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١، ص ٦٥٤

٢)أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعامر، ط ١، مجلد ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢١٩٣.

٣) سورة الحج الآية (٦٧).

٤) لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط ٣٥، مطبعة منفرد، طهران، ١٩٦٠، ص ٨٠.

٥) شارل روسو، القانون الدولي العام، ترجمة شكر الله خليفة، الأهلية للنشر، بيروت، ٢٨٩١، ص ٨٢

٦) جيمس دورتي، روبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة د. وليد عبد الحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م. ص ١٤٦ – ١٤٧.

المطلب الثاني: تعريف الحدود لغة واصطلاحًا.

الفرع الأول: الحد لغة:

هو منتهى الشيء وهو الحاجز بين شيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر [١].

الفرع الثاني: الحد في القانون الدولي:

هوالخط الذي يقوم على تعيين نطاق السيادة الإقليمية للدولة وبيان اختصاصها [٢]. وظهرت الحدود الدولية بعد ظهور وتكوين الدولة الحديثة وظهور الإمبراطوريات ثم الحقب **الاستعمارية** منذ القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي حيث ميلاد الدولة الحديثة في أوربا وظهور القانون الدولي العام.

وهناك من يرى أن فكرة الحدود الثابتة والمستقرة كانت معروفة لدى الأقدمين في الماضي البعيد وذلك في صورة بناء الأسوار كسور الصين العظيم أوحفر الخنادق كما يفعل اليونانيون، آوالاعتماد على المعالم الطبيعية الثابتة كالأنهار على نحوما كان يحدث في أوربا قبل قيام الدولة القومية الحديثة[٣].

المطلب الثالث: أقسام الحدود:

الفرع الأول: الحدود الطبيعية:

وهي علامات بارزة ظاهرة يهتدي بها الإنسان لدى قيامه بتعيين الحدود وتخطيطها، وكذلك هي التي تقوم على المعالم الطبيعية، كالصحراء وقمم وسفوح الجبال والأنهار والوديان والغابات أو أي فاصل طبيعي أخر.

الفرع الثاني: الحدود الصناعية:

وهي التي تقوم على المعالم الطبيعية وتعين بخطوط مستقيمة تصل إلى نقاط معينة ويقوم بها

١) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص ٧٩٨.

٢) احمد عبد الونيس، الحدود الدولية ماهيتها ووظائفها، مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٩٧.

٣) سيد ابراهيم الدسوقي، مشكلات الحدود في القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٩.

الإنسان وكذلك تحدد بخطوط الطول والعرض أوتلك التي تبنى على أوضاع قائمة كمواقع المدن أوالقرى أوالطرق وقد تخطط الحدود الصناعية بوضع علامات بارزة على سطح الأرض[١].

الفرع الثالث: الحدود التاريخية:

وهناك أنواع أخرى من الحدود منها الحدود التاريخية وهي التي وضعت بطريقة ما في الماضي ولم يطرأ عليها أي تغيير منذ زمن بعيد وقد تم اكتسابها عن طريق المبدأ المعترف به دوليا في القانون الدولي ومضمونه أن القبول الطويل لحيازة إقليم وممارسة السيادة عليه لدليل حاسم على صحة السند والسلطة الشرعية لتلك الدولة[٢]

الفرع الرابع: الحدود الاتفاقية:

وهي الحدود التي تنشا عن طريق الاتفاق أما عن طريق معاهدة دولية أواتفاقيه دولية تقوم بتحديد الحدود بين دولتين أوأكثر والحدود الاتفاقية تكون بين أمرين أما أن تكون مستقرة وجرى تحديدها وتخطيطها باعتراف الدول الأطراف المختصة واتفاقها وليست محل نزاع وأما أن تكون الحدود متنازع عليها نتيجة لعدم الدقة والتحديد أونقص المعلومات الجغرافية وان تخطيطها تأخر لفترة طويلة تغيرت بعدها معالم الطبيعة فأثارت مشاكل عندما أريد وضع خط الحدود على الطبيعة وهي الحدود المتنازع عليها[٣].

الفرع الخامس: الحدود الإدارية:

وهي نوع من أنواع الحدود بحيث تحيل إدارة الدولة جزء من إقليمها إلى دولة أخرى بمقابل أوبغير مقابل وفي هذه الحالة لا يكون هناك تطابق بين الحدود الدولية وبين الحدود الإدارية ومن أمثلة ذلك أن الحدود الدولية بين الإقليم المصري وبين السودان تعينت في وفاق سنة ١٨٩٩ م بخط عرض ٢٢° ومع ذلك فقد نص وفاق ١٨٩٩م على أن يتولى السودان إدارة منطقة حلفا ثم جاء قرار

١) شريف عبد الحميد حسن، الحدود الدولية واهميتها، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٣٦.

٢) عمر ابوبكر خشب، النظام القانوني لمفهوم الحدود في القانون الدولى العام، المجلة المصرية للقانون الدولى، مجلد رقم ٤٤، ١٩٨٨م، ص ٩٣.

٣) نفس المرجع، ص ٩٣.

وزير الداخلية المصري في سنة ١٨٩٩م يحدد مناطق وادي حلفا التي تدار بواسطة السودان كما أن قرار وزير الداخلية المصري لسنة ١٩٠٢م قد أحال إدارة منطقة حلايب المصرية إلى السودان. (١)

الفرع السادس: حدود أوخطوط الهدنة:

يكون خط أوحد الهدنة بين الأطراف المتحاربة أوالدولتين المتحاربتين لوقف القتال بينهم وهوخط مؤقت ولا يفسر بأنه حد سياسي وتنتهي الهدنة في الوقت المحدد لها وقد تتضمن اتفاقيات الهدنة إنشاء منطقة أومناطق منزوعة السلاح تفصل هذه المناطق بين القوات المتحاربة لمنع وقوع الحوادث والاشتباكات بينهما وتتفق الأطراف المعنية على نزع سلاح منطقة أومناطق معينة تقع على حدود الدولتين المتحاربتين وتبقى السيادة لكل دولة على الإقليم المنزوع السلاح الخاضع لها كما يجب إلا يحتفظ كل طرف من أطراف النزاع بقوات عسكرية أوإقامة منشات عسكرية بصفة مؤقتة أودائمة في الأقاليم المنزوعة السلاح وهذا ليس له مساس بحق الدولة في الدفاع عن ذلك الجزء من إقليمها المنزوع السلاح إذا وقع عليه اعتداء(٢).

المبحث الثاني

وسائل حل نزاعات الحدود الدولية

المطلب الأول: فض وإدارة النزاعات في القانون الدولي:

الفرع الأول: إدارة النزاعات:

مفهوم إدارة النزاعات يعني الجهود التي تُبذل لاحتواء وتقليص العنف، وحثّ الأطراف على إنهاء العنف وتسويه الخلافات، كذلك تعني تقليص أوتخفيض أعمال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر وإعادة السكينة والهدوء.

تهدف إدارة النزاع لتحويل النزاع عن طريق تحديد الحاجات الإنسانية الأولية، وبناء علاقات أطراف النزاع من خلال خلق آليات تحكيمية تتضمن المساواة، بين الجماعات المتعددة الثقافات

١) محمد طلعت الغنيمي، الاحكام العامة في قانون الامم وقانون السلام، دار المعارف الاسكندرية، ١٩٧٢م، ص ٦٦٠.
٢) عمر ابوبكر خشب، مرجع سابق، ص ٩٧.

والهويات وبذلك تسعي للحل عن طريق دراسة تلك الحاجات والخيارات، والتوصل إلى اتفاقات لا تلبي تلك الحاجات فحسب، وإنَّما يمكن أن تُحِدث تأثيرًا وتغييرًا في الأنظمة القائمة وأنماط العلاقات التي أدت إلى إثارة النزاع[١].

في حالة نشوب نزاع بين طرفين من أطراف القانون الدولي، فإنَّ هذه الأشخاص تتحرك بحرية، فإذا ما حصل النزاع بين دولتين حول مدى احترام الالتزامات القائمة، بينهما فإنَّ كل دولة تقدر بنفسها ولسلطتها التقديرية الطريقة التي يمكن بواسطتها حل النزاع في ضوء قواعد القانون الدولي، ولكن هذه القواعد في حالة الدول تتصف بالعمومية والتجريد وتأتي الضغوط من الطرف الأقوى أوالمسيطر علي الطرف الأضعف أوالمخالف علي تعديل موقفه، إذن الدولة ليست جهازًا دوليًا مؤهلاً لتنفيذ جزاء علي دولة أخرى، ولوسلَّمنا بذلك ستنقلب عملية احترام القانون الدولي إلي وسيلة لخرقه[٢].

لذلك لابدَّ من وجود سلطة فوق الدول لها من الصلاحيات، ومؤهلة لتلزم الدول باحترام القواعد الدولية فيما لوحصل خرق نتيجة نزاع، وبناء على هذا يعتبر مجلس الأمن الدولي، والجمعية العامة للأمم المتحدة، والأمين العام للأمم المتحدة سلطة مركزية في إدارة النزاع الدولي.

الفرع الثاني: تسوية المنازعات:

المنازعات الدولية هي خلاف بين دولتين على مسالة قانونية أوحادث معين أوبسبب تعارض وجهات النظر بالمصالح، لكن لا تعتبر النزاعات بين أفراد من جنسيات مختلفة نزاع دولي؛ لأنَّ ما يحكمها هوالقانون الدولي الخاص تحل المنازعات الدولية بالطرق السلمية، منها طرق ودِّية ومنها طرق بالإكراه في حالة عدم نجاح الطرق الودية، نصَّت المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة على ضرورة حل المنازعات الدولية بالطرق السلمية. وعَّددت المادة (٣٣) من الميثاق هذه الوسائل وحددَّها كذلك النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية:[٣]

---

١) سبيل حسين القناوي، المنازعات الدولية، دار القادسية، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٤٩.

٢) إبراهيم العنان، مرجع سابق، ص ١٥١.

٣) صالح محمد محمود بدر الدين، التحكيم في منازعات الحدود الدولية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٩.

المطلب الثاني: طرق تسوية النزاعات:

الفرع الأول:الطرق الدبلوماسية:

أي تبادل الرأي بين الدولتين المتنازعين لإيجاد تسوية سلمية، ويقوم بالمفاوضة المبعوث الدبلوماسي عن طريق الاتصال بوزير الخارجية وقد تتم بطريقة شفوية أوكتابية[١].

الفرع الثاني: المساعي الحميدة:

وهي قيام دولة محايدة بتقريب وجهات النظر بين الدولتين المتنازعتين، وتكون عندما يكون الاتصال المباشر بين الدولتين المتنازعتين مستحيل بسبب الصعوبات السياسية أوالقانونية كقطع العلاقات الدبلوماسية، لكن الدولة المحايدة لا تشارك في المفاوضات[٢]

الفرع الثالث: الوساطة:

تسعى دولة لإيجاد حل النزاع عن طريق اشتراكها مباشرة في المفاوضات.[٣]

الفرع الرابع: التحقيق: إذا لم تنجح المفاوضات الخاصة بحل النزاع، تتَّفق الدولتين على تعيين لجنة لحصر وتحديد أسباب النزاع وتقديم تقرير عنها لتسهيل حلها ولكن تقريرها غير ملِزم للأطراف.[٤]

الفرع الخامس: التوفيق:

وهوحلَّ النزاع عن طريق إحالته إلى هيئة محايدة تتولى فحص الموضوع واقتراح التسوية الملائمة للأطراف المتنازعة، لكن قرارها غير ملِزم عكس هيئة التحكيم.[٥]

---

١) شريف عبد الحميد، مرجع سابق، ص ١٣٤.

٢) عبد العزيز محمد سرمان، القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٥١٠.

٣) ابراهيم محمد العناني، مرجع سابق، ص ١٦٩.

٤) جعفر عبد السلام، مرجع سابق، ص ١٧٢.

٥) ابراهيم محمد العناني، مرجع سابق، ص ١٧١.

الفرع السادس: التحكيم:

هوتسوية المنازعات بين الدول، بواسطة قضاة يتم اختيارهم وعلى أساس احترام القانون، وأن اللجوء إلى التحكيم يتضمن تعهدًا بالخضوع للحكم بحسن نية للتسوية على أساس القانون وأن الحكم الذي يصدر ملزم للأطراف.[١]

هذه الطرق أقرَّها القانون الدولي التقليدي، لكنَّها وسائل اختيارية في اللُّجوء إليها وفي تطبيق قراراتها ويجب على أطراف أي نزاع من شأن استمراره أنْ يعرض حفظ السِّلم والأمن الدولتين للخطر، أن يلتمسوا حلِّه بادئ ذي بدء بطريق المفاوضة والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية، أو أن يلجأوا إلى الوكالات والتنظيمات الإقليمية أوغيرها من الوسائل السلميَّة التي يقع عليهما اختيارها[٢]

تذكر المادة الثَّانية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة في نصِّها (ليس في هذا الميثاق ما يحول دون قيام تنظيمات أووكالات إقليمية تُعالج الأمور المتعلِّقة بحفظ السِّلم والأمن الدولي، ويكون العمل الإقليمي صالحًا فيها ومناسبًا ما دامت هذه التنظيمات أوالوكالات الإقليمية ونشاطها متلائمةً مع مقاصد الأمم المتحدة ومبادئها) وتقول الفقرة الثانية من نفس هذه المادة (يبذل أعضاء الأمم المتحدة الداخلون في مثل هذه التنظيمات أوالذين تتألفَّ منهم تلك الوكالات، كل جهدهم لتدبير الحل السّلمي للمنازعات المحلية عن طريق هذه التنظيمات الإقليمية أوبوساطة هذه الوكالة الإقليمية، وذلك قبل عرضها على مجلس الأمن).

أمَّا الفقرة الثَّالثة والأخيرة من هذه المادة فتقول: (على مجلس الأمن أن يشجِّع على الاستكثار من الحل السِّلمي لهذه المنازعات المحلية عن طريق هذه التنظيمات الإقليمية، أوبوساطة تلك الوكالات الإقليمية، بطلبٍ من الدول التي يعنيها الأمر أوبالإحالة عليها من جانب مجلس الأمن) وتعدُّ هذه الأحكام خير تعبير عن التراضي أوالتصالح الذي تَّم في مؤتمر سان فرنسسكو- المؤتمر الذي وضع ميثاق الأمم المتحدة - بين أنصار الإقليمية الذين يرون أن المنازعات الدولية الإقليمية

١) المرجع نفسه، ص ١٧١.

٢) علي صادق أبوهيف، القانون الدولي العام، مرجع سابق، ص ٣٦٨.

يجب أن تتم تسويتها على نطاق إقليمي، وبين أنصار العالمية الذين يرون أنْ تكون لها دائمًا الأولوية والصَّدارة على جميع المنظمات الأخرى فيما يتعلق بتسوية المنازعات الدولية، سواءً كانت تلك المنازعات إقليمية أم عالمية.[١]

إذا أمعنا النظر في نصوص ميثاق منظمة الوحدة الافريقية والتي تحولت لاحقًا إلى «الاتحاد الأفريقي» التي تتصدَّى لتسوية المنازعات الدولية التي تقع بين الدول الإفريقية الأعضاء في المنظمة نجد أنَّ المادة التَّاسعة عشر تنصُّ على (تعُّهد الدول الأعضاء بتسوية جميع المنازعات التي تنشأ فيما بينها بالوسائل السلمية، وتحقيقا لهذه الغاية قرَّرت إنشاء لجنة للوساطة والتوفيق والتحكيم) ثم نجد أنَّ تلك اللجنة قد أُنشئت فعلاً لكنَّها لم تعمل حتى اليوم ويُستبعد أن تعمل مستقبلاً ونجد أنَّ الدور الذي قامت به كلٌّ من منظمة الاتحاد الأفريقي ومنظمة الأمم المتحدة في تسوية المنازعات الإفريقية تاخذ في الاعتبار العوامل السّياسية التي أثرَّت في ذلك، مثل: تصور الأطراف المتنازعة للسياسات أوالاتجاهات التي قد تتخذها الأمم المتحدة، أومنظمة الاتحاد الأفريقي أوالدول الأخرى الأعضاء في الامم المتحدة فيما يختصُّ بمعرفة رأيهم في الجهاز الذي يصلح لتسوية الخلاف أهوالجهاز التابع للمنظمة العالمية، أم التابع للمنظمة الإقليمية.[٢]

المبحث الثالث

دور محمكة العدل الدولية في حل النزاع الحدودي لمنطقة أبيي

المطلب الأول: تعريف ومهام وتشكيل وإجراءات محكمة العدل الدولية.

الفرع الأول: تعريف المحكمة:

محكمة العدل الدولية هي الهيئة القضائية الرئيسية للأمم المتحدة ومقرها قصر السلام في لاهاي بهولندا. بدأت المحكمة عملها عام ١٩٤٦ عندما حلت محل محكمة العدل الدولية الدائمة التي

١) جعفر عبد السلام، المرجع السابق، ص ١٧٣.

٢) جعفر عبد السلام، مرجع سابق، ص ١٧٤.

كانت تشغل نفس المقر منذ العام ١٩٢٢ وتعمل المحكمة وفق نظام أساسي يشبه إلى حد كبير نظام سابقتها الذي يعتبر جزءا لا يتجزأ من ميثاق الامم المتحدة [١].

الفرع الثاني: مهام المحكمة:

تؤدي المحكمة دورًا ثنائيا' فهي بموجب القانون الدولي تحسم الخلافات القانونية المقدمة من الدول الاعضاء وتقدم أراء استشارية في المسائل القانونية المحالة اليها من قبل هيئات ووكالات دولية مخولة.

الفرع الثالث: تشكيل المحكمة:

تتشكل المحكمة من١٥ قاضيا تنتخبهم الجميعة العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي لولاية من تسع سنوات. وتجري انتخابات كل ثلاث سنوات علي ثلث المقاعد ويجوز اعادة ترشيح القضاة المتقاعدين ولا يمثل اعضاء المحكمة حكوماتهم ولكنهم قضاة مستقلون[٢].

ويتعين على القضاة ان تكون لديهم المؤهلات المطلوبة لشغل اعلي المناصب القضائية في بلدهم، أوان يكونوا رجال قانون ذوي كفاءة معتبرة في القانون الدولي ويجب ان تعكس تشكيلة المحكمة تمثيل الحضارات الرئيسية ولأنظمة الأساسية في العالم. واذا لم تتضمن المحكمة قاضيا يحمل جنسية دولة ما طرفا في قضية ما فانه يجوز لتلك الدولة تعيين شخص يقوم مقام القاضي لهذا الغرض بالذات.

الفرع الرابع: المسائل الإجرائية للمحكمة:

تكون المحمكة مؤهلة للنظر في نزاع ما فقط في حالة موافقة الدول المعنية على صلاحيتها بواحدة اوبأكثر من وسيلة من الوسائل التالية[٣]:

١/ بموجب الاتفاق فيما بينها على اجماع خاص لعرض النزاع على المحكمة.

---

١) صلاح الدين عامر، مقدمة لدراسة القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٩٧٣.

٢) المرجع نفسه، ص٩٧٤.

٣) صلاح الدين عامر، مرجع سابق، ص٩٧٦.

٢/ بمقتضى شرط الاختصاص اي عندما تكون الدول اطرافا في اتفاق يتضمن بندا يمكن وفقا له، في حالة حدوث خلاف على تفسيره او تطبيقه ان تحيل احدي هذه الدول النزاع الى المحمكة.

٣/ في إطار التأثير المتبادل لتصريحات هذه الدول حسب القانون الذي بموجبه وافقت كل دولة على صلاحية المحكمة كالزام في حال التنازع مع دولة أخري أطلقت تصريحا مشابها.

الإجراء المتبع من قبل المحكمة في القضايا محل النزاع يعرف في نظامها الاساسي وفي لوائح المحكمة المتبعة حسب نظامها الأساسي. أما الإجراءات فتشمل مرحلة التدوين التي ترفع وتتبادل فيها الاطراف الادعاءات ومرحلة المشافهة وتشمل الجلسات العلنية للاستماع للحجج التي يخاطب فيها الوكلاء والمستشارون المحكمة.

وبعد المتابعات الشفهية تتداول المحكمة سرا وتصدر حكمها في جلسة علنية ويكون الحكم نهائيا وغير مستأنف وإذا لم تذعن إحدى الدول المعنية للحكم فيجوز للطرف الآخر أن يلجأ إلى مجلس الأمن.

للمحكمة السلطة الكاملة للفصل في القضايا؛ لكن بناءً على طلب الاطراف ويجوز لها أن تنشئ هيئة قضائية خاصة وقد شكلت المحكمة هذه الهيئة لأول مرة عام ١٩٨٢ وكانت الثانية عام ١٩٨٥ وشكلت اثنتان عام ١٩٨٧ ومثلهما عام ٢٠٠٢ وتنتخب المحكمة المحكمة هيئة اجراءات مستعجلة كل عام حسب نظامها الاساسي كذلك أنشأت المحكمة عام ١٩٩٣ هئية من سبعة اعضاء للبت في القضايا البيئة التي تقع ضمن اختصاصها.

المطلب الثاني: حدود أبيي

الفرع الأول: حدود أبيي١٩٠٥ - ١٩٥٦م:

يأتي تعقيد مشكلة أبيي من عدم كفاية الوثائق التي يقدمها كل طرف حول أحقيته بمنطقة أبيي نتيجة تغير تبعية هذه المنطقة ما بين ولاية كردفان التابعة للشمال وولاية بحر الغزال التابعة للجنوب طيلة القرن العشرين المنصرم، إذ تم تثبيت الحدود ما بين ولايتي كردفان وبحر الغزال وفقًا للحدود في زمن الدولة العثمانية والدولة المهدية من قبل سلطات الحكم الثنائي (البريطاني

المصري ١٨٩٨-١٩٥٦م) إلا أنه في عام ١٩٠٥ أصدرت سلطات الحكم الثنائي قرارًا حول تبعية موطن السلطان أروب زعيم الدينكا نفوك ويتضمن هذا الموطن تسع مشيخيات تابعة للدنيكا نفوك كانت تقطن في منطقة أبيي وجاء نص القرار (بأيلولة ملكية موطن سلطان اروب زعيم دينكا نفوك الذي يقع علي نهر كير بحر العرب إلي مديرية كردفان (إذ أن السلطات البريطانية حولت المشيخات التسع لدينكا نقوك من ولاية بحر الغزال إلي ولاية كردفان وذلك بسبب شكاوي الدينكا حول غارات المسيرية الحمر، وبقيت دينكا نقوك تدفع الضرائب مباشرة إلي ولاية كردفان من عام ١٩٠٨-١٩٤٠م[١]، مما يعني أن منطقة أبيي كانت تابعة إلي ولاية بحر الغزال الجنوبية وتم الحاقها بولاية كردفان وهذا ما اعتبره الجيش الشعبي لتحرير السودان دليلاً علي تبعية أبيي للجنوب، إلا أن هذا النص قد تم فهمه بشكل خاطئ حسب رأي الحكومة السودانية ومما يثبت ذلك عدم وجود خريطة أوثيقة (وصف جغرافي) تشير إلي إعادة ترسيم الحدود لإكمال عملية تحويل أبيي من بحر الغزال إلي كردفان [٢].

إن إحصاء ١٩٥٥ - ١٩٥٦ أوضح أن عدد المسيرية في منطقة أبيي قد كان ١٢٢ ألف نسمة ودينكا نقوك ٣٠ ألف نسمة ويمكن الاستنتاج من ذلك أن عدد سكان مشيخات دينكا نقوك في أبيي في سنة ١٩٠٥م قد كان أقل من ذلك بكثير، وعلى هذا فأن المعني الوحيد المقبول لمكلية أيلولة تحويل التبعية الإدارية للأشخاص الذين ينتمون إلي دينكا نقوك من بحر الغزال التي ينتمون إليها بالأصل والعرق إلي مديرية كردفان بحكم استقرارهم الحديث كأقلية في منطقة دار المسيرية التي تقع في إطار الحدود الجغرافية لمديرية كردفان [٣].

إن الاحصائيات السكانية الخاصة بانتخابات أبيي لسنة ١٩٥٥م تنص على: الدينكا في منطقة أبيي لم تكن لهم دائرة انتخابية؛ وأنهم كانوا يملكون حق التصويت في حين أن المسيرية كان لديهم دائرتين انتخابيتين[٤] مما يعني أن الدينكا نقوك كانوا ضمن حدود المسيرية وهم أقلية، وقد ورد في

1- Abyei Boundaries Commission report، part1، 14 july 2005، p15

٢) أمين حامد زين العادين، قدسية الحدود الموروثة من الاستعمار والطرق إلي الحل، المجلة السودانية لثقافة حقوق الإنسان وقضايا التعدد الثقافي، العدد الثامن، ٢٠٠٨.

٣) أمين حامد زين العابدين، مصدر سابق، ص٢٩

4- Abyei Boundaries Commission report، part1، 14 july 2005، p86

الخرائط التي رسمت في عامي ١٩٢٧ وعام ١٩٥٤م من قبل الإداريين البريطانيين الانجليز وأن حدود قبيلة المسيرية تشغل معظم مساحة أبيي لسنة ١٩٢٧ في حين ورد أسم قبيلة الدينكا نقوك في خريطة ١٩٥٤ بالجزء الجنوبي الغربي من أبيي ولم تتعدى حدودهم دائرة عرض ١٠ درجة شمالاً ويلاحظ أن الحدود الجنوبية لأبيي أكثر وضوحًا في سنة ١٩٢٧م[١].

نشبت الحرب الأهلية الأولى في السودان في العام ١٩٥٥ ولأسباب مختلفة منها نتائج الانتخابات التي أجريت في عام ١٩٥٣م التي أعطت تمثيلاً جزئيًا وغير كافي لجنوب السودان إضافة إلي عدم تولي الجنوبيين لمناصب إدارية مهمة علي العكس من الشماليين مما فسر كبداية للاستعمار الشمالي للجنوب فضلاً عن الاختلاف الديني والثقافي ما بين الشمال والجنوب[٢].

كان النزاع القبلي على الحدود نتيجة لمحدودية الموارد فأكثر من ١٣٢ قبيلة إضافة إلى العشائر المتفرعة منها يسكنون في ٢,٥ مليون كيلمتر مربع وأكثر من ٨٠٪ منهم يمارسون الزراعة والرعي[٣] وبطرق تقليدية مما يعني حالة عدم اكتفاء دائم وصراع مستمر على حدود الرعي وعلي الموارد، وقد أثرت هذه الحرب علي عموم السودان ومنها أبيي إذ انخرطت دينكا نقوك مع الجنوبيين للقتال ضد الشمال في حين قاتلت المسيرية مع الشمال، وفي عام ١٩٥٦م حصل السودان على استقلاله من الحكم الثنائي (البريطاني – المصري) وبقيت الحدود لمنطقة أبيي كما هى عليه الحال في عام ١٩٠٥م في أغلب الاتفاقية المبرمة ما بين الشمال والجنوب.

الفرع الثاني: حدود أبيي ١٩٧٢ – ٢٠٠٥م:

انتهت الحرب الأهلية الأولى في السودان عام ١٩٧٢م بتوقيع اتفاقية أديس أبابا وقد نصت هذه الاتفاقية علي أن منطقة أبيي تابعة للجنوب وهذا ما أثار قبائل المسيرية العربية باعتبار أن أبيي

١) أمين حامد زين العابدين، مرجع سابق، ص٣٠.

2- Ceil Eprile، War and Peace in the Sudan 19551972-، first edition، David & Charles published، 1974، p45.

3- Mohamed Suliman، Civil War in The Impact of Ecological Degradation، online version provided by the International Relations and Security Network at: http://www.isn.ethz.ch/isn/Digital-Library/Publications/Detail/?id=238*lng=en

موطنهم فهم يبقون أكثر من ٨ أشهر في هذه المنطقة، إضافة إلي أن الاتفاقية هددت حدود الرعي خاصتهم ولعل الخلاف علي الحدود القبيلية كان أحد أسباب الحرب والرعاة لا يلتزمون بالحدود الإدارية وأنما تبني تنقلاتهم بحسب وفرة المراعي مما حدا بالحكومة إلي تعديل الاتفاقية بوضع بند إجراء استفتاء حول وضعية المنطقة الإدارية إلا أن هذا الاستفتاء لم يجرى، وبقيت الاتفاقية معطلة ولم تحل مشاكل الجنوب مما هيئ للحرب الأهلية الثانية من عام ١٩٨٣ إلى عام ٢٠٠٥م.

الفرع الثالث: بروتوكول أبيي ٢٠٠٥:

في عام ٢٠٠٥ تم توقيع (اتفاقية السلام الشامل) التي أنهت الحرب الأهلية الثانية ونظرا لأن مشكلة أبيي من أكثر المشاكل صعوبة التي واجهتها الأطراف المتعاقدة علي اتفاقية السلام الشامل في نيفاشا عام ٢٠٠٥م لذا فقد تطلبت الحالة عقد برتوكول خاص بقضية أبيي ضمن اتفاقية السلام الشامل وبموجبة حصلت أبيي علي وضع إداري خاص تحت إشراف مؤسسة الرئاسة السودانية، وكان من أهم بنود هذه الاتفاقية هي: (دون المساس بمواد اتفاقية تقاسم الثورة، يتم تقسيم صافى عائدات نفط أبيي خلال الفترة الانتقالية على النحو التالي: ٥٠٪ من العائدات إلى الحكومة القومية، ٤٢٪ من العائدات إلى حكومة جنوب السودان، ٢٪ من العائدات إلى منطقة بحر الغزال، ٢٪ من عائدات غرب كردفان، ٢٪ دينكا نقوك، تمنح ٢٪ لقبائل المسيرية).

تقيم رئاسة الجمهورية لجنة حدود أبيي لتحدد وترسم الحدود في مشيخات دينكا نقوك التسع التي حولت إلى كردفان عام ١٩٠٥م والمشار إليها هنا باسم منطقة أبيي". وسكان منطقة أبيي هم: أبناء مجتمع دينكا نقوك والسودانيون الآخرون الذين يقيمون بالمنطقة. وقد تتضمن الاتفاق الخاص بقضية أبيي البنود الآتية[1]:

١/ بعد التوقيع وبالرغم ما تضمنته المادة ٥-١ من برتوكول أبيي يتعين على الطرفين تشكيل (مفوضية حدود أبيي) المكلفة بتحديد وترسيم حدود منطقة المشيخات القبلية التسع التابعة لدينكا نقوك الذين حولوا إلى كردفان في عام ١٩٠٥م ويشار إليها بمنطقة أبيي.

٢/ بمقتضى المادة ٥-٢ برتوكول أبيي يتم تشكيل (مفوضية حدود أبيي).

١) عبد الرحمن ارباب مرسال، رصد وتحليل مسار مشكلة ابيي، المكتبة الوطنية الخرطوم- ٢٠٠٨م - ص ٨٤.

٣/ تستمع (مفوضية حدود أبيي) إلى ممثلي شعب منطقة أبيي والجيران وان تستمع أيضا إلى ما يطرحه الطرفان من أراء.

٤/ في تقرير نتائج تحرياتهم، يتعين على الخبراء في اللجنة مراجعة الأرشيف (السجلات) البريطانية والمصادر الأخرى ذات الصلة بالسودان أينما يحتمل وجودها وذلك سعيا إلى التوصل إلى قرار يستند إلى تحليل علمي وبحثي كما يتعين على الخبراء تقرير قواعد الإجراءات (مفوضية حدود أبيي).

وكذلك قررت المادة (٥)-(٢) أن تكون مفوضية حدود أبيي في الإطار الزمني المتاح لها على أن تضم اللجنة في عضويتها خبراء وممثلي عن المجتمعات والإدارة المحلية وان تنهى اللجنة أعمالها وتقدم تقريرها خلال السنتين الأوليتين للفترة الانتقالية كما أكد دستور عام ٢٠٠٥م انه وبدون المساس بأحكام الدستور واتفاقية السلام يطبق على منطقة أبيي برتوكول حل النزاع المبرم بشأنها وقد حدد ملحق برتوكول أبيي كيفية عمل اللجنة وإجراءاتها وفتح المجال واسعا لبحث المعلومات والوثائق من أبناء القبيلتين (المسيرية، ودينكا نقوك) وأصحاب المعرفة بتاريخ وجغرافية المنطقة، وان تسعى للبحث عن الوثائق داخل وخارج السودان فكانت محطاتها جامعة الخرطوم، جمهورية مصر العربية، المملكة المتحدة، ودولة أثيوبيا، جنوب إفريقيا مع الاستماع لأراء الأطراف ذات الارتباط بالقضية.[١]

شكلت مفوضية تحديد حدود منطقة أبيي من خمسة عشر عضوًا خمسة يمثلون الحكومة، وخمسة يمثلون الحركة الشعبية، وخمسة من الخبراء والسفير رونالد بترسون أمريكي الجنسية رئيسا للمفوضية وبريطاني وثلاثة معنيين من قبل منظمة الإيقاد، بجانب سكرتارية مكونة من ٤ موظفين، واتخذت المفوضية من العاصمة الكينية نيروبي مقرًا لعملها، وحددت لها فترة تتراوح ما بين ستة أشهر وعامين لانجاز مهمتها.[٢]

---

١) ناجي أحمد التوم، مشكلة ابيي التعايش السلمي جدلية الوحدة والانفصال، دار المكتبة الوطنية للنشر، الخرطوم، ٢٠١٤م، ص ١٧٠.

٢) تقرير مفوضية ترسيم حدوأبيي، ترجمة سليمان الدبيلو، ١٤ يوليو٢٠٠٥م.

الفرع الرابع: تقرير لجنة خبراء أبيي:

جاء تقرير لجنة تقرير لجنة خبراء ترسيم حدود أبيي مبنية على تحليل آراء طرفي القضية وما قدموه من أفكار ورؤى ووثائق وإفادات شفوية، قد كانت تلك الأحداث كالآتي[1]:

- لم تكن الحدود التي تم ضمها من بحر الغزال إلى كردفان واضحة في العام ١٩٠٥م.
- إن اعتقاد حكومة السودان بأن منطقة مشيخيات دينكا نقوك التي تم ضمها إلى كردفان خاطئ، لأن الحكومة بنت رأيها على تقرير كتبه موظف بريطاني ذكر بأنه وصل إلى بحر العرب بينما الحقيقة تقول إنه وصل إلى الرقبة الزرقاء وليس بحر العرب كما يدعي.
- إن مطالبة دينكا نقوك بأن حدودهم مع المسيرية الحمر ينبغي أن تمر من بحيرة كيلك إلى المجلد لا أساس له من الصحة.
- تؤكد السجلات التاريخية والعوامل البيئية بأن منطقة المسيرية الحُمر لم تمتد كثيرًا إلى جنوب بحر العرب كما يزعم المسيرية.
- زعم المسيرية بأن لهم حقوق سيطرة دائمة على مناطق بعينها شمال وجنوب أبيي؛ زعمٌ لا تسنده الوثائق أو البينات الجوهرية.
- توفير بينات كافية تدعم مطالب دينكا نقوك في حقوق السيطرة على مناطق محددة على طول بحر العرب والرقبة الزرقاء وأن هذه المطالب كانت قبل عام ١٩٠٥ دارًا للمسيرية.
- ليس هنالك أساس لمطالبة المسيرية بأن يتم تضمين منطقة أبيي في منطقة المسيرية.
- توثق السجلات الإدارية في فترة الحكم الثنائي وشهادة أشخاص ملمين بالمنطقة لاستمرارية مستوطنات دينكا نقوك في أماكن شمال بحر العرب واستعمالهم لها في الفترة ما بين ١٩٠٥-١٩٦٥م وفقًا لما طالب به دينكا نقوك والحركة الشعبية لتحرير السودان.
- قام الخبراء بدراسة الطرح المقدم من الحركة الشعبية لتحرير السودان.

١) تقرير مفوضية ترسيم حدود أبيي، مرجع سابق، ١٤/ يوليو/ ٢٠٠٥م.

ومما سبق ونظرًا لاحتواء تقرير لجنة ترسيم الحدود على تناقضات وعلى عدم وجود الادلة الكافية لطريقة رسم الحدود ـ بحسب رأي الحكومة السودانية ـ فقد رفضت الاخيرة هذا التقرير واعتبرته غير قانوني وان اللجنة تجاوزت الصلاحيات الممنوحة لها.

أيدَّت الحركة الشعبية تقرير الخبراء وتمسكت بنتيجته وطالبت بالالتزام به وتنفيذه معتبرة أن أي رفض للالتزام بنتائج التقرير هو رفض لاتفاقية السلام ونكوص واضح عن تطبيقها[1].

وبعد صراع سياسي وعسكري بين أطراف النزاع (الحكومة السودانية والجيش الشعبي لتحرير السودان) دام لثلاث سنوات تم توقيع ما يعرف بـ(خارطة طريق ابيي) في الخرطوم في ٧ يوليو ٢٠٠٨م وبموجبه تم إحالة ملف ابيي الى محكمة العدل الدولية في لاهاي.

الفرع الخامس: حدود ابيي وفق محكمة العدل الدولية في لاهاي:

تم إحالة ملف ابيي الى محكمة العدل الدولية في لاهاي وفق المادة الثانية من اتفاقية (خارطة طريق ابيي) وقد تضمنت المادة الثانية المواضيع الواجب على المحكمة البت فيها وهي:

أ- هل تخطى خبراء لجنة حدود ابيي، انطلاقا من اتفاق الاطراف المنصوص عليه في اتفاقية السلام الشامل صلاحياتهم القاضية بترسيم حدود منطقة مشيخات دينكا نقوك التسعة التي احيلت الى كردفان عام١٩٠٥ على ما نص عليه بروتوكول ابيي وما اعيد التأكيد عليه في ملحق البروتوكول وفي اختصاصات لجنة حدود ابيي وقواعدها الاجرائية.

ب- اذا قررت المحكمة بموجب البند الفرعي (أ) المنصوص عليه في هذه الاتفاقية بان خبراء لجنة تحديد ابيي لم يتجاوزوا صلاحياتهم فسوف تعمم بيانا بهذا الصدد وتصدر حكما بتطبيق تقرير اللجنة تطبيقا كاملا وفوريا.

ج- اذا قررت المحكمة بموجب البند الفرعي (أ) المنصوص عليه في هذه الاتفاقية بان خبراء لجنة تحديد ابيي تجاوزوا صلاحياتهم فسوف تعمم بيانا بهذا الصدد وتبادر الى ترسيم حدود منطقة مشيخات دينكا نقوك التسع التي حولت الى كردفان استنادا الى الوثائق المقدمة من الطرفين[2].

---

١) دينق ألور: www.alasahafa.info/index.php?tyep=3&id35-k=2147487138

٢) محكمة التحكيم الدائمة في لاهاي، تحكيم ابيي، الحكم النهائي، نسخة الكترونية، ٢٢ يوليو ٢٠٠٩، ص ٢.

وبهذا باشرت المحكمة اعمالها بعد رفع القضية إلى الأمين العام لمحكمة التحكيم الدائمة في ١١ يوليو عام ٢٠٠٨ وتم انشاء هيئة التحكيم وتكونت من خمسة أعضاء، واطلعت المحكمة على الوثائق والخرائط التي اعتمدت عليها لجنة ترسيم الحدود فضلا عن الطعون المقدمة من قبل اطراف النزاع وقد خرجت المحكمة بقرار نهائي يوم ٢٢ يوليو عام ٢٠٠٩ حول الحدود الي رسمتها لجنة ترسيم الحدود لمنطقة أبيي وتضمن القرار ما يلي[١]:

أ- الحدود الشمالية

١- ما يتعلق بقرار خبراء لجنة حدود ابيي لناحية مطلب الدينكا نقوك المشروع في الاراضي الممتدة من حدود كردفان - بحر الغزال شمالا الى خط عرض ١٠ ′١٠° فان خبراء اللجنة لم يتجاوزوا صلاحياتهم.

٢- في ما يتعلق بقرار لجنة حدود ابيي الخاص بمنطقة (الحقوق الثانوية المشتركة) الممتدة بين خط عرض١٠ ′١٠° شمالا ٣٥′ ١٠ ° شمالا فان خبراء اللجنة تجاوزوا صلاحياتهم.

٣- تمتد الحدود الشمالية لمنطقة مشيخات دينكا نقوك التسع المحولة الى كردفان عام ١٩٠٥ على خط عرض ١٠″ ١٠ ′ ١٠ ° شمالا من خط طول ٠٠″ ٥٠ ′ ٢٧° شرقا الى خط طول ٠٠″ ٠٠ ′ ٢٩ ° شرقا خريطة رقم (٦).

ب- الحدود الجنوبية

ما يتعلق بقرار لجنة حدود ابيي بان الحدود الجنوبية ستكون كردفان - بحر الغزال - النيل الأعلى مثلما جرى تحديدها في١/ ١/ ١٩٥٥ فان خبراء اللجنة لم يتجاوزوا صلاحياتهم.

ج- الحدود الشرقية

١- ما يخص قرار خبراء لجنة حدود ابيي بان الحدود الشرقية تمتد على طول خط كردفان- النيل الاعلى عند خط طول ١٥″ ٣٢′ ٢٩ ° شرقا وتسير شمالا الى ان تصل الى خط عرض ٣٠ ″ ٢٢′ ١٠° شمالا فان لجنة خبراء حدود ابيي تخطت صلاحياتها.

ان الحدود الشرقية لمنطقة مشيخات دينكا نقوك التسع المحولة الى كردفان عام ١٩٠٥ تمتد على خط مستعلى طول ٠٠″ ٠٠′ ٢٩° شرقا من خط عرض ١٠″ ١٠ ′ ١٠ °شمالا الى جنوب حدود

١) المرجع نفسه، ص٥.

كردفان – النيل الاعلى على ما جرى تحديده في ١/ ١/ ١٩٥٦.

د- الحدود الغربية:

١- ما يخص قرار خبراء لجنة حدود ابيي بان الحدود الغربية ستكون كردفان – دارفور على ما جرى تحديده في ١/ ١/ ١٩٥٦ فان اللجنة تخطت صلاحياتها.

٢- إن الحدود الغربية لمنطقة مشيخات دينكا نقوك التسع المحالة الى كردفان تمتد على خط مستعلى طول ٠٠″ ٥٠′ ٢٧° شرقا من خط عرض ١٠″ ١٠′ ١٠° شمالا الى جنوب حدود كردفان – دارفور على ما جرى تحديده في ١/ ١/ ١٩٥٦ وتستمر الى حدود كردفان – دارفور الى ان تلتقي الحدود الجنوبية المبينة في الفقرة (ب) أعلاه.

هـ- الرعي والحقوق التقليدية:

١- ما يخص قرار خبراء لجنة حدود ابيي بان قبيلتي دينكا نقوك والمسيرية سوف تحتفظان بحقوقهما الثانوية الراسخة في استخدام الارض شمال هذه الحدود وجنوبها فان لجنة الخبراء لم تتجاوز صلاحياتها.

٢- لا يجب المساس بالحقوق التقليدية الراسخة التي تُمارس في منطقة ابيي او في محيطها لاسيما الحق الذي تتمتع به المسيرية وغيرها من قبائل البدلرعي القطعان والانتقال عبر منطقة ابيي[١].

وعلى الرغم من الموافقة على قرار المحكمة من كلا طرفي النزاع في بداية اصداره الا أن أهم ما يلاحظ في حكم محكمة العدل الدولية ان المحكمة قلصت مساحة منطقة أبيي التي يطالب بها الجنوبيون كلها، وأخرجت بذلك مناطق البترول منها اذ تم إعادة حقول هجليج بشمال السودان، مما يعني حرمان الجنوب من ٥٠٪ من عائدات النفط من هذه الحقول بحسب البند ٣ ـ ١ ـ ٢ ـ من بروتوكول ابيي حول تقاسم الثروة وبموجب القرار ستلتزم الحكومة فقط بدفع ٢٪ من العائدات لحكومة جنوب كردفان الا ان « لوكا بيونق» وزير شؤون الرئاسة في حكومة الجنوب، قال إن قرار المحكمة بإخراج مناطق البترول خاصةً منطقة هجليج خارج حدود أبيي لا يعني تبعية المنطقة للشمال، وان منطقة هجليج تقع ضمن مناطق النزاع الحدودي بين ولايتي الوحدة

١) محكمة التحكيم الدائمة في لاهاي، مرجع سابق، ص ٧-٨.

وجنوب كردفان، وأكد أن حكومة الجنوب لديها وثائق تثبت تبعية المنطقة لولاية الوحدة[1] مما يعني تجدد النزاع الحدودي.

واعتبر قرار التحكيم ان الدينكا نقوك (الأفريقية) كبرى قبائل المنطقة، هم السكان الأصليون في ابيي وبذلك فان الاستفتاء المزمع إجراءه بحسب البند ٨ من بروتوكول ابيي الخاص بتبعية المنطقة سوف يشمل فقط اعضاء الدينكا نقوك وهذا ما عارضته حكومة السودان والمسيرية. وبالرغم من ان المحكمة سمحت لقبيلة المسيرية بحرية التنقل في ابيي واستخدام مياه الأنهار في المنطقة، الا ان قبائل المسيرية العربية اعتبرته ظلما لهم لأنه حرمهم من مناطقهم التاريخية وبذلك فقد رفضوا قرار المحكمة.

ومما يجدر الإشارة اليه ان احد اعضاء هيئة التحكيم الخمسة وهو القاضي (عون شوكت الخصاونه) قام بكتابة راي مخالف لراي الاكثرية في المحكمة وقد كتب تقريرا مما يقرب من سبعين صفحة باللغة الانكليزية أوضح فيه الأسباب التي دعته الى رفض حكم المحكمة علما ان السيد عون الخصاونة أحد قاضيين اختارتهم حكومة السودان كمحكمين لها في المحكمة.

ونرى أن الحكم القضائي الصادر من محكمة العدل الدولية حول ترسيم حدود منطقة أبيي المتنازع عليها بين السودان وجنوب السودان هو حكم مُلزم ونهائي، وقد أخفقت الأطراف المعنية في تنفيذه رُغم حجيته القانونية وهذا الإخفاق أو عدم التنفيذ يُشكِّل انتهاك لقواعد القانون الدولي ومواثيق الأمم المتحدة مما يتطلب استحداث وسائل وآليات لتنفيذ الحكم القضائي لمحكمة العدل الدولية بلاهاي حول أبيي وإلزام الأطراف بتنفيذه بإدخال تعديلات على النظام الأساسي للمحكمة بإعطائها سلطة تشكيل لجان فنية من الخبراء والمختصين لتنفيذ الأحكام الصادرة منها لضمان تحقيق العدالة الدولية.

الخاتمة

وفي الختام توصلت الدراسة لعدة نتائج وتوصيات أهمها:

١) تصريح صحفي لمحطة «مرايا أف أم» في ٢٢/ ١١/ ٢٠١١ الموقع الالكتروني:
http://www.mirayafm.org

النتائج:

١) النزاع الدولي خلاف بين دولتين على مسالة قانونية بسبب تعارض مصالحهما.

٢) تتعدد وسائل تسوية النزاعات الحدودية الدولية وأهمها الطرق الدبلوماسية، المساعي الحميدة، الوساطة، التحقيق، التوفيق، والتحكيم.

٣) تنقسم الحدود الدولية لأنواع متعددة أهمها الحدود الطبيعية، الصناعية، التاريخية، الاتفاقية، الإدارية وخطوط الهدنة.

٤) اللجوء لمحكمة العدل الدولية التابعة للأمم المتحدة للفصل في النزاعات الحدودية بين الدول اختياري وحكمها ملزم للأطراف لا يجوز استئنافه.

٥) قبول طرفي النزاع الحدودي لمنطقة أبيي - السودان وجنوب السودان - باللجوء اختيارًا لمحكمة العدل الدولية للفصل في النزاع.

٦) إخفاق الدولتين في تنفيذ الحكم القضائي الصادر من محكمة العدل الدولية حول ترسيم حدود منطقة أبيي رغم قبولهم والتزامهم به.

التوصيات:

١) إلزام الدول بالقرارات والأحكام الصادرة من محكمة العدل الدولية بعد اللجوء إليها اختيارا.

٢) وضع آليات لتنفيذ الأحكام الصادرة من محكمة العدل الدولية.

٣) وضع بروتوكول إضافي لإدخال تعديل في نظام محكمة العدل الدولية عند إصدار قرارات التحكيم في نزاعات الحدود يُخَوِّل لها تعيين لجان فنية من الخبراء والمختصين لضمان تخطيط وترسيم الحدود على الأرض وضمان عدم تماطل الأطراف في تنفيذ قرارات التحكيم.

٤) على محكمة العدل الدولية بعد إصدار أحكامها القضائية حول النزاع الحدودي بتكوين فريق فني يضم الخبراء والمختصين لتنفيذ تلك القرارت ووضع العلامات على الأرض والترسيم النهائي للحدود الفاصلة بين الأطراف.

٥) إلزام الأطراف التي تلجأ للتحكيم بدفع التمويل المالي للجان الخبراء والمختصين التي تشكل من قبل محكمة العدل الدولية لتخطيط وترسيم الحدود مع المساهمة من الدول الأعضاء في محكمة العدل الدولية لضمان التنفيذ وتحقيق العدالة الدولية.

٦) على السودان وجنوب السودان الالتزام بتنفيذ الاتفاق الموقع بينهم حول منطقة أبيي.

٧) على دولتي السودان وجنوب السودان تنفيذ الحكم القضائي لمحكمة العدل الدولية لتخطيط وترسيم حدود أبيي.

٨) إجراء بحوث ودراسات متخصصة من قبل خبراء القانون الدولي ومراكز البحث لتلافي القصور في بعض الاتفاقيات والتشريعات الدولية فيما يلي قضايا النزاعات الحدودية.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر.

١) القرآن الكريم

ثانيًا: المراجع.

١) ابوالحسين احمد بن قارب بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢) احمد عبد الونيس، الحدود الدولية ماهيتها ووظائفها، مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعامر، ط ١، مجلد ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨ م.

٤) أمين حامد زين العادين، قدسية الحدود الموروثة من الاستعمار والطرق إلي الحل، المجلة السودانية لثقافة حقوق الإنسان وقضايا التعدد الثقافي، العدد الثامن، ٢٠٠٨.

٥) تقرير مفوضية ترسيم حدوأبيي، ترجمة سليمان الدبيلو، ١٤ يوليو٢٠٠٥م.

٦) جيمس دورتي، روبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة د. وليد عبد الحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٥م.

٧) سبيل حسين القناوي، المنازعات الدولية، دار القادسية، بيروت، ١٩٨٥م.

٨) سيد ابراهيم الدسوقي، مشكلات الحدود في القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٢م.

٩) شارل روسو، القانون الدولي العام، ترجمة شكر الله خليفة، الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٢

١٠) شريف عبد الحميد حسن، الحدود الدولية واهميتها، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٣م.

١١) صالح محمد محمود بدر الدين، التحكيم في منازعات الحدود الدولية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١م

١٢) صلاح الدين عامر، مقدمة لدراسة القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٣) عبد الرحمن ارباب مرسال، رصد وتحليل مسار مشكلة ابيي، المكتبة الوطنية الخرطوم – ٢٠٠٨م

١٤) عبد العزيز محمد سرمان، القانون الدولي العام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٩م.

١٥) عمر ابوبكر خشب، النظام القانوني لمفهوم الحدود في القانون الدولى العام، المجلة المصرية للقانون الدولى، مجلد رقم ٤٤، ١٩٨٨م.

١٦) لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط ٣٥، مطبعة منفرد، طهران، ١٩٦٠ م.

١٧) محكمة التحكيم الدائمة في لاهاي، تحكيم ابيي، الحكم النهائي، نسخة الكترونية، ٢٢ يوليو٢٠٠٩م

١٨) محمد طلعت الغنيمي، الاحكام العامة في قانون الامم وقانون السلام، دار المعارف الاسكندرية، ١٩٧٢م.

١٩) محمد أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م.

٢٠) ناجي أحمد التوم، مشكلة ابيي التعايش السلمي جدلية الوحدة والانفصال، دار المكتبة الوطنية للنشر، الخرطوم، ٢٠١٤م،

المراجع الأجنبية:

1 – Abyei Boundaries Commission report، part1، 14 july 2005،

2 – Ceil Eprile، War and Peace in the Sudan 19551972–، first edition، David & Charles published، 1974.

3 – Mohamed Suliman، Civil War in The Impact of Ecological Degradation، online version provided by the International Relations and Security Network at: http://www.isn.ethz.ch/isn/Digital-Library/Publications/Detail/?id=238*lng=en

مواقع الإنترنت:

1 – www.alasahafa.info/index.php?tyep=3&id

2 – http://www.mirayafm.org

الإدارة بالتجوال ودورها في تحقيق جودة الأداء بالتطبيق على محلية جبل أولياء ولاية الخرطوم - السودان (٢٠١٨م)

بقلم: د. عمر حمد عبد العاطي

أستاذ مساعد، كلية العلوم الإدارية، جامعة افريقيا العالمية

الخرطوم - السودان

المستخلص:

يتناول البحث موضوع الإدارة بالتجوال ودورها في تحقيق جودة الأداء. تكمن أهمية البحث في أنه يتناول مفهومًا إداريًا حديثًا يتعلق بالجانب العملي الميداني ذي الأثر الفعال على تحقيق جودة الأداء. يهدف البحث إلى إبراز دور الإدارة بالتجوال في تحقيق أهداف المؤسسات والمنظمات من خلال التحسين المستمر للأداء، كما يهدف إلى التعرف على بعض النماذج النظرية والتطبيقية التي سبقت بها الإدارة الإسلامية الإدارة المعاصرة في مجال الإدارة بالتجوال للإستفادة منها في تحقيق جودة الأداء استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي. من النتائج التي توصل إليها البحث: توفر الإدارة بالتجوال معلومات تسهم في رفع كفاءة العملية الإدارية وتقود بالتالي إلى تجويد الأداء، كما أن الإدارة بالتجوال تؤدي إلى تحسين الأداء عن طريق الاستغلال الأمثل للموارد البشرية والمادية. من توصيات البحث أن تتضمن السياسات واللوائح المنظمة للعمل إلزام المديرين في كل المستويات الإدارية بانتهاج مبدأ الإدارة بالتجوال لتحقيق الأهداف بأعلى كفاءة ممكنة، كذلك ضرورة التعرف على نظريات وتطبيقات الإدارة بالتجوال فى أدبيات الإدارة الإسلامية للإستهداء بها من أجل تحسين الأداء في المنظمات العامة والخاصة.

Abstract

The research deals with the management by roaming and its role in achieving the quality of performance. The importance of research is that it deals with a modern administrative concept related to the practical field aspect that has an effective impact on achieving quality of performance. The research aims to highlight the role of management by roaming in achieving the objectives of institutions and organizations through the continuous improvement of performance، and also aims to identify some of the theoretical and applied models that are contained in the Islamic management in the field of management by roaming to benefit in achieving the quality of performance. The research used an analytical descriptive approach and a historical approach.Some findings of the research are؛ The management by roaming provides information which affect positively to the efficiency of the administrative process and lead to the improvement of performance، and also management by roaming leads to improvement of performance through the optimal utilization of human and material resources. The recommendations include؛ the policies and regulations governing the work should oblige managers at all administrative levels to adopt execution principle of management by roaming to achieve the goals as efficiently as possible، and also there is a need to identify the theories and applications of management by roaming included in the literature of Islamic management for the purpose of improving performance in public and private organizations.

مقدمة:

يمثل المرتكز التأصيلي لفلسفة الإدارة بالتجوال حجر الزاوية الذي يقوم عليه فهم مقاصدها وابراز أهميتها لتحقيق معدلات الأداء المستهدفة وبأعلى جودة ممكنة. هذا المرتكز التأصيلي لفلسفة الإدارة بالتجوال يستمد أسسه من حركة الكواكب التي يقوم عليها استقرار الحياة واستدامتها، فالشمس مثلاً لا تتحرك حركة بطيئة وإنما تجري لمستقر لها بتقدير من الله العزيز العليم لتهيئ للبشر كل الأسباب المطلوبة لعبادة الله تعالى وعمارة الكون، فكما أن حركة الشمس هذه مبنية على قواعد تعصمها من الإضطراب فكذلك حركة المديرين المتجولين يجب أن تستند على اسس وقواعد تجعلها حركة هادفة وليست حركة مظهرية عشوائية وعندها يمكن القول أن مع كل جولة جودة ومع كل قعود جمود.

تقوم الإدارة بالتجوال بدور كبير في تحقيق جودة الأداء لما توفره من بيانات ومعلومات ولما تبينه من جوانب القوة والضعف الناجمة عن التنفيذ الفعلي للمهام التي يقصد منها تحقيق الأهداف. إن جودة الأداء لا تحققها فقط الخبرة العملية للمديرين المتجولين، ولكن لا بد من التطوير المستمر لمناهج الإدارة بالتجوال واستحداث أساليب ووسائل يتم عن طريقها تحقيق أهداف الإدارة بالتجوال. إذا أردنا تحقيق أعلى درجات جودة للأداء يجب ألا تقتصر ممارسة الإدارة بالتجوال على مديرين بعينهم في مستوى الإدارة العليا، وإنما يجب أن تمارس من قبل كل المديرين في كل المستويات الإدارية.

المبحث الأول: أساسيات البحث والدراسات السابقة

أولاً: أساسيات البحث

مشكلة البحث:

يشكل غياب اسلوب الإدارة بالتجوال وسيادة نمط الإدارة المكتبية الذى تتبناه غالب المؤسسات الحكومية ومنظمات الأعمال والمتمثل في الاعتماد علي التقارير مكتوبة كانت أم شفهية أحد أهم العوامل المفضية إلى تدني جودة أداء الأعمال في ظل هذا النمط الإداري تنخفض كفاءة العملية الإدارية التى تسعى في المقام الأول إلى تحقيق أعلي مستويات جودة للأداء، كما أن عدم

ممارسة الإدارة بالتجوال يضعف بدرجة كبيرة إحاطة المديرين بسير تنفيذ المهام ويقلل من قدرتهم علي الرقابة الفعالة واصدار التوجيهات في الأوقات المناسبة مما يؤثر سلبًا علي الأداء.

مما تقدم يمكن صياغة مشكلة البحث في السؤال الرئيسي التالي:

إلى أي مدى تؤثر الإدارة بالتجوال علي جودة الأداء؟ وتتفرع منه الأسئلة التالية:

١. كيف يؤدي اسلوب الإدارة بالتجوال إلى زيادة كفاءة العملية الإدارية؟

٢. ما أثر الإدارة بالتجوال على تنمية قدرات العاملين؟

٣. كيف تؤدي الإدارة بالتجوال إلى تحقيق الإبداع الإداري؟

أهمية البحث:

يكتسب البحث أهميته من التالي:

١. يتناول البحث مفهومًا إداريًا حديثًا متعلقًا بالجانب العملي الميداني ذى الأثر الفعال على تحقيق جودة الأداء وهو مفهوم الادارة بالتجوال.

٢. يوفر البحث لإدارات المؤسسات الحكومية ومنظمات الأعمال معلومات وتوصيات تعينهم على وضع الخطط ورسم السياسات لتطبيق اسلوب الإدارة بالتجوال بهدف ترقية الأداء.

٣. يقدم البحث مرجعًا مهمًا للدارسين والباحثين في مجال الإدارة بالتجوال.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. دراسة العلاقة بين الإدارة بالتجوال وتجويد الأداء.

٢. إبراز أثر الإدارة بالتجوال علي تحقيق أهداف المؤسسات والمنظمات من خلال التحسين المستمر للأداء.

٣. التعرف على بعض النماذج النظرية والتطبيقية التي سبقت بها الإدارة الإسلامية الإدارة المعاصرة في مجال الإدارة بالتجوال للاستفادة منها في تحقيق جودة الأداء.

فرضيات البحث:

الفرضية الرئيسة:

توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين تطبيق الإدارة بالتجوال وتجويد الأداء.

تتفرع منها الفرضيات التالية:

١. توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإدارة بالتجوال وكفاءة العملية الإدارية.

٢. توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإدارة بالتجوال وتفعيل دور العاملين في تحسين الأداء.

٣. توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإدارة بالتجوال وتحقيق الإبداع الإداري.

منهج البحث:

١. المنهج الوصفي التحليلي.

٢. المنهج التاريخي.

مصادر جمع البيانات:

١. مصادر أولية: تتمثل في الاستبانة.

٢. مصادر ثانوية: الكتب، الدراسات السابقة، الإنترنت

حدود البحث:

الحدود المكانية: محلية جبل أولياء، ولاية الخرطوم، السودان

الحدود الزمانية: ٢٠١٨م

الحدود البشرية: العاملون بمحلية جبل أولياء، ولاية الخرطوم

ثانيًا: الدراسات السابقة

الدراسة الأولي:

سراج الدين عبد الرحيم عثمان بدري، الإدارة بالتجوال ودورها في الالتزام التنظيمي رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة افريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠١٨م

تكمن مشكلة الدراسة في أن كثيرًا من الاخفاقات في منظمات الأعمال سببها عدم التعرف على المشاكل من مواقعها، كما أن التنافس الشديد بين المنظمات علي الموارد وخاصةً المورد البشري استدعى الحاجة إلى تغيير النمط الإداري التقليدي بأسلوب الإدارة بالتجوال لتحقيق جملة من المزايا علي رأسها الالتزام التنظيمي للعاملين بالمنظمة باعتبارهم رأس الرمح في العملية الإنتاجية. هدفت الدراسة بشكل عام إلى بيان ومعرفة أثر ممارسة الإدارة بالتجوال ودورها في الالتزام التنظيمي. من نتائج الدراسة: وضع خطط محددة لتحقيق الأهداف من خلال عملية الإدارة بالتجوال يوفر الثقة بين الإدارة والعاملين ويسهم في فاعلية الأداء، كما أن نمط الإدارة بالتجوال يعمل علي تحقيق الالتزام التنظيمي. قدمت الدراسة عددًا من التوصيات منها: تفعيل مفهوم الإدارة بالتجوال في المؤسسات والمنظمات لتحقيق فوائد ومكاسب عديدة. ضرورة عقد دورات تدريبية للمديرين لتعريفهم بمحاسن الإدارة بالتجوال.

الدراسة الثانية:

إيمان عادل خليل صباح، درجة ممارسة مديري المناطق التعليمية للإدارة بالتجوال في مدارس وكالة الغوث الدولية وسبل تفعيلها، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠١٢م.

تمثلت مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي: ما درجة ممارسة مديري المناطق التعليمية بمدارس وكالة الغوث الدولية للإدارة بالتجوال من وجهة نظر مديري ومديرات مدارس الغوث الدولية؟ هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة ممارسة مديري المناطق التعليمية للإدارة بالتجوال في مدارس الغوث الدولية بمحافظات غزة من وجهة نظر المديرين. من نتائج الدراسة: ممارسة مديري المناطق التعليمية للإدارة بالتجوال في مدارس وكالة الغوث الدولية جاءت بدرجة كبيرة.

أوصت الدراسة بجموعة من التوصيات منها: أهمية تبني مبدأ العدالة أثناء التجوال في توزيع المهام ومنح الحوافز، العمل على تطبيق مبدأ تفويض السلطة لمديري المدارس.

الدراسة الثالثة:

رضا المواضية، درجة ممارسة الإدارة بالتجوال وأثرها علي تنمية كفاءة معلمي رياض الاطفال مهنيًا في محافظة الكرك في المملكة الأردنية الهاشمية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، ع٧، اكتوبر ٢٠١٤م

تتركز مشكلة الدراسة في عدم إدراك العاملين في رياض الاطفال في محافظة الكرك لطبيعة العلاقة بين الإدارة بالتجوال وتنمية كفاءات معلمات رياض الأطفال. هدفت الدراسة إلى التعرف علي درجة ممارسة أبعاد الإدارة بالتجوال بواسطة مديرات رياض الأطفال في محافظة الكرك. توصلت الدراسة إلى أن درجة ممارسة الإدارة بالتجوال ومستوى تنمية كفاءة معلمات رياض الاطفال مهنيًا كان بدرجة متوسطة.

من توصيات الدراسة: زيادة مشاركة معلمات رياض الأطفال في اتخاذ القرارات، وكذلك عقد دورات تدريبية تمكنهن من ترقية الأداء.

مقارنة بين البحث والدراسات السابقة:

١. أفادت الدراسة الأولى الباحث في التعرف على بعض الدراسات السابقة والمراجع في مجال الإدارة بالتجوال.

٢. تتفق الدراسة الأولى مع البحث في ذكرها لبعض ممارسات الإدارة بالتجوال في الإدارة الإسلامية.

٣. بحثت الدراسة الأولى العلاقة بين الإدارة بالتجوال والالتزام التنظيمي فقط دون الإشارة إلى أثر هذه العلاقة على الأداء، وهنا يمكن القول بتميز البحث على هذه الدراسة لأنه أثبت دور الإدارة بالتجوال في تحقيق جودة الأداء.

٤. اكتفت الدراستان الثانية والثالثة بتوضيح درجة ممارسة الإدارة بالتجوال في مجال التعليم، وكان ينبغي أن تتجاوزا ذلك بدراسة أثر هذه الممارسة على الأداء.

المبحث الثاني: الإطار النظري

اولاً: الإدارة بالتجوال

خلفية تاريخية [١]:

إن كانت أدبيات الإدارة المعاصرة قد أطرت لمفهوم الإدارة بالتجوال وأخرجته كمفهوم ونظرية إلى الوجود في العصر الحديث، فالإسلام كان السابق في إنزال هذا المفهوم إلى أرض الواقع ممارسة وتطبيقًا مستندًا في ذلك إلى نظرية مستقاة من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية. جاءت بعض آيات القرآن الكريم تدل على أهمية الحركة في استدامة الحياة وحمايتها من الاضطراب وتهيئتها للأسباب التي تعين الإنسان على تحقيق الغاية التي خلق من أجلها وهي عبادة الله تعالي في الأرض. من الآيات الدالة علي دور الحركة في تحقيق هذه الغاية قول الله تعالي (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) [٢]. الله سبحانه وتعالى لم يأمر الشمس أن تتحرك فقط بل أن تجري لمستقرها لأن في هذا الجري حياة للإنسان ومن ثم اعانة له لعبادته سبحانه وتعالى.

كان الرسول صلي الله عليه وسلم أول من أسس لمفهوم الإدارة بالتجوال وطبقه فقد قال « من ولاه الله شيئًا من أمر المسلمين فاحتجب من دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره » [٣] أما من حيث الممارسة فكان الرسول عليه الصلاة والسلام يخرج ويتجول متفقدًا أحوال الرعية. أتي إلى السوق ذات مرة وأدخل يده في صبرة طعام فوجد فيه بللاً، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فقال: أصابته السماء يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم « أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس منا[٤].

أهم ما يميز النهج الإداري الذى اتبعه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإدارة بالتجوال فقد كان يتجول ليلاً في أرجاء المدينة ليتفقد أحوال الرعية . أثناء تجواله ذات يوم إذ بطفل يصدر أنينًا

---

١) إعداد الباحث.

٢)سورة يس، الآية ٣٨

٣) أبو داود سليمان الاشعث، سنن أبي داود، تخريجات وتحقيقات محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ٢٠٠٧م

٤) صحيح مسلم، ح ١٨٦، الإيمان، ص ٧١

حزينًا فيقترب من الدار ويسأل عما به، فترد أم الطفل: إني أفطمه يا أمير المؤمنين. حدث طبيعي أُم تفطم طفلها ولذا يصرخ ولكن أمير المؤمنين لا يمضي إلى حال سبيله؛ بل يحاور أُم الطفل ويكتشف أن الأم فطمت طفلها قبل موعد الفطام لحاجتها لمائة درهم كان يصرفها بيت مال المسلمين لكل طفل فأصدر أمرًا بصرف المائة درهم للطفل منذ الولادة وليس بعد الفطام ليصبح الأمر قانونًا يحفظ حقوق الأطفال ويحميهم من مخاطر الفطام المبكر ويتيح لهم حق الرضاعة الكاملة [1].

مما يروى عنه قوله « لئن عشت إن شاء الله لا سيرن في الرعية حولاً، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم فلا يدفعونها إلى، وأما هم فلا يصلون إلى، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، ثم و الله لنعم الحول هذا [2].

المفهوم والتعريف:

يرجع الفضل في نشر مفهوم الإدارة بالتجوال في العصر الحديث إلى الكاتبين بيترز و وترمان «Peters & Waterman» حيث أشارا في كتابهما (البحث عن التميز) «In Search of Excellence» إلى أن الشركات التي بقى كبار مديريها علي اتصال مع العاملين والعملاء كانت أكثر نجاحًا من تلك التي كانت إداراتها معزولة عن العاملين، وأن الاعتماد علي التقارير المكتوبة لا يحقق الأهداف الموضوعة [3].

تعتمد عملية الإدارة بالتجوال في المقام الأول علي قدرة ومهارات المديرين لدعم التكامل الوظيفي والمشاركة الكاملة والإدارة المرنة من أجل خلق بيئة عمل مناسبة حتى تتكامل الأدوار وتتم الاستجابة السريعة لمتطلبات ومتغيرات العمل وتزول الحواجز بين القيادات والموظفين وتعميق الإحساس بالمسؤولية [4].

1) www.ar.islamway.net

٢) علي الصلابي، تاريخ الخلفاء الراشدين « ٢»، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة،٢٠٠٢م، ص ٣٧٩

٣) أمل محمد العبيدي، أثر ممارسة الإدارة بالتجوال على فاعلية عملية إتخاذ القرارات، رسالة ماجستير منشورة، مجلة كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة البصرة، ع ١١، ٢٠١٣م، ص ص ٩-١٠

٤) محمد العجمي، الإتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية والتنمية البشرية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠، ص ٣٥٧

تعريف مفهوم الإدارة بالتجوال:

تعرف الإدارة بالتجوال بعدة تعريفات منها [١]:

١. هي منظومة إدارية فلسفية متكاملة ذات طابع ارتقائي خاص، تستمد خصوصيتها من قناعة إدراكية تقوم علي التواجد والحضور الذكي الفاعل للقائد الإداري في مواقع التنفيذ، وعدم اعتماده علي وسائل الاتصال غير المباشرة اعتمادا كاملاً، وأن يستخدم مهاراته ومواهبه الشخصية.

٢. هي علم التعرف على حاجات ورغبات العاملين في المشروع بشكل عام، والعاملين في المستويات التنفيذية بشكل خاص ومن ثم تلبية حاجاتهم بما ينعكس علي رضائهم عن أنفسهم وعن ما يقومون به، فتزداد فاعليتهم في تحقيق الأهداف والوصول إلى النتائج.

٣. تعرّف بأنها خروج المسؤولين من مكاتبهم المغلقة، في جولة تفقدية إلى أماكن العمل الفعلية وهي مكاتب مرؤوسيهم أو ميادين العمل للتأكد من أن العمل يجري حسب الخطة [٢].

تعريف الباحث:

الإدارة بالتجوال هي نهج إدارى يتبعه المديرون على اختلاف مواقعهم في الهيكل التنظيمي وتباين طبيعة وظائفهم، ويقوم علي وجودهم الميداني في مواقع العمل لدفع العاملين نحو تجويد الأداء وتثبيت الجوانب الإيجابية واتخاذ قرارات فورية لمعالجة أوجه القصور وأسباب تدني الأداء.

أهداف الإدارة بالتجوال:

تسعى الإدارة بالتجوال إلى تحقيق عدة أهداف يمكن ذكر بعضها كما يلي [٣]:

١. إعادة بناء خلايا التجديد العقلي والفكري وكسر جمود الروتين البيروقراطي، حيث تساعد الإدارة بالتجوال العاملين على إدراك ذواتهم ومعرفة الجوانب الإيجابية فيهم.

---

١) محسن أحمد الخضيري، الادارة بالتجوال «منهج متكامل لتحقيق الفاعلية الادارية «ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م،ص ص ١٤-٣١

2) Www.albayan.ae

٣) المرجع السابق، ص ص ٤٤-٥٧

٢. فهم الحقائق الواقعية غير المعلنة والغائبة عن الإدارة العليا عمدًا أو لأي سبب آخر والتواصل مع كل فئات العاملين.

٣. إدارة عمليات إعادة الهيكلة التي تعيد تخصيص مجالات وأنشطة المنظمة، حيث تقوم الإدارة بالتجوال بدور مهم لجمع البيانات والمعلومات اللازمة لذلك من الواقع العملي.

٤. تحفيز العاملين ودفعهم للعمل بكفاءة وفاعلية من خلال التواجد المستمر للمدير مع العاملين.

٥. تحديد المشكلات التي تعترض الأداء والعمل على حلها.

لما كانت الإدارة بالتجوال ليست هدفًا في حد ذاتها يصبح من الضروري التقييم المستمر للجولات الميدانية التي يقوم بها المديرون لمعرفة نتائجها والاستفادة منها في تحسين الأداء [١].

فوائد الإدارة بالتجوال [٢]:

تحدد فوائد الإدارة بالتجوال في التالي:

١. التفويض الفعال للسلطة.

٢. تقييم العاملين بشكل أفضل من خلال التعرف الكامل على حقيقة قدراتهم وامكاناتهم

٣. إعادة توزيع الموارد البشرية وفقًا لاحتياجات العمل الفعلية.

٤. زيادة كفاءة وفاعلية برامج التدريب وذلك من خلال تحديد مجالات التدريب المطلوبة.

٥. تحسين عمليات الإنجاز والتنفيذ.

٦. إعادة هيكلة المنظمة أو المؤسسة بشكل أفضل، ويتم ذلك من خلال رؤية الواقع والتحرك منه نحو المستقبل والتخلي عن الممارسات التقليدية الروتينية.

٧. زيادة الإحساس بالمسؤولية لدى العاملين ومشاركتهم في إعداد الخطط ووضع الأهداف.

٨. ربط مكافأة العاملين بالإنجاز الفعلي.

---

١ إعداد الباحث

٢ محمد العجمي، مرجع سابق، ص ٣٧٠

الصفات الواجب توفرها في المدير المتجول [١]:

١. الإنصاف: أن يتحلى بقيم ومبادئ العدالة والمساواة، والاستجابة الفورية لمطالب العاملين والاستماع الذكي لشكاويهم.

٢. النزاهة: يقصد بها التوازن في الشخصية وعدم التناقض بين القول والفعل.

٣. الصبر والتفهم: أن يتصف المدير المتجول بالصبر، والقدرة علي التحمل ومواجهة المواقف الصعبة.

٤. التشجيع: أن يشجع العاملين على إبداء آرائهم بصراحة دون خوف أو تردد، وأن يفجر طاقات الإبداع والابتكار فيهم.

٥. أن تكون لديه القدرة على التحليل والاستنباط واتخاذ القرارات في الأوقات المناسبة.

٦. المهارة: تعتبر الإدارة بالتجوال مجالاً لتأكيد الجانب الفني للإدارة، ولتحقيق أهداف الإدارة بالتجوال لابد أن تتوفر في المدير المتجول عدة مهارات، كمهارة الاتصال الفعال مع العاملين و مهارة اتخاذ القرارات الإدارية [٢].

ثانيًا: جودة الأداء

تعريف الجودة:

الجودة مصدر الفعل الثلاثي جود، والجيد نقيض الرديء. وأجاد الشيء جُودة وجَودة « الجيم تضم وتفتح « أي صار جيدًا وأجاد أتى بالجيد وجاد وأجاد أتى بالجيد فهو مجواد والتجويد هو التحسين يقال جودت الشيء أي حسنته، وأيضًا تجويد الشيء في لغة العرب إحكامه وإتقانه، يقال فلان جود الشيء أي حسنه وأجاده اذا أحكم صنعه وأتقن وضعه وبلغ منه الغاية في الإحسان والكمال. واستجدت الشيء وجودته أي تخيرته وطلبت أن يكون جيدًا، وتجود في صنعته تفوق

١ المرجع السابق، ص ص ٣٦٤-٣٦٦

٢ إعداد الباحث

فيها [١]. وجاد الشيء جوده أي صار جيدًا، وأجاد أي أتى بالجيد من القول والفعل، وجاد الفرس أي صار رائعًا يجود جودةً [٢].

ارتبط مصطلح الجودة في الإسلام بمفردات ومفاهيم أخرى أبرزها الإحسان والإتقان، فالإحسان وردت مشتقاته في القرآن الكريم مرات كثيرة، تارةً بصيغة المصدر وتارة بصيغة الفاعل ولم ترد بصيغة الأمر الا مرةً واحدةً مخاطبًا فيها الجماعة. يقول تعالى {وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[٣].

والإحسان في اللغة هو فعل ما هو حسن وأحسن الشيء أجاد صنعه، ويأتي الإحسان بمعنى بذل الجهد في العبادة أي تحسينها وإتمامها وإكمالها.

عرف الإحسان أيضًا بأنه « إحكام العمل وإتقانه ومقابلة الخير بأكثر منه والشر بأقل منه «. الإحسان في العمل ذو شقين، الأول استخدام أقصى درجات المهارة والإتقان فيه وأما الشق الثاني فهو التوجه بالعمل لله عز وجل.

أما الإتقان في اللغة من أتقن الشيء أحكمه وإتقانه إحكامه، فالإتقان الإحكام للأشياء [٤].

وجاء في محكم التنزيل {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [٥]، والإتقان أحد مظاهر ومؤشرات الحكمة في العمل، ورجل تقن متقن للأشياء حاذق[٦]. والاتقان بمعنى الإحسان والإحكام للشيء [٧].

لفت ربنا سبحانه وتعالى انتباه عباده الى اتقان صنعته في خلقه بقوله: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهَّ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ [٨]»

١ المنظمة العربية للتنمية الادارية، مؤتمر الجودة الشاملة وبناء القدرات، الشارقة، الأمارات العربية المتحدة، مارس ٢٠٠٩م، ص ص ٦- ٧

٢ مفهوم الجودة فى الاسلام، www. Hrdiscussion.com تاريخ الدخول ٧ فبراير، ٢٠١٩م

٣ البقرة، آية ١٩٥

٤ ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ٢٠٠٣م، ص ٧٣ « فى www.Hrdiscussion.com

٥ سورة هود، آية ١

٦ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سبق ذكره، ص ٧٣

٧ القرطبى، ج٧، ٢٠٠٢م، ص ١٧

٨ النمل، آية ٨٨

تأسيًا على التعريفات السابقة يرى الباحث أن جودة الأداء تعني تحقيق أعلي معدلات تنفيذ للأعمال وبأعلى مستوى جودة وبأقل التكاليف وفي الوقت المحدد بغية تحقيق الأهداف الموضوعة.

الأداء:

تعريف مفهوم الأداء:

تعددت التعاريف حول مفهوم الأداء منها [١]:

١. الأداء هو تأدية عمل أو إنجاز نشاط أو تنفيذ مهمة، بمعنى القيام بفعل يساعد على الوصول إلى الأهداف الموضوعة.

٢. هو انعكاس لكيفية استخدام المؤسسة للموارد البشرية والمالية واستغلالها بفاعلية وكفاءة تجعلها قادرة على تحقيق أهدافها.

٣. الأداء هو نشاط يمكن الفرد من إنجاز المهمة أو الهدف بنجاح.

أهمية قياس الأداء:

يمكن أيجاز أهمية قياس الأداء في النقاط التالية [٢]:

١. يؤدي قياس الأداء إلى تحسين إدارة المنتجات والخدمات وعملية ايصالها للعملاء.

٢. يوفر قياس الأداء معلومات حقيقية يمكن الاستناد عليها في اتخاذ قرارات سليمة حول عمليات المؤسسة.

٣. إيجاد نوع من المنافسة بين الأقسام والإدارات، ويوفر نظام عادل للمكافآت والحوافز مما يؤدي إلى زيادة إنتاجية العاملين وتحقيق الأهداف الموضوعة.

٤. يساعد قياس الأداء على إعطاء توضيحات حول تنفيذ البرامج.

٥. تبيان مدى مساهمة المؤسسة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية عن طريق تحقيق أكبر قدر من الإنتاج وبأقل التكاليف.

١ مصطفى يوسف كافي، إدارة الأداء، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، ٢٠١٦م، ص ١٦

٢ المرجع السابق، ص ص ٣٤-٣٥

تقييم الأداء [1]:

هو نظام يستخدم لقياس الأداء الوظيفي للعاملين من خلال مقارنة الأداء الفعلي بالمقاييس والمعايير المحددة مسبقًا لتحديد الانحرافات عن الأهداف السابق تحديدها.

أهداف تقييم الأداء [2]:

الهدف الرئيس من عملية تقييم الأداء هو إعطاء العاملين تغذية عكسية عن مدى كفاءتهم في القيام بواجباتهم الوظيفية، وتوجيههم لتطوير أدائهم في المستقبل.

مراحل تقييم الأداء [3]:

يجب اتباع خطوات متسلسلة لتقييم الأداء بغية الوصول إلى الأهداف، والخطوات هي:

١. وضع توقعات الأداء: حيث يتم تعيين الأفراد المعنيين بالتقييم والقائمين به، وأن يتم الاتفاق حول وصف المهام المطلوبة والنتائج التي يجب تحقيقها، وتحديد الفترات التي يتم فيها تقييم الأداء.

٢. مرحلة مراقبة التقدم في الأداء: يتم في هذه المرحلة الكيفية التي يعمل بها الفرد، وتحديد الشخص الذي سيتولى إعداد تقرير التقييم.

٣. تقييم الأداء: يتم في هذه المرحلة تقييم أداء جميع العاملين، مما يفيد في اتخاذ القرارات.

٤. التغذية العكسية: تتضمن تحليل نتائج التقييم واتخاذ الإجراءات المناسبة لتطوير كفاءة العاملين، فكل عامل يحتاج إلى معرفة مستوى أدائه.

٥. اتخاذ القرارات الإدارية بعد الانتهاء من التقييم، مثل القرارات الخاص بالترقيات، التعيين، والفصل، وغيرها.

٦. وضع خطط لتطوير الأداء: يتم وضع الخطط لتطوير الأداء من خلال التعرف على مهارات وقدرات العاملين.

١ المرجع السابق، ص ٩٩
٢ المرجع السابق، ص ١٠٠
٣ المرجع السابق، ص ١٠١

إدارة الأداء:

إدارة الأداء هي إدارة الأعمال، كما تعرف بأنها توجيه ومساعدة العاملين على القيام بالأعمال بأعلى كفاءة وفاعلية لتحقيق أهداف المنظمة [١].

تهتم إدارة الأداء بالتالي [٢]:

١. تهتم بالتخطيط لضمان تحقيق النجاح في المستقبل.

٢. تهتم بقياس النتائج ومراجعة مدى التقدم في تحقيق الأهداف.

٣. الحرص على التحسين المستمر لتحقيق معدلات أداء أعلى في كل أقسام المنظمة

المبحث الثاني: الدراسة الميدانية واختبارات الفروض:

مجتمع الدراسة:-

تكون مجتمع الدراسة من العاملين بمحلية جبل أولياء التابعة لولاية الخرطوم، وقد تم اختيار عينة قصدية منهم بلغت (٤٠) مفردة وذلك لتحقيق أهداف الدراسة.

أداة الدراسة:

هنالك عدة وسائل تستخدم في جمع المعلومات اللازمة عن الظاهرة موضوع الدراسة، وقد اعتمد الباحث في هذا البحث على الاستبانة كأداة رئيسية لجمع البيانات من عينة الدراسة واشتملت الاستبانة على أسئلة عن البيانات الشخصية لعينة الدراسة كالنوع المؤهل العلمي، الحالة الاجتماعية، الخبرة، والموقع الوظيفي. كما اشتملت على ثلاثة محاور رئيسية تمثل فرضيات الدراسة، وفى هذه المحاور (٢٠) سؤال، وقد طلب من أفراد العينة أن يحددوا اجاباتهم عن ما تصفه كل عبارة وفقًا لمقياس لكارت الخماسي المتدرج والذى يتكون من خمسة مستويات (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة).

1 Michael Armstrong، performance management، 3rd edition، Thomson-shore, Inc ، USA، P 1

2 Ibid، p 5

الاساليب الإحصائية المستخدمة:-

لتحقيق أهداف الدراسة والتحقق من فرضياتها، استخدم الباحث الاساليب الإحصائية التالية:-

١/ الاشكال البيانية

٢/ الجداول التكرارية والنسب المئوية

٣/ الوسط الحسابي

٤/ اختبار مربع كاى

٥/ اختبار ألفا كرونباخ

هذا وقد استخدم الباحث البرنامج الإحصائي spss (Statistical Package For Social Sciences). (الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية)

تطبيق أداة الدراسة:

يستخدم معامل الثبات (ألفا كرونباخ) للحكم على دقة قياس مفاهيم الدراسة، أي بمعنى أنه عند قيام باحث آخر بالدراسة نفسها سوف يتوصل إلى النتائج نفسها، وكذلك من أجل قياس مدى توافق الإجابات مع بعضها البعض بالنسبة للمتغيرات المدروسة وموثوقية النتائج.

عند حساب معامل ألفا كرونباخ من أجل مجموعة من المتغيرات فيجب أن تكون قيمته أكبر من ٠,٦ حتى نستطيع القول بأنه يمكن الوثوق بالنتائج، فإذا لم يكن هنالك ثبات فى البيانات تأخذ قيمة المعامل الصفر، ويزيد ثبات البيانات كلما اتجهت قيمة المعامل نحو الواحد الصحيح، وفيما يلي اختبار ثبات البيانات

جدول رقم (١) يوضح قيمة معامل ألفا كرونباخ لاختبار ثبات الاستبانة

معامل ألفا كرونباخ	عدد العناصر
٠,٩١	٢٠

المصدر: إعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من خلال الجدول رقم (١) نجد أن معامل ألفا كرونباخ قد بلغ ٠,٩١ وهو مرتفع جدًا، مما يدل على ثبات الاستبانة وصلاحيته للقياس.

مقياس ليكارت الخماسي: -

استخدم الباحث مقياس ليكارت الخماسي للخمسة خيارات (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة) حسب الاوزان التالية :

جدول رقم (٢) يوضح اوزان مقياس ليكارت الخماسى

الرأى	الوزن
لا أوافق بشدة	١
لا أوافق	٢
محايد	٣
أوافق	٤
أوافق بشدة	٥

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

قام الباحث بعد ذلك بحساب المتوسط المرجح على النحو التالي:

جدول رقم (٣) يوضح المتوسط المرجح

الرأي	المتوسط المرجح
لا أوافق بشدة	من ١ الى ١,٧٩
لا أوافق	من ١,٨٠ الى ٢,٥٩
محايد	من ٢,٦٠ الى ٣,٣٩
أوافق	من ٣,٤٠ الى ٤,١٩
أوافق بشدة	من ٤,٢٠ الى ٥

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

ومن خلال الجدول أعلاه يلاحظ أن طول الفترة المستخدمة ٤/ ٥،أى حوالى ٠,٨٠، وقد حسبت الفترة على أساس أن الأرقام ١،٢،٣،٤،٥ بينها ٤ مسافات.

استخدام مربع كاى لجودة التطابق: -

لاختبار هل توجد فروقات ذات دلالة إحصائية بين استجابات المبحوثين استخدم الباحث اختبار مربع كاى والذى يمكن ايجاده بالمعادلة الموضحة ادناه:

$$\chi^2 = \sum_{j=1}^{c} \sum_{i=1}^{r} \frac{(E_{ij} - O_{ij})^2}{E_{ij}}$$

حيث إن :

Eij التكرار المتوقع:.

Oij التكرار المشاهد:.

كما يتم الحصول على درجة الحرية وهى (عدد الإجابات فى السؤال -١)، ولمعرفة هل هنالك فروق ذات دلالة إحصائية بين الإجابات المتوقعة والمشاهدة لكل عبارة على حدة تتم مقارنة قيمة اختبار مربع كاى المحسوبة بالجدولية فإذا كانت قيمة الاختبار المحسوبة أكبر من الجدولية دل ذلك على وجود فروق بين المتوقع والمشاهد، كما أن القيمة الاحتمالية (Pvalue) بصورة مباشرة تحدد ما اذا كانت الفروق ذات دلالة إحصائية وذلك بمقارنة القيمة الاحتمالية بمستوى معنوية ٠,٠٥ حيث أن القيمة الاحتمالية تمثل قيمة الخطأ المسموح به فى نتائج الاختبار بمعنى إننا نثق فى صحة اجابتنا بنسبة ٩٥٪، فإذا كانت القيمة الاحتمالية أقل من ٠,٠٥ فهذا يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التكرارات المشاهدة والمتوقعة، وفى هذه الحالة نستخدم المتوسط المرجح ليحدد اتجاه العبارة.

تحليل وتفسير النتائج: -

اولا: البيانات الشخصية: -

١/ السؤال عن النوع: -

جدول رقم (٤) يوضح النوع

النوع	التكرار	النسبة المئوية ٪
ذكر	٢٢	٥٥
انثى	١٨	٤٥
حجم العينة الكلى	٤٠	١٠٠

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه يلاحظ بأن أكثر المبحوثين من أفراد العينة من الذكور حيث بلغ عددهم ٢٢ بنسبة مئوية ٥٥٪، فيما بلغ عدد الاناث ٢٥ بنسبة مئوية ٤٥٪.

شكل بياني رقم (١) يوضح النوع

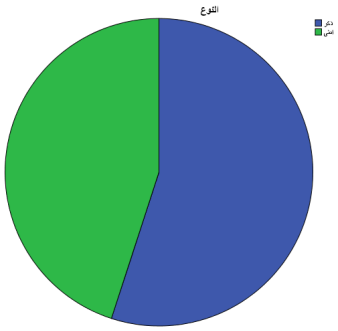

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

يلاحظ من الجدول رقم (٤) والشكل رقم (١) أن أفراد العينة متقاربين جدًا من ناحية النوع مما يدل على أن العينة كانت متوازنة من حيث النوع ومن ثم أن الاجابات تعبر عن آراء الذكور والإناث

٢/ السؤال عن المؤهل العلمي:

جدول رقم (٥) يوضح المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة المئوية ٪
دون الثانوي	١	٢,٥
ثانوي	٥	١٢,٥
جامعي	١٢	٣٠
فوق الجامعي	٢٢	٥٥
حجم العينة الكلى	٤٠	١٠٠

المصدر: إعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه يلاحظ أن أكثر المبحوثين من أفراد العينة كان لديهم تأهيل فوق الجامعى حيث بلغ عددهم ٢٢ بنسبة مئوية ٥٥٪، فيما بلغ عدد الجامعيين ١٢ بنسبة مئوية ٣٠٪.

شكل بيانى رقم (٢) يوضح المؤهل العلمى

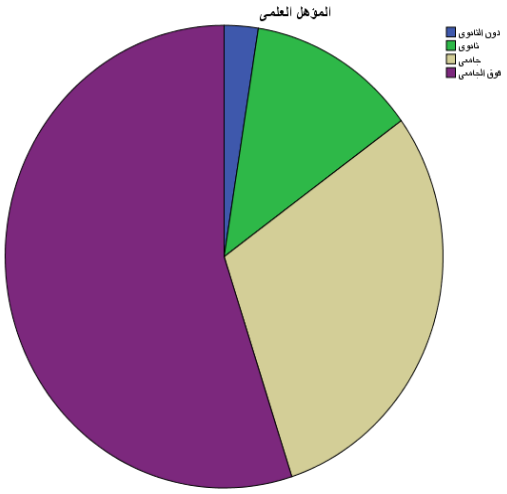

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

يتضح من الجدول رقم (٥) والشكل رقم (٢) التأهيل العالي للمبحوثين ومن ثم مقدرتهم على تقديم اجابات تفيد الدراسة.

٣/ السؤال عن الحالة الاجتماعية:-

جدول رقم (٦) يوضح الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية ٪
متزوج	٣١	٧٧,٥
غير متزوج	٨	٢٠
أرمل	١	٢,٥
حجم العينة الكلى	٤٠	١٠٠

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه يلاحظ أن أكثر المبحوثين من افراد العينة من المتزوجين حيث بلغ عددهم ٣١ بنسبة مئوية ٥ , ٧٧٪.

شكل بيانى رقم (٣) يوضح الحالة الاجتماعية

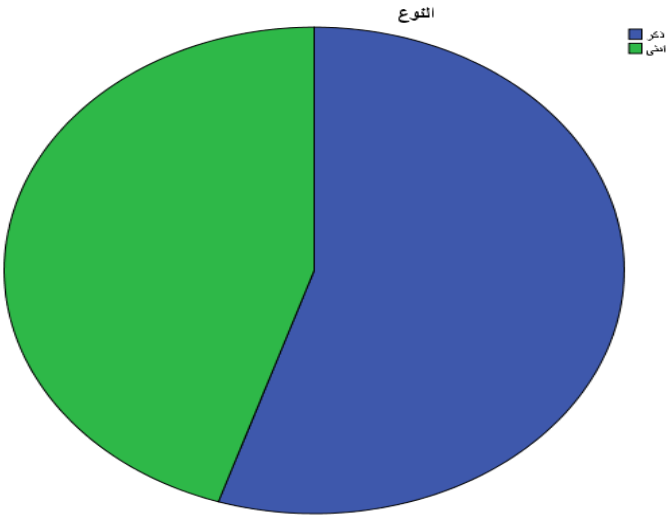

المصدر: إعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

٤/ السؤال عن الخبرة:

جدول رقم (٧) يوضح الخبرة

الخبرة	التكرار	النسبة المئوية ٪
من سنة وأقل من ٥ سنوات	٢	٥
من ٥ وأقل من ١٠ سنوات	١٥	٣٧,٥
من ١٠ وأقل من ١٥ سنة	٥	١٢,٥
من ١٥ سنة فأكثر	١٨	٤٥
حجم العينة الكلى	٤٠	١٠٠

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه يلاحظ أن أكثر المبحوثين من افراد العينة كانت سنوات خبراتهم من ١٥ سنة فأكثر حيث بلغ عددهم ١٨ بنسبة مئوية ٤٥٪.

شكل بيانى رقم (٤) يوضح الخبرة

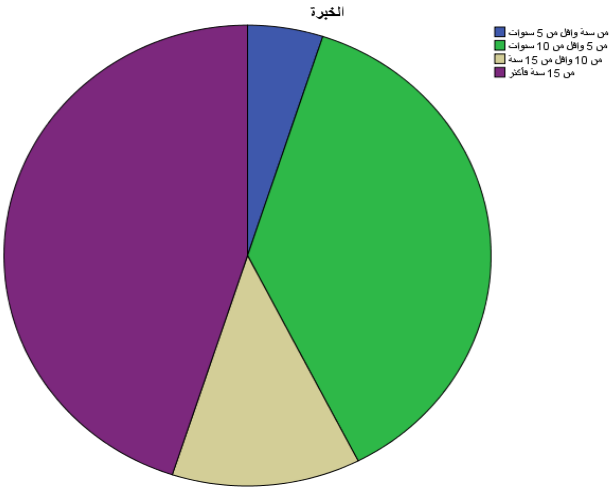

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

عند مقارنة عدد المبحوثين الذين تكون سنوات خبراتهم من ١٠ سنة فأكثر بعدد المبحوثين الذين تكون سنوات خبراتهم من ٥ إلى أقل من ١٠ سنة نجد أن أعدادهم متقاربة حيث يبلغ العدد في الحالة الأولى ٢٣ فردًا وفى الثانية ١٧ فردًا، وهذا يدل على أن مجتمع البحث متجانس من حيث الخبرة، ويشير كذلك الى القيمة العالية للبيانات التى أدل بها أفراد العينة.

٤/ السؤال عن الموقع الوظيفى:-

جدول رقم (٨) يوضح الموقع الوظيفي

الموقع الوظيفي	التكرار	النسبة المئوية ٪
ادارة عليا	١٠	٢٥
ادارة وسطى	١٦	٤٠

اشراف	٣	٧,٥
موظف	١٠	٢٥
اخرى	١	٢,٥
حجم العينة الكلى	٤٠	١٠٠

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه يلاحظ أن اكثر المبحوثين من افراد العينة كانوا من فئة الادارة الوسطى حيث بلغ عددهم ١٦ بنسبة مئوية ٤٠٪.

شكل بيانى رقم (٥) يوضح الموقع الوظيفى

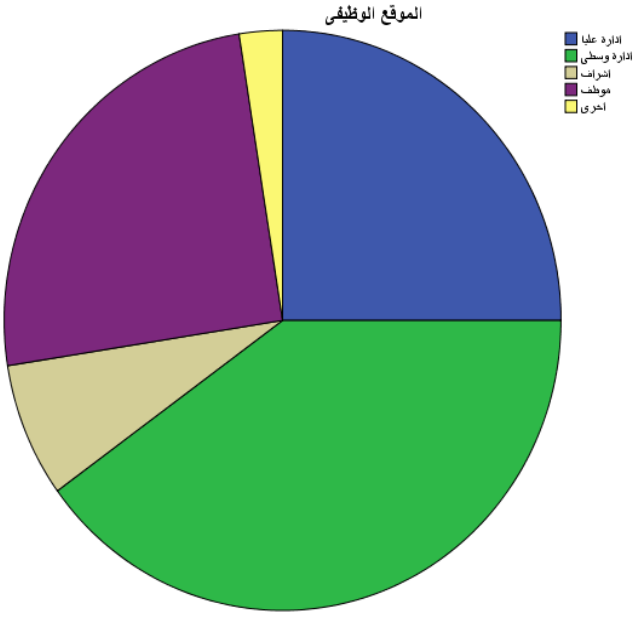

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

يتضح من الجدول رقم (٨) والشكل رقم (٥) أن عدد أفراد العينة فى مستوى الادارة العليا والادارة الوسطى يبلغ ٢٦ فردا بنسبة ٦٥٪، وهذا يتناسب مع طبيعة الدراسة.

ثانيا: بيانات الدراسة و(اختبارات الفروض):-

التوزيع التكرارى والنسب المئوية لعبارات المحور الاول (توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإدارة بالتجوال وكفاءة العملية الإدارية) :

جدول رقم(٩)

العبارة	الرأى									
	التكرار					النسبة المئوية ٪				
	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة
توفر الإدارة بالتجوال معلومات حقيقية تسهم فى كفاءة التخطيط	٠	٠	٠	١٣	٢٧	٠	٠	٠	٣٢,٥	٦٧,٥
تعين الإدارة بالتجوال المديرين على اتخاذ قرارات رشيدة تسهم فى تحسين الأداء	٠	٠	١	١٤	٢٥	٠	٠	٢,٥	٣٥	٦٢,٥
تعالج الإدارة بالتجوال أوجه القصور التى يسببها الاعتماد على التقارير المكتوبة	٠	١	٢	١٢	٢٥	٠	٢,٥	٥	٣٠	٦٢,٥

تسهم الإدارة بالتجوال فى تجويد الأداء عن طريق ازالة التضارب وتداخل الاختصاصات ميدانيا	٠	١	٠	١٥	٢٤	٠	٢,٥	٠	٣٧,٥	٦٠
تساعد الإدارة بالتجوال على تحسين كفاءة الرقابة الإدارية الأمر الذى يؤدى الى تقليل الانحرافات والاخطاء مما يعزز من فرص إتقان الأداء	٠	١	١	١٤	٢٤	٠	٢,٥	٢,٥	٣٥	٦٠
توفر الإدارة بالتجوال رؤية كلية للادارة العليا عن سير تنفيذ الأنشطة مما يساعد على كفاءة التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة	٠	١	٠	١٩	٢٠	٠	٢,٥	٠	٤٧,٥	٥٠

تمكن الإدارة بالتجوال المديرين من معرفة المهام التى يمكن تفويضها للمرؤوسين بهدف تجويد الأداء	٠	١	٣	١٨	١٨	٠	٢,٥	٧,٥	٤٥	٤٥
تمكن الإدارة بالتجوال من إعادة توزيع المهاماالاختصاصات على العاملين حسب ما تقتضيه ظروف العمل الميدانية وهذا يساعد على الحصول على مخرجات ذات جودة عالية	٠	٠	٢	١٩	١٩	٠	٠	٥	٤٧,٥	٤٧,٥
تعتبر التوجيهات المباشرة الصادرة للعاملين من المديرين المتجولين من عوامل تحقيق جودة الأداء	٠	٢	٣	١٣	٢٢	٠	٥	٧,٥	٥٥	٣٢,٥

الاتصال المباشر بين المديرين والعاملين والذى توفره الإدارة بالتجوال يسهم فى زيادة فاعلية الأداء	٠	١	١	١٢	٢٦	٠	٢,٥	٢,٥	٣٠	٦٥
توفر الإدارة بالتجوال معلومات تساعد على إعادة بناء الهيكل التنظيمى لمواجهة المتغيرات فى البيئة الداخلية والخارجية وينعكس ذلك ايجابًا على الأداء	٠	٠	٤	٢٠	١٦	٠	٠	١٠	٥٠	٤٠
تضمن الإدارة بالتجوال أداء الاعمال فى مواقيتها المحددة وبالمواصفات المطلوبة	٠	٠	٢	١٥	٢٣	٠	٠	٥	٣٧,٥	٥٧,٥

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه يمكن ملاحظة الآتى:-

- أجاب كل افراد العينة على اسئلة هذا المحور حيث يبلغ حجم العينة (٤٠) وذلك بنسبة مئوية ١٠٠٪.
- حصلت معظم عبارات المحور على أعلى تكرار فى الاستجابة للرأى (أوافق بشدة) حيث يلاحظ فى العبارة (توفر الإدارة بالتجوال معلومات حقيقية تسهم فى كفاءة التخطيط) انحاز لهذا الرأى ٢٧ بنسبة مئوية ٥ , ٦٧٪، وكذلك يمكن تتبع بقية عبارات المحور.
- حصلت بعض عبارات المحور على أعلى تكرار فى الاستجابة للرأى (أوافق) حيث يلاحظ فى العبارة (تعتبر التوجيهات المباشرة الصادرة للعاملين من المديرين المتجولين من عوامل تحقيق جودة الأداء) انحاز لهذا الرأى ٢٢ بنسبة مئوية ٥٥٪، وكذلك يمكن تتبع بقية عبارات المحور.
- حصلت جميع عبارات المحور على أقل تكرار فى الاستجابة للرأى (لا اوافق بشدة)،حيث يلاحظ فى العبارة (تضمن الإدارة بالتجوال أداء الأعمال فى مواقيتها المحددة وبالمواصفات المطلوبة) لم ينحاز لهذا الرأى أى فرد من أفراد العينة، وكذلك يمكن تتبع بقية عبارات المحور.
- لعل الملاحظ من تحليل بيانات هذا المحور أن معظم استجابات المبحوثين من أفراد العينة تركزت حول الموافقة والموافقة بشدة وفى ذلك مؤشر عن قبول المبحوثين لماجاء فى هذا المحور من عبارات وبالتالي يمكن القول **بأنه توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية بين الإدارة بالتجوال وكفاءة العملية الإدارية.**

عرض ومناقشة نتائج المحور الاول (توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإدارة بالتجوال وكفاءة العملية الإدارية)

جدول رقم (١٠) يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة الاحتمالية لمربع كاى والاتجاه لفقرات المحور الاول :

العبارة	الوسط الحسابى	الانحراف المعيارى	قيمة مربع كاى	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
توفر الإدارة بالتجوال معلومات حقيقية تسهم فى كفاءة التخطيط	٤,٦٨	.٤٧٠	٤,٩٠٠	١	٠,٠٢٧	أوافق بشدة
تعين الإدارة بالتجوال المديرين على اتخاذ قرارات رشيدة تسهم فى تحسين الأداء	٤,٦٠	.٥٥٠	٢١,٦٥٠	٢	٠,٠٠٠	أوافق بشدة
تعالج الإدارة بالتجوال أوجه القصور التى يسببها الاعتماد على التقارير المكتوبة	٤,٥٣	.٧٢٠	٣٧,٤٠٠	٣	٠,٠٠٠	أوافق بشدة
تسهم الإدارة بالتجوال فى تجويد الإداء عن طريق إزالة التضارب وتداخل الاختصاصات ميدانيًا	٤,٥٥	.٦٤٠	٢٠,١٥٠	٢	٠,٠٠٠	أوافق بشدة
تساعد الإدارة بالتجوال على تحسين كفاءة الرقابة الإدارية الأمر الذى يؤدى الى تقليل الانحرافات والأخطاء مما يعزز من فرص إتقان الأداء	٤,٥٣	.٦٨٠	٣٧,٤٠٠	٣	٠,٠٠٠	أوافق بشدة
توفر الإدارة بالتجوال رؤية كلية للادارة العليا عن سير تنفيذ الأنشطة مما يساعد على كفاءة التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة	٤,٤٥	.٦٤٠	١٧,١٥٠	٢	٠,٠٠٠	أوافق بشدة

تمكن الإدارة بالتجوال المديرين من معرفة المهام التى يمكن تفويضها للمرؤوسين بهدف تجويد الأداء	٤,٣٣	.٧٣٠	٢٥,٨٠٠	٣	٠,٠٠٠	أوافق بشدة
تمكن الإدارة بالتجوال من إعادة توزيع المهام والاختصاصات على العاملين حسب ما تقتضيه ظروف العمل الميدانية وهذا يساعد على الحصول على مخرجات ذات جودة عالية	٤,٤٣	.٥٩٠	١٤,٤٥٠	٢	٠,٠٠١	أوافق بشدة
تعتبر التوجيهات المباشرة الصادرة للعاملين من المديرين المتجولين من عوامل تحقيق جودة الأداء	٤,١٥	.٧٧٠	٢٦,٦٠٠	٣	٠,٠٠٠	أوافق
الاتصال المباشر بين المديرين والعاملين والذي توفره الإدارة بالتجوال يسهم في زيادة فاعلية الأداء	٤,٥٨	.٦٨٠	٤٢,٢٠٠	٣	٠,٠٠٠	أوافق بشدة
توفر الإدارة بالتجوال معلومات تساعد على إعادة بناء الهيكل التنظيمي لمواجهة المتغيرات في البيئة الداخلية والخارجية وينعكس ذلك ايجابًا على الأداء	٤,٣٠	.٦٥٠	١٠,٤٠٠	٢	٠,٠٠٦	أوافق بشدة
تضمن الإدارة بالتجوال أداء الأعمال في مواقيتها المحددة وبالمواصفات المطلوبة	٤,٥٣	.٦٠٠	١٦,٨٥٠	٢	٠,٠٠٠	أوافق بشدة

المصدر: إعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه نلاحظ بأن كل القيم الاحتمالية أقل من مستوى المعنوية (٠,٠٥) مما يدل على وجود فروق ذات دلالة احصائية في توزيع استجابات افراد العينة على خيارات الإجابة المختلفة (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة)، أي أن إجابات العينة تتحيز لعبارة دون غيرها، وبالرجوع للأوساط الحسابية فنجدها كما هو مبين فى الجدول اعلاه ويمكننا ملاحظة الاتى:-

- العبارات (توفر الإدارة بالتجوال معلومات حقيقية تسهم في كفاءة التخطيط تعين الإدارة بالتجوال المديرين على اتخاذ قرارات رشيدة تسهم في تحسين الأداء تعالج الإدارة بالتجوال أوجه القصور التى يسببها الاعتماد على التقارير المكتوبة تسهم الإدارة بالتجوال في تجويد الأداء عن طريق إزالة التضارب وتداخل الاختصاصات ميدانيًا، تساعد الإدارة بالتجوال على تحسين كفاءة الرقابة الإدارية الأمر الذى يؤدى الى تقليل الانحرافات والأخطاء مما يعزز من فرص إتقان الأداء، توفر الإدارة بالتجوال رؤية كلية للإدارة العليا عن سير تنفيذ الأنشطة مما يساعد على كفاءة التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة، تمكن الإدارة بالتجوال المديرين من معرفة المهام التي يمكن تفويضها للمرؤوسين بهدف تجويد الأداء، تمكن الإدارة بالتجوال من إعادة توزيع المهام والاختصاصات على العاملين حسب ما تقتضيه ظروف العمل الميدانية وهذا يساعد على الحصول على مخرجات ذات جودة عالية، الاتصال المباشر بين المديرين والعاملين والذى توفره الإدارة بالتجوال يسهم في زيادة فاعلية الأداء، توفر الإدارة بالتجوال معلومات تساعد على إعادة بناء الهيكل التنظيمي لمواجهة المتغيرات في البيئة الداخلية والخارجية وينعكس ذلك ايجابًا على الأداء، تضمن الإدارة بالتجوال أداء الأعمال فى مواقيتها المحددة وبالمواصفات المطلوبة) كانت أوساطها الحسابية تقع في المدى ما بين (٢٠ ,٤ الى ٥) وهو المحدد سلفًا بالموافقة بشدة، أي أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة بشدة.

- العبارة (تعتبر التوجيهات المباشرة الصادرة للعاملين من المديرين المتجولين من عوامل تحقيق جودة الأداء) كان وسطها الحسابي يقع في المدى ما بين (٤٠ ,٣ الى ١٩ ,٤) وهو المحدد سلفًا بالموافقة، أى أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارة كان الموافقة.

- يمكن ملاحظة أن الانحراف المعياري لعبارات هذا المحور تراوح ما بين (٤٧ , ٠ الى ٧٧ , ٠) مما يدل على تجانس إجابات المبحوثين.

مما سبق من تحليل لبيانات هذا المحور يمكن القول أن آراء افراد العينة فيه تراوحت مابين الموافقة والموافقة بشدة.

ولإيجاد الاتجاه العام لمتوسط المحور الاول ككل، فيمكن ملاحظة ذلك من الجدول ادناه.

جدول رقم (١١) يوضح الاتجاه العام لمتوسط محور الدراسة الاول

الوسط الحسابى	الانحراف المعيارى	قيمة مربع كاى	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
٤,٤٧	٠,٣٩	١٨,٤٣٣	١٤	٠,٠١٣	اوافق بشدة

المصدر: إعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه يمكن ملاحظة أن الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (٤٧ , ٤) وهو المحدد سلفًا بالموافقة بشدة، وعليه يمكن تأكيد الفرض القائل **بأنه توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإدارة بالتجوال وكفاءة العملية الإدارية.**

التوزيع التكرارى والنسب المئوية لعبارات المحور الثاني (توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية بين الإدارة بالتجوال وتفعيل دور العاملين في تحسين الأداء)

جدول رقم(١٢)

العبارة	الرأى									
	التكرار					النسبة المئوية ٪				
	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة
توفر الإدارة بالتجوال معايير حقيقية لتحفيز العاملين مما ينمى الإنتماء للعمل وتحسين جودته	٠	١	٣	١٥	٢١	٠	٢,٥	٧,٥	٣٧,٥	٥٢,٥
التعرف على مشاكل العمل وحلها ميدانيا يقوى ولاء العاملين مما يسهم فى تجويد الاداء	٠	١	١	١٤	٢٤	٠	٢,٥	٢,٥	٣٥	٦٠
تمكن الادارة بالتجوال من زيادة معدلات الأداء عن طريق الاستغناء عن الأنشطة والمهام ذات التكلفة العالية والعائد الأقل	٠	٢	٣	١٧	١٨	٠	٥	٧,٥	٤٢,٥	٤٥

تؤدى الإدارة بالتجوال الى كفاءة استخدام الموارد البشرية والمادية	٠	٢	٢	١٤	٢٢	٠	٥	٥	٣٥	٥٥
الجولات الميدانية للمديرين تحقق الرضا الوظيفى مما يرسخ مبدأ الرقابة الذاتية	٠	٢	٢	١٢	٢٤	٠	٥	٥	٣٠	٦٠
الأخذ بآراء ومقترحات العاملين التى يتم الحصول عليها أثناء تجوال المديرين يسهم فى تحسين الأداء	٠	٠	٢	١٤	٢٤	٠	٠	٥	٣٥	٦٠

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه يمكن ملاحظة الآتى:-

- أجاب كل افراد العينة على أسئلة هذا المحور حيث يبلغ حجم العينة (٤٠) وذلك بنسبة مئوية ١٠٠٪.
- حصلت كل عبارات المحور على أعلى تكرار في الاستجابة للرأي (اوافق بشدة) حيث يلاحظ في العبارة (الأخذ بآراء ومقترحات العاملين التي يتم الحصول عليها أثناء تجوال المديرين يسهم

في تحسين الاداء) انحاز لهذا الرأي ٢٤ بنسبة مئوية ٦٠٪، وكذلك يمكن تتبع بقية عبارات المحور.

- حصلت كل عبارات المحور على اقل تكرار في الاستجابة للرأي (لا اوافق بشدة)، حيث يلاحظ في العبارة (تؤدى الادارة بالتجوال الى كفاءة استخدام الموارد البشرية والمادية) لم ينحاز لهذا الرأي أي فرد من افراد العينة، وكذلك يمكن تتبع بقية عبارات المحور.
- لعل الملاحظ من تحليل بيانات هذا المحور ان معظم استجابات المبحوثين من افراد العينة تركزت حول الموافقة والموافقة بشدة، وفى ذلك مؤشر عن قبول المبحوثين لما جاء في هذا المحور من عبارات وبالتالي يمكن القول **بأنه توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الادارة بالتجوال وتفعيل دور العاملين في تحسين الأداء.**

عرض ومناقشة نتائج المحور الثاني (توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية بين الادارة بالتجوال وتفعيل دور العاملين في تحسين الأداء):-

جدول رقم (١٣) يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة الاحتمالية لمربع كاي والاتجاه لفقرات المحور الثاني

العبارة	الوسط الحسابى	الانحراف المعيارى	قيمة مربع كاى	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
توفر الإدارة بالتجوال معايير حقيقية لتحفيز العاملين مما ينمى الإنتماء للعمل وتحسين جودته	٤,٤٠	٧٤٠.	٢٧,٦٠٠	٣	٠,٠٠٠	أوافق بشدة
التعرف على مشاكل العمل وحلها ميدانيًا يقوى ولاء العاملين مما يسهم فى تجويد الأداء	٤,٥٣	.٦٨٠	٣٧,٤٠٠	٣	٠,٠٠٠	أوافق بشدة

تمكن الإدارة بالتجوال من زيادة معدلات الأداء عن طريق الإستغناء عن الأنشطة والمهام ذات التكلفة العالية والعائد الأقل	٤,٢٨	٨٢٠.	٢٢,٦٠٠	٣	٠,٠٠٠	أوافق بشدة
تؤدى الإدارة بالتجوال الى كفاءة استخدام الموارد البشرية والمادية	٤,٤٠	٨١٠.	٢٨,٨٠٠	٣	٠,٠٠٠	أوافق بشدة
الجولات الميدانية للمديرين تحقق الرضا الوظيفى مما يرسخ مبدأ الرقابة الذاتية	٤,٤٥	٨٢٠.	٣٢,٨٠٠	٣	٠,٠٠٠	أوافق بشدة
الأخذ بآراء ومقترحات العاملين التى يتم الحصول عليها أثناء تجوال المديرين يسهم فى تحسين الأداء	٤,٥٥	٦٠٠.	١٨,٢٠٠	٢	٠,٠٠٠	أوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه نلاحظ بأن كل القيم الاحتمالية أقل من مستوى المعنوية (٠,٠٥) مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية فى توزيع استجابات افراد العينة على خيارات الإجابة المختلفة (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة)، أى أن إجابات العينة تتحيز لعبارة دون غيرها، وبالرجوع للأوساط الحسابية فنجدها كما هو مبين في الجدول اعلاه ويمكننا ملاحظة الاتي:-

- جميع عبارات المحور بلا استثناء كانت اوساطها الحسابية تقع فى المدى مابين (٢٠ , ٤ الى ٥) وهو المحدد سلفًا بالموافقة بشدة، أى أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة بشدة.
- يمكن ملاحظة أن الانحراف المعياري لعبارات هذا المحور تراوح ما بين (٦٠ , ٠ الى ٨٢ , ٠) مما يدل على تجانس إجابات المبحوثين.

مما سبق من تحليل لبيانات هذا المحور يمكن القول أن آراء افراد العينة فيه كانت الموافقة بشدة وبالاجماع.

ولايجاد الاتجاه العام لمتوسط المحور الثانى ككل، فيمكن ملاحظة ذلك من الجدول ادناه.

جدول رقم (١٤) يوضح الاتجاه العام لمتوسط محور الدراسة الثانى

الوسط الحسابى	الانحراف المعيارى	قيمة مربع كاى	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
٤,٤٣	٠,٥٤	٣٨,٦٠٠	١١	٠,٠٠٠	اوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه يمكن ملاحظة أن الوسط الحسابي لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (٤٣ , ٤) وهو المحدد سلفا بالموافقة بشدة، وعليه يمكن تأكيد الفرض القائل **بأنه توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإدارة بالتجوال وتفعيل دور العاملين في تحسين الأداء.**

التوزيع التكراري والنسب المئوية لعبارات المحور الثالث (توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإدارة بالتجوال وتحقيق الابداع الإداري):

جدول رقم(١٥)

العبارة	الرأى									
	التكرار					النسبة المئوية ٪				
	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة
تنمى الإدارة بالتجوال القدرات الإبداعية والإبتكارية لدى العاملين الأمر الذى يسهم فى تطوير الأداء	٠	١	١	١٦	٢٢	٠	٢,٥	٢,٥	٤٠	٥٥
تكشف الإدارة بالتجوال عن مجالات التدريب المطلوبة وذلك يسهم فى تحقيق الإداع الإدارى	٠	٠	١	١٧	٢٢	٠	٠	٢,٥	٤٢,٥	٥٥

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه يمكن ملاحظة الآتي: -

- أجاب كل افراد العينة على أسئلة هذا المحور حيث يبلغ حجم العينة (٤٠) وذلك بنسبة مئوية ١٠٠٪.
- انحازت جميع استجابات المبحوثين عن عبارات هذا المحور للموافقة بشدة حيث يلاحظ في العبارة (تنمى الإدارة بالتجوال القدرات الإبداعية والابتكارية لدى العاملين الأمر الذى يسهم في تطوير الأداء) قد حصلت على أعلى تكرار في الرأي (أوافق بشدة) حيث بلغ تكرار هذا الرأي ٢٢،وذلك بنسبة مئوية ٥٥٪ من العينة الكلية، وكذلك يمكن تتبع بقية عبارات الجدول.

- حصلت كل عبارات المحور على أقل تكرار في الاستجابة للرأي (لا أوافق بشدة)، حيث يلاحظ في العبارة (تكشف الإدارة بالتجوال عن مجالات التدريب المطلوبة وذلك يسهم في تحقيق الإبداع الإداري) لم ينحاز لهذا الرأي أي فرد من افراد العينة، وكذلك يمكن تتبع بقية عبارات المحور.

- لعل الملاحظ من تحليل بيانات هذا المحور أن معظم استجابات المبحوثين من افراد العينة تركزت حول الموافقة والموافقة بشدة، وفى ذلك مؤشر عن قبول المبحوثين لما جاء في هذا المحور من عبارات وبالتالي يمكن القول **بأنه توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإدارة بالتجوال وتحقيق الإبداع الإداري.**

عرض ومناقشة نتائج المحور الثالث (توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإدارة بالتجوال وتحقيق الإبداع الإداري)

جدول رقم (١٦) يوضح الوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة الاحتمالية لمربع كاى والاتجاه لفقرات المحور الثالث

العبارة	الوسط الحسابى	الانحراف المعيارى	قيمة مربع كاى	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
تنمى الإدارة بالتجوال القدرات الإبداعية والابتكارية لدى العاملين الأمر الذي يسهم فى تطوير الأداء	٤,٤٨	٠,٦٨	٣٤,٢٠٠	٣	٠,٠٠٠	أوافق بشدة
تكشف الإدارة بالتجوال عن مجالات التدريب المطلوبة وذلك يسهم فى تحقيق الإبداع الإدارى	٤,٥٣	٠,٥٥	١٨,٠٥٠	٢	٠,٠٠٠	أوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه نلاحظ أن كل القيم الاحتمالية أقل من مستوى المعنوية (٠,٠٥) مما يدل على وجود فروق ذات دلالة احصائية فى توزيع استجابات افراد العينة على خيارات الاجابة المختلفة (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة)، أى أن اجابات العينة تتحيز لعبارة دون غيرها، وبالرجوع للاوساط الحسابية فنجدها كما هو مبين فى الجدول اعلاه ويمكننا ملاحظة الاتى:-

- جميع عبارات المحور بلا استثناء كانت اوساطها الحسابية تقع فى المدى مابين (٤,٢٠ الى ٥) وهو المحدد سلفًا بالموافقة بشدة، أى أن الاتجاه العام لآراء المبحوثين عن هذه العبارات كان الموافقة بشدة.
- يمكن ملاحظة أن الانحراف المعيارى لعبارات هذا المحور تراوح مابين (٠,٥٥ الى ٠,٦٨) مما يدل على تجانس إجابات المبحوثين.

مما سبق من تحليل لبيانات هذا المحور يمكن القول أن آراء افراد العينة فيه كانت الموافقة بشدة وبالاجماع.

ولايجاد الاتجاه العام لمتوسط المحور الثالث ككل، فيمكننا ملاحظة ذلك من الجدول ادناه.

جدول رقم (١٧) يوضح الاتجاه العام لمتوسط محور الدراسة الثالث

الوسط الحسابى	الانحراف المعيارى	قيمة مربع كاى	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	الاتجاه
٤,٥٠	٠,٥٣	٢١,٧٥٠	٤	٠,٠٠٠	اوافق بشدة

المصدر: اعداد الباحث (من بيانات الاستبانة – ٢٠١٩)

من الجدول اعلاه يمكن ملاحظة أن الوسط الحسابى لعبارات المحور مجتمعة قد بلغ (٤,٥٠) وهو المحدد سلفًا بالموافقة بشدة، وعليه يمكن تأكيد الفرض القائل **بأنه توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإدارة بالتجوال وتحقيق الإبداع الإداري.**

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج

١. لا تؤدي الرقابة الإدارية المكتبية إلى تحقيق جودة الأداء.

٢. توفر الإدارة بالتجوال معلومات تسهم في رفع كفاءة العملية الإدارية وبالتالي تقود إلى تحقيق جودة الأداء.

٣. تؤدي الإدارة بالتجوال إلى تحسين الأداء عن طريق الاستغلال الأمثل للموارد البشرية والمادية.

٤. تمكن الإدارة بالتجوال من اتخاذ قرارات إدارية رشيدة تسهم في ترقية الأداء.

٥. تساعد الإدارة بالتجوال على وضع سياسات فعالة لتحفيز العاملين مما يشجع على الإبداع والابتكار.

٦. وقوف المديرين ميدانيًا على مشاكل العاملين ومعوقات العمل وايجاد حلول لها يزيد من درجة الرضا الوظيفي الأمر الذي يسهم في تحسين الأداء.

٧. تتيح الإدارة بالتجوال فرصًا لتفويض بعض السلطات للعاملين مما ينمي قدراتهم ومهاراتهم وينعس ذلك إيجابًا على الأداء.

ثانيًا: التوصيات

١. أن تتضمن السياسات واللوائح المنظمة للعمل إلزام المديرين في كل المستويات الإدارية بانتهاج مبدأ الإدارة بالتجوال لتحقيق الأهداف بأعلى كفاءة.

٢. ضرورة وضع خطط واضحة ومحكمة تحدد أهداف جولات المديرين، وطرق ووسائل تنفيذها للحصول على أفضل النتائج.

٣. لنجاح الجولات الإدارية يجب مشاركة العاملين في وضع الخطط وتحديد الأنشطة المطلوبة لتنفيذها.

٤. الاهتمام بمطالب العاملين ووضع معايير تحفيز منصفة لضمان تجاوبهم الفعال مع الجولات الإدارية.

٥. تنفيذ برامج تدريبية بصورة مستمرة للمديرين في مجال الإدارة عامة والإدارة بالتجوال على وجه الخصوص.

٦. قلة الدراسات والبحوث في مجال الإدارة بالتجوال تستوجب التوسع واجراء المزيد من البحوث في هذا المجال.

٧. التعرف على نظريات وتطبيقات الإدارة بالتجوال في أدبيات الإدارة الإسلامية للإستهداء بها في التطبيقات الإدارية المعاصرة.

المراجع والمصادر:

- **القرآن الكريم.**
- **السنة النبوية.**

الكتب:

١. أبو داود سليمان الاشعث، سنن أبي داود، تخريجات وتحقيقات محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ٢٠٠٧م

٢. القرطبى، ج٧، ٢٠٠٢م

٣. علي الصلابي، تاريخ الخلفاء الراشدين « ٢»، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة،٢٠٠٢م،

٤. محسن أحمد الخضيري، الادارة بالتجوال «منهج متكامل لتحقيق الفاعلية الادارية « ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م

٥. محمد العجمي، الإتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية والتنمية البشرية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠

٦. مصطفى يوسف كافي، إدارة الأداء، ط١، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، الأردن- عمان، ٢٠١٦م

المؤتمرات:

١. المنظمة العربية للتنمية الادارية، مؤتمر الجودة الشاملة وبناء القدرات، الشارقة، الأمارات العربية المتحدة، مارس ٢٠٠٩م

المراجع باللغة الانجليزية :

1. Michael Armstrong، performance management، 3rd edition، Thomson- shore, Inc ،USA، P 1

الرسائل الجامعية:

١. إيمان عادل خليل صباح، درجة ممارسة مديري المناطق التعليمية للإدارة بالتجوال في مدارس وكالة الغوث الدولية وسبل تفعيلها، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠١٢م

٢. أمل محمد العبيدي، أثر ممارسة الإدارة بالتجوال على فاعلية عملية اتخاذ القرارات، رسالة ماجستير منشورة، مجلة كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة البصرة، ع ١١، ٢٠١٣م

٣. رضا المواضيه، درجة ممارسة الإدارة بالتجوال وأثرها علي تنمية كفاءة معلمي رياض الاطفال مهنيًا في محافظة الكرك في المملكة الأردنية الهاشمية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، ع٧، اكتوبر ٢٠١٤م

٤. سراج الدين عبد الرحيم عثمان بدري، الإدارة بالتجوال ودورها في الالتزام التنظيمي رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة افريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠١٨م

الإنترنت:

1- www.ar.islamway.net

٢- الجودة فى الاسلام، www. Hrdiscussion.com

القصة القصيرة عند الاديب الأفريقي

نجوجي واثيونجو (جيمس نجوجي)....وأوبي ب. إجبونا نموذجا

بقلم:أ. على محمود العبادي

باحث متخصص في الادب الأفريقي

القصة القصيرة هي فن التركيز فهي لا تحتاج الى أكثر من شخصية أو اثنتين في موقف واحد في لحظة واحدة.

ومع ذلك قد يتفرغ الموقف فيصير بضعة مواقف، وقد تمتد اللحظة فتصبح أياما أو شهورا أو سنينا. ومهما تمادى التفرغ والامتداد فلابد من تلك العصا السحرية التي تشبه عصا المايسترو، وهى العصا التي تمكن كاتب القصة القصيرة من التحكم في الشخصية والموقف واللحظة بحيث لا تنشز أو تصيب بنية القصة بالخلل. وهذا ما يدركه الكاتب الموهوب عن طريق الممارسة، حين يصل الى ذلك التوازن الدقيق بين ذاته وموضوعه.

فالقصة القصيرة أشبه بالقصيدة الغنائية التي يبثها الشاعر نجواه، ولكنها أيضا اشبه بالمقالة البحثية التي يراعى فيها الكاتب موضوعية التناول، ودقة التعبير، أما فهم الكاتب لنفسه ووضعه فلا يتحقق الا من الممارسة الطويلة نسبيا.

يقول الكاتب الكينى نجوجى واثيونجو عن مجموعته القصصية «ألوان من الياة السرية» Secret Lives عام ١٩٧٥م:

«تشكل قصص هذه المجموعة سيرتي الذاتية الابداعية على امتداد السنوات الاثنتي عشرة الاخيرة، وتتناول الأفكار والأمزجة التي كان لها تأثير على خلال تلك الفترة: فكتابتي في الحقيقة ليست سوى محاولة لفهم نفسى ووضعي في المجتمع وفى التاريخ»

وقد لعبت المجلات أمثال مجلة الوضوحclaridade، مجلة الوجود الأفريقي Presence Africaine، مجلة الطلبة the Drum، مجلة أورفيوس الاسود Black Orpheus، مجلة الانتقال Transition، مجلة أوكيياميOkyeame، دور الحاضنة التي نمت بها القصة القصيرة.

وعلى الرغم من تفوق الرواية والشعر في الابداع عن القصة، لكن يظل التمييز للقصة من خلال الاعمال التي قدمت بداية من المجموعة القصصية-العهد الاسود Black Testament لبيتر أبراهامز عام ١٩٤٢ حتى وقتنا الحاضر.

وسوف يتناول البحث قصة قصيره للكاتب الكينى نجوجي واثيونجو (جيمس نجوجي)

نجوجي واثيونجو (جيمس نجوجي)

يعد نجوجي واحدًا من أهم كتاب افريقيا المعاصرين ولد في ليمور وبكينيا عام١٩٣٨، وبدأ يمارس أعماله الجادة في أثناء دراسته الجامعية (كلية ماكريري الجامعية بأوغندا، ثم جامعة ليدز فيما بعد).

كتب نجوجي المسرحية والرواية والقصة القصير، كما كتب في السياسة والثقافة والأدب، وتدور معظم أعماله حول الصراع القبلي والعرقي والماسي الناجمة عن هذا الصراع، وبدأت رواياته في الظهور عقب وقت قصير من تخرجه.

ومن أعماله الروائية الشهيرة: لا تبك يل طفل (١٩٦٤) والنهر الوسيط (١٩٦٥) وحبه قمح (١٩٦٧) ومن أعماله الدرامية: الناسك الاسود التي نشرت عام١٩٦٨ وفي عام١٩٧٣ صدر له العودة إلي الوطن، وهو مجلد ضخم يضم مقالات نقدية في الأدب والثقافة والسياسة والأدب في جزر الهند الغربية، وفي منتصف سبعينيات القرن الماضي شغل منصب رئيس قسم الأدب بجامعة نيروبي، وكان قد قام بتدريس الإنجليزية في كلية ماكريري وجامعة نورث ويسترون بالولايات المتحدة الأمريكية.

قصة قصيرة للكاتب؛ شجرة التين والزوجة الخامسة

للكاتب الكيني نجوجي أو اثيونجو (جيمس نجوجي) ترجمة محمد عبد الواحد

تلك هي شجرة تين جرداء، في عظمة تتشابك، جزعها يتضاءل حتى يكاد يختفي وهي بالزهر متيمة.

إذ تتعري في لحمتها على نحو الازدهار بشي، ومنها ألوان الحياة تنطلق.

كان ثمة زهرة من داخلها اينعت، وفي باطن الرحم ازدهرت، والآن ثمة رحمة مكتمل، في شكله يشبه الزهرة.

د.هـ لورانس

وقفت موكامي بالباب، وفي تثاقل أدارت رأسها وراحت تنظر ناحية الموقد، وانتابها التردد للحظة قصيرة.. فلقد بدت النار الخامدة والمقعدة الصغيرة بجوار الموقد وكأنهما يدعوانها للعودة. لا.. لقد استقر رأيها، لابد من أن تمضي وفي ثوب خارجي زيتي اللون أملس شد إحكام حول رأسها، ولولاه لكان الراس حاسرًا، ثم انساب فوق كتفيها النحيلتين الضيقتين، اندفعت نحو الظلام الموحش المخيف.

كل شيء كان هادئًا، والهواء يغمره من السحر، وإن أحست أنه يهددها، وانتابها الفزع من اتساع رقعة الظلام الموحش العنيف الذي لفها في سرابيله، وبسرعة تحركت عبر الفناء الذي تألفه تمامًا، وهي تخشي أن يصدر عنها أدني صوت ، وبدا الفناء وأكواخ ضراتها الأربع وظل كوخ زوجها بل وحتي كوخها جميعًا قد انضمت لتترنم معا وفي آن واحد وفي صمت، بلعنة أبدية علي ما تنوي القيام به ، وفي ذلك الصمت المتسم بالازدراء الممزوج بالرثاء توسلت إليها هذه الأكواخ وكأنها تقول:» إنك تهجرين رجلك.. عودي أدراجك!».

لكنها عبرت الفناء في إصرار، واتخذت طريقًا يفضي بها إلى البوابة اليسرى، وببطء فتحتها ثم أغلقتها ووقفت برهة، أدركت خلالها هي تغلق هذه البوابة أنها تسدل ستارًا علي جانب من جوانب حياتها.

وكانت دموعها على وشك أن تنهمر وهي تدير ظهرها بقلب مثقل بالحزن لمنزلها الشرعي.. وبدأت تتحرك.

وسالت نفسها.. تري إلى اين تذهب؟ لكنها لم تكن تدري ولم تكن تهتم كثيرًا بذلك، كل ما كانت تبتغيه هو أن تهرب وأن تمضي فلتمض إذن، ولتذهب إلى أي مكان.. لتذهب إلى ارض ماساي أو إلى كامباني، كانت تريد الابتعاد عن الموقد والفناء والأكواخ والناس.

الابتعاد عن كل ما يذكرها بمرتفع موهوريني وكل سكانه، سوف تمضي ولن تعود إليه.. إلي زوجه.. لا.. إنه ليس زوجها، بل هو الرجل الذي اراد قتلها، والذي كان يود تحطيم روحها، إنه لم يعد زوجها بعد، ولو أنه هو الرجل نفسه الذي كانت شديدة الإعجاب به.

كيف تأتي لها أن تمقته؟

وتدفقت علي راسها أفكار، تدور حول وكأنها طوفان عارم، وعادت إلي ذاكرتها صور حياتها الزوجية القصيرة مع موثرجا.. زوجها.. الرجل العصامي صاحب الزوجات الأربع وما أشيع عن غلظة معاملته لهن، وإحجام أبيها عن أن يزوجها له، ورفضها بعناد أن تصغي السمع إلي اعتراضاته، ذلك أن موثوجا كان قد فتن لبها تمامًا فاستبدت بها الرغبة فيه، وتاقت نفسها إلي الانضمام إلي حاشيته.. زوجاته وأبنائه، والحقيقة أنها منذ تفتحت عيناها على الحياة وهي تكن في الخفاء وبإصرار، إعجابًا شديدًا بهذه الرجل.. بخطوه.. برقصه.. وفوق ذلك بصوته الجهير ومظهره الرياضي كل ما يحيط به كان يوحي بالغموض والقوة، وكانت فترة الخطبة قصيرة وغريبة.

فهي مازالت تتذكر خفقات قلبها وبسمتها العريضة وترددها في قبول عقد من اصداف المحار عربونا للزواج، ثم احتساء الجعة وتقديم الصداق المعتاد عقب قبول العقد.

غير أن الناس لم يصدقوا ذلك، ونظر إليها بسخط واستياء كثير من المحاربين الشبان ممن تجاهلت عروضهم للزواج، كانوا يتحسرون قائلين» أيضحي بمثل هذا الشباب والجمال من أجل رجل مسن»؟ وساد اعتقاد بين أكثر من شاب بأنها وقعت اسيرة سحره.

وراحوا يتهامسون بذلك فيما بينهم، والحقيقة أنها كانت كذلك، فقد انجذب قلبها كلية نحو هذا الرجل.

ولم يكن يوم أن حملت إلي كوخه بأقل إثارة في نفسها وانطباعا في ذاكرتها عن غير ذلك من أحداث، وكان كوخًا جديدًا شيد خاصة من أجلها فلقد كانت في طريقها إلي المزرعة، وإذا بثلاثة رجال انشقت عنهم الأرض فيما يبدو يدنون منها فجأة إنها لم تدر من أين جاءوا، ثم أدركت الأمر لقد كانوا قادمين من أجلها، وكان ينبغي عليها أن تكون واعية بذلك من قبل وأن تعد نفسها لهذا الحدث، فلقد حل يوم عرسها، وبشدة رفعها الرجال الثلاثة من فوق الأرض.

وللحظات انتابها في الواقع خوف، وتهيأت للدخول في صراع حقيقي لتتخلص من قبضات أيدي الرجال الثلاثة المحكمة والرقيقة في آن واحد، وكانوا يحملونها فوق أكتافهم، الرجال! آه.. أولئك الرجال!

إنهم لم يهتموا كلية بصراخها المهتاج وتجاسر أدهم وقرصها في وقاحة قائلاً لاحد زميليه بلا اكتراث» فقط لكي تهدأ» وصدمتها القرصة بطريقة غريبة، طريقة غريبة لكنها ممتعة للغاية، وكفت عن صراخها، وأدركت لتوها أنها محمولة علي الأكتاف فوق عيدان من الذرة الناعمة المليئة بالحبوب، والتي كانت تدغدغ قدميها وجنبيها...

والرجال يمضون بها، وأحست بسعادة حقيقية، غير أنها أدركت فجأة أنه يتحتم عليها أن تولول طوال الطريق إلي بيت زوجها، وأن تواصل هذه الولولة أسبوعًا بكامله.

وتذكرت الموسم الأول.. فيه فاض عليها حبه وغمرها برعايته. وبسبب شبابها صارت هدفًا لحسد وبغض غيرها من الزوجات الأخريات وسرعان ما نشأ بينها وبينهن نفور شديد يا لهؤلاء النسوة! لماذا لم يدعنها تستمتع بما استمتعن به سنوات... بحبه؟ إنها مازالت تتذكر كيف أن واحدة منهن وهي أكبرهن سنًا تعرضت للضرب حين رفضت السماح لها بالحصول علي وقود من كوخها، وكان هذا إيذانا بالكف عن المشاجرات والعراك

والتصرفات العدائية، وأصبح الصراع بعد ذلك يدور في صمت، وصارت موكامي صلبة في مواجهتهن، ولم تعد تأبه لوقاحتهن وتجاهلهن لها وهو ما جاهدن في أن يشارك فيه أهالي القرية بكاملها، وكانت تحدث نفسها، لماذا تأبه لذلك؟.. ألم يتحقق لها حلمها وطموحها وأمل حياتها بل وكل شيء في هذا الرجل؟

ومضي موسمان بل وثلاثة مواسم ثم بدأت الدنيا من حولها تتبدل، إذ أنها لم ترزق بعد بطفل.

ثاتا!.. امرأة عاقر!

لا طفل حتى الآن يربط ما بينها وبينه من أواصر

لا طفل تشغف به حبًا، تعانقه وتعنقه.

لا طفل يخلد ذكري الأرواح الراحلة

أرواح أسلاف رجلها وأرحام أبيها

لقد انهزمت وأدركت هي ذلك كما أدركته الأخريات، وكن يتهامسن ويبتسمن. آه، كما آلمتها ابتساماتهن، بما تحمل من وقاحة وخيلاء، بيد أنه لم يكن ثمة ما تخشاه، فليشعرن كما شئن بالظفر، فما زالت تستحوذ علي رجلها.

لكن الرجل بدأ يتبدل دون سابق إنذار، ومع الأيام هجرها تمامًا وهجر كوخها وأكثر من التزام كوخه هو وأحست بالمرارة، وراحت تلح في طلبه وانفطر قلبها أسي عليه، لكنها لم تظفر به، فقد ارتدت إلي موثوجا المحارب الفلاح الراقص قساوة قلبه المعهودة تلك التي كانت قد خففت هي حدتها فترة من زمن، وبدأ يضربها فقد شاهدها مرة تتشاجر مع كبري الزوجات فوجد في ضربها متنفسا لكل غضبه المختزن واستيائه وإحباطاته. آه الضرب، والجمع الذي شاهد هذا الضرب ولم يقدم عونًا قط! وكان هذا مقدمة لذلك التنكيل والشقاء اللذين كان أن يفضيا بها إلى الموت في ذلك الصباح نفسه، فقد زارها في

وقت مبكر وانهال عليها ضربًا دونما إنذار أو توضيح للسبب.

وكان الضرب مبرحًا بحيث تركها على شفا حفرة من الموت، لم تصرخ.. فقد رضيت بنصيبها، وبينما كانت علي الأرض راقدة تظن أنها النهاية، تبين لها أن الأخريات ربما كن يعانين كثيرًا بسببها.

أجل.. لقد أتيح لها أن تراهن وهن يتعرضن للضرب ويصرخن التماسا للرحمة بيد أنها جاهدت بإصرار ألا يؤدي مثل هذا الضرب وهذه الهواجس إلى إخضاع إرادتها، يجب أن تنتصر وأن تفوز.

وبهذا اليقين وإدراك الأمور حولها استقر رأيها سريعًا على ما اعتزمته، فليست هذه الدار مكانًا تعيش فيه، وهي لا تستطيع العودة إلي موطنها لتواجه مرة أخري أباها العزيز المسن الحذر دوما، إنها لا تستطيع تحمل هذا الخزي.

وردها نسيم الليل البارد عن شرودها، وانسابت علي وجنتيها دموع طال احتباسها وهي تسرع هابطة في ذلك الممر الذي يتلوى داخل الدغل منحدرًا إلي الوادي ومخترقًا الغابة، وكان الظلام كثيفًا، فشق عليها أن تجد طريقها خلال متاهة الاشواك والأحراش، ولكن..

أيتعاطف معها ذلك الجدول الدموع وهذا الشجر الساكن الذي يحيط بها، أم أن كل هذا يشارك القرية في شجبها الصامت لفعلتها هذه؟

وسارت مع الجدول، ثم عبرته عند بقعة هي أكثر بقاعة انخفاضًا حيث كان ثمة حجران أو ثلاثة أحجار تمكنت من أن تخطو فوقها، وكانت ما تزال شديدة الإحساس بالمرارة وبالحزن إلي درجة أنها لم تلحظ الأخطار المحدقة بها، أليس هذا هو المكان الذي يلقي فيه بالموتى، حيث ترفرف أرواحهم في الهواء وتمتزج بالأشجار وتتحرش بالغرباء والدخلاء؟. ونقمت على الدنيا وعلى زوجها بل على نفسها.. أو يمكن أن تكون مخطئة طوال هذا الوقت؟ وهل هذا هو الثمن الذي يجب أن تدفعه بسبب تشبثها في أنانية بهذا الرجل؟

ولكنها أيضًا ضحت بشبابها وجمالها من أجله، وازداد انهمار الدموع واشتدت اللوعة.

أواه يا أرواح الموتى.. تعالي إلي!

أواه يا مورونجو، يارب جيكوبو ورب مومبي،

يا من تسكن كرينياجا العالية، مع ذلك أنت في كل مكان.

لم لا تخلصني من الشقاء؟

يا أمي الأرض العزيزة، لم لا تنشقين وتبتلعينني

تمامًا كما ابتلعت جومبا- جومبا الذي

اختفي تحت جذور الميكونجي؟

واستغاثت بأرواح الأحياء والموتى ترجوها أن تأتي وتحملها إلى مكان بعيد حيث لا يراها ثانية وإلي الأبد أحد علي الإطلاق.

وفجأة سمعت صوتًا بعيدًا حزينًا، صوتًا مثيرًا للشجن، ولكنه صوت حقيقي، كما لو أنه كان استجابة لتوسلاتها، وبدأت الريح تهب بعنف، واختفي آخر نجم، وهو النجم الذي كان يسري عنها بغرابة شديدة، وكانت وحيدة وسط ظلمة الغابة ، ومسها شيء ما بارد لا روح فيه ولا حياة فوثبت، وأخيرًا فعلت ما لم يفلح الضرب في أن يؤديه معها.. فقد صرخت، وتجاوبت الغابة جميعها مع صدي صراخها، وتملكها رعب قاتل، وارتعد الجسد كله، ثم أدركت أنها لم تكن وحيدة، كانت تشاهد هنا وهناك ألف عين تتوهج توهجًا متقطعًا علي طول جدول الماء ، كما شعرت بأيد كثيرة خفية تدفعا إلي الأمام وإلي الخلف، غير ان المشهد ووعيها فجأة أنها وحيدة في ارض الأشباح وبعيدة عن بيتها أصاباتها برعدة، لقد فقدت القدرة علي الإحساس أو التفكير أو حتي البكاء.. كان هذا قدرها.. فهي إرادة مورنجو، ورويدا رويدًا أخذت تتهاوي على الأرض، حيث خار آخر ما تبقي لها من قوة في جسدها، وكانت هذه هي النهاية.. ذروة أحلامها وطموحاتها، بيد أن الأمر كان مثيرًا

للسخرية تمامًا إنا لم تكن تريد حقًا أن تموت فالحياة جميلة، وهي لم تكن تطمح في شيء سوى أن تتاح لها الفرصة لتبدأ الحياة من جديد، حياة بذلك والعطاء، وليست تلك الحياة التي تقوم على الأخذ فحسب.

لم يكن لتعاستها حد، ذلك أنها حين أرتمت بجسدها علي الأرض، بل وعندما تردد في الأفق صياح بوم وزئير ضبع من بعيد، اشتد هبوب الريح، وعلا الصوت الحزين وازداد اقترابًا، وبدأ هطول المطر، وبدت الأرض من تحتها وكأنها تتصدع وتنفلق.

لكن عندما أبرقت السماء وقصف الرعد، لمحت شجرة عن بعد، وكانت الشجرة ضخمة، ولمحت مع ذلك الدغل وهو ينحني في رقة ولكن في إجلال حول الجذع كله، وعرفت.. أدركت دون أن ينبئها أحد أن هذه هي الشجرة، شجرة التين المقدسة والتي يسمونها موكويو- مذبح مورونجو البصير بكل شيء وقالت» هنا أخيرًا موقع الحرم المقدس».

ونهضت تركض تتحدي المطر والرعد والاشباح، وتواري الزوج وتواري معه أهالي مرتفع موهروييني، تلاشت صورهم واختفت بلا اهتمام ولا مبالاة، وبدأ وكأن الحمل الذي يثقل علي قلبها قد انزاح عنها وهي تركض داخل الدغل الشوكي وتصطدم بالأشجار فتهوي علي الأرض ثم تنهض، وذهب عنها إحساسها بالعجز، وتبدد قلقها، وكان هدفها الوحيد هو أن تصل إلي شجرة التين، إنها مسألة حياة أو موت... معركة من أجل الحياة، فهناك تحت شجرة التين ستجد الملاذ والطمأنينة هناك ستلتقي بإليهها مورونجو.. رب قبيلتها.

ومن أجل هذا راحت تركض رغم ما اصابها من هزال، وقد أحست بتوهج ممتع ولذيذ يسري في حناياها ويتراقص مع رحمها، إنها الآن قريبة من موضع الحرم المقدس، من مذبح أعلي العليين ، موضع الخلاص، وهكذا راحت تركض تجاه المذبح، لا إنها لم تكن تركض، بل إنها تطير، أو إن روحها علي الأقل هي التي تطير، لقد شعرت أنها خفيفة، كأنها ريشة

تدفعها الريح، وأخيرًا بلغت البقعة التي تريد لاهثة مبهورة الأنفاس.

واستمر المطر يهطل، لكنها لم تكن تدري أو تحس بشيء، فقد رقدت وغلبها النوم تحت أذرع شجرة الإله الحانية، وسيطرة عليها السحر مرة أخري.

وصحت موكامي من نومهاوجله، ما هذا. لا أحد هنا؟ لا شك أنها كانت مومبي التي تقف إلي جوار زوجها جيكويو هي التي مستها مسة رقيق نفذت داخل جسدها مباشرة، لا، لابد من أنها كانت تحلم، ولكن يا له من حلم جميل وغريب!.. وكات مومبي قد قالت « أنني أم القبيلة» وتلفتت موكامي حواليها، وكان الجو باردًا مظلمًا، وهناك... كانت الشجرة العتيقة قوية فتية.. كم من الأسرار لابد من أنك تحتفظين بها؟

« ينبغي أن أعود إلى البيت، أعود إلى زوجي وقبيلتي»

موكامي التي تفوهت بهذا كانت امرأة جديدة وديعة، ولكنها كانت مفعمة بالأمل، ثم استغرقت في النوع ثانية.. إنه السحر.

كانت الشمس ترتفع في المشرق وخيوط الضوء الغامرة التي تميل للاصفرار وتتخلل الغابة، تنفذ إلي حيث كانت موكامي تجلس متكئة علي الشجرة، وعندما مست بشرتها خيوط الضوء الشاردة، انتابها إحساس بهيج، إحساس سري في كل جسدها، فجري الدم في عروقها ، واه واه... لقد شعرت بدفء.. دفء شديد وبسعادة وبهجة وتراقصت روحها، واستجاب لذلك رحمها.. ثم أدركت أنها حبلي... لقد كانت حبلي منذو فترة من الزمن.

وحين نهضت موكامي واقفة تتهيأ للعودة، حملقت في الفضاء بعينين غائمتين، وقد انحدرت علي وجنتيها دموع امتنان وخشوع عميقين، وتطلعت عيناها إلي ما وراء الغابة إلي ما وراء جدول الماء، كما لو أنهما تشاهدان شيئًا ما.. شيئًا يخبئه المستقبل البعيد، وأبصرت أهل مورهوريوني، ورأت ضراتها ورجلها... رأته فتيًا قويًا يقف بينهن، ذاك هو مكانها الصحيح، هناك بجوار زوجها ووسط الزوجات الأخريات، يجب أن يتماسكن ويساندن

القبيلة، ويمنحنها حياة جديدة.

ومن مكان بعيدة خارت بقرة، فنفضت موكامي عنها أحلام اليقظة.

« يجب أن أمضي».. وبدأت تتحرك وما زالت شجرة التين منتصبة في صمت.. ضخمة.. يكتنفها الغموض.

يعرج بنا الكاتب الى أعماق بطلة قصته، فهي إحدى زوجات لرجل واحد ولكنه هجر كوخها وقد طال انتظارها له بسبب انها أمراه عاقر لاتلد.

فهي تتذكر بداية قصة حبها له وكيف تمت مراسم الزواج، ثم نظرة النساء لها وهن يتهامسون، فلم تجد بدا الا الوصول الى شجرة التين التي يرقد بقربها رب قبيلتها مورونجو.

فقد تمكن كتابنا من وصف خلجات بطلة القصة، وغاص في أعماقها، وعالج موضوع ليس في المجتمعات الافريقية بحسب ولكن فى كثير من المجتمعات الشرقية، هي الرغبة في الذرية، ومعاناة المرأة العاقر التي ينتهي الامر بها الى بيت ربها.

ويفاجئنا الكاتب في نهاية القصة أن موكامى قد غلبها النوم أسفل شجرة التين وكانت تغض في نوم عميق وعليها العودة لكوخها لتساند زوجها وقبيلتها وهنا تظهر فكره الانتماء والولاء للجماعة والتفاني في تقديم التضحية من أجل بقاء الجميع.

القصة تحوي شخصية واحده وهي موكامى المحور الرئيسي كما تملك الكثير من القدرة على الوصف والمعالجة.

أوبي ب. إجبونا

كاتب نيجيري عمل صحفيا في بريطانيا، وأدار في منتصف سبعينيات القرن الماضي الحلقة الدراسية للكتاب فى اينوجو بغرب نيجيريا. وقد أذاعت له الاذاعة البريطانية قصة امبراطور البحر، وقدم له التلفزيون عملا دراميا من روايته (الريح ضد تعدد الزوجات). ومن أعماله كذلك..... ابنة الوزير

لا يمكن للأنهار ان تتكلم

قصة (للكاتب النيجيري أوبي ب. إجبونا) ترجمة محمد عبد الواحد

رحت أرقب العذراء الشابة وهي تستحم في النهر حتى ترقرق الدمع في عيني. فقد كانت أجمل امرأة رأيتها في حياتي. وكنت جالسا فوق قنطرة من خيرزان أعرض جسدي لأشعة الشمس بعد سباحة قمت بها. وفي كل مرة تنحني المرأة لترش ماء على جسدها، تئن الريح بين الشجر، ويتغضن سطح النهر فيما يشبه ابتسامة تتسع لتصير موجات لابتسامات مرحة، ثم تتلاشي بعيدا. وغمغمت وأنا أتنهد.. آه.. لو أمكن للأنهار فقط ان تتكلم. ربما هي تفعل ذلك، لكنه خطأ الانسان الذي لا يتعلم لغتها. ومع ذلك فهي تخرخر في أثناء تدفقها، تطلق نحو الرياح، وتفقد حدتها في كل مرة ترتطم بالشط أو بصخرة شوهاء تعترض طريقها. إنه لأمر طريف عندما تفكر في ذلك. فالإنسان في بحثه عن الحكمة وعن المفتاح الذي يفض به مغاليق الحياة قد تعلم لغة كل شيء يزحف على ظهر الارض او يطير في السماء. لكنه يجهل لغة مصدر الحياة نفسها، أعني لغة البحر. ربما حاول البحر ان يقول للإنسان شيئا منذ فجر الزمن، ولو تأنى للإنسان ان يوقف من سرعة الزمن كي يصغى السمع، فلربما عثر على سر أبدية البحر، وحكمة همسه، وقوة هديره، وجمال موسيقاه، وانضباط قاعه.

لو أمكن للأنهار ان تتكلم فحسب، فسيكون لدى هذا النهر يقينا الكثير مما يمكن ان يبوح به. فكل انسان في قريتنا يأتي هنا ليستحم أو ليسبح، ويجئ لمجرد الثرثرة والنميمة، ويحدث ذلك مرة كل يوم على الاقل، ترى ماذا رآه النهر ولابد عبر السنين، حيث تولد أجيال جديدة واجيال قديمة تمضي؟ لقد رأي كل شامة وتحسس كل فلقة في جسد كل رجل وامرأة فيما بين هذه التلال السبعة. لقد عانق أشد العذارى عذرية ومارس معهن الجنس، ولابد من أنه كان يقهقه ضاحكا وهن ينصرفن عنه ومازلن يعتقدن أنهن عذارى. لقد منح الدميمة جمالا، ومحا إثم الازواج غير الاوفياء وكذلك الزوجات، وروى عطش لصوص الليل، واستقبل سلعا مسروقة، وأزال بقع دم من أسلحة القتل. لقد طهر ألسنة الكذابين،

وندى شفاه الغدارين، وهدأ من ثائرة المحاربين العابرين، وشاهد الشبان يتزوجون ويتقدم بهم العمر، وبإمكانه ان يحكي متى كانوا يجيئرن لحمام الصباح بطابعه الاجنبي الذي لا يبيح لأحد ان يتجاوز مرفق اليدين. إنه قدر كبير من أسرار تحملها الصدور وتكتمها. ومع ذلك ربما كان من الافضل لو ان الانهار أطبقت فمها وصمتت، ولكن لو حدث وتكلمت لكان بإمكانها ان تتسبب في نشوب حرب عند مطلع كل فجر.

لكن اليوم، ليس هناك حرب او اشاعات عن حرب. فهناك تحت.. وبجوار النهر حيث اجلس، كانت الحياة كلها أغنية، فالشمس تصب خضرة على أوراق الشجر، وتغمر المناظر الطبيعية حولى بموجات من الضوء والحرارة.

واستمرت العذراء الشابة ترش الماء فوق جسدها البديع، وظلت الريح في الأعالي تضحك في خفوت، كما بقي النهر مبتسما حتى كادت الامواج تتلاشى، بينما ظلت دموعي تنساب من عيني وانا احدق صامتا في جمال جسد العذراء العارية.

وفجأة سمعت صوتا ورائي يقول « جميلة هي... أليس كذلك؟»

انتفضت والتفت ورائي، فإذا برجل مسن يقف خلفي وقد وهن جسده مع تقدم عمره. لكني أدركت ان مظهره كان ولابد أنيقا في فترة شبابه. وكان جلد الاسد الذي يرتديه مازال يبدو عليه رائعا، ينغرس في جسده وكأنه سلك مشدود بأحكام فيبرز عضلات عجيزته، كما لو كان مصارعا يتباهى بعرض عضلاته مع صوت الطبول قبل بداية المصارعة.

وحين لاحظ العجوز خجلي لم يمهلني حتى أكلمه، إذ جلس بجواري على القنطرة الخيرزان، وأبان بابتسامة له عن اسنانه، فبدت سناه الاماميتان بنيتين من أثر التدخين. لكن ابتسامة كانت ودودة وأبوية. وتفل في النهر ثم أشعل غليونه.

«جميلة.. هه؟». وكرر السؤال وغمز بعينه ناحية العذراء العارية في النهر، وكان صوته خشنا أخشن، شبيها بالصوت الذي يصدر عادة عن مص عود من قصب السكر، وتفوح من أنفاسه رائحة نبيذ البلح.

وأجبت « نعم يا مازي «. ولقب مازي ورد لساني بطريقة طبيعية، ذلك رغم اني لم اكن اعرفه أو أعرف اسمه، فقد خمنت ان الرجل ربما كان رئيسا ويحمل هذا اللقب، وهو لقب شرف، أو هكذا ينبغي ان يكون وهو في سنه تلك.

وسأل ثانية وهو لا يزال يحدق في وجهي بابتسامته المفعمة بالدخان « إنها تفتنك.. هه؟».

وأجبت دون ان ادري ما اذا كان ولابد وان أبادله الابتسامة او لا « نعم يا مازي.. انها.. تسحر لبي».

وهرش ذقنه بطريقة كان من الواضح انها لم تكن تسبب له حكة. ثم ابتسم بخبث وقال « هذه علامة تنذر بالخطر يا بني. ولو كنت مكانك لوجب على ان انتبه الى هذه العلامة».

«أي علامة خطر تلك يا مازي؟».

لم يجب في الحال، إذ سحب نفسا من غليونه، وأطلق الى الهواء دوامة من دخان بني اللون، ثم قال وهو يومئ برأسه الى المرأة الشابة» أترى هذه العذراء؟... إنها جميلة كما ينبغي الجمال ان يكون.

في كل مرة تتطلع اليها يمتلئ جسدك رغبة، كل استدارة في جسدها تغريك بالدنو منها وإغراق رجولتك فيها حتى النخاع. خذها مني نصيحة يا فتى.. من الافضل ان تنصرف وتمضي الى بيتك، وتغرس أسنانك في كبد عنزة، لأن هذه الغادة لو تملكتك وأغرقتك في دفء جسدها، ضاعت حريتك الى الابد. إنهن يشبهن الملائكة، ومذاقهن كعسل النحل. لكن لدى كل واحدة منهن ساحرة بين فخذيها».

وتفل العجوز في النهر، وراح يراقب سطح الماء وهو يتغضن في عبوس ويمتد في موجات الى ان تمتزج دوائر هذه الموجات الغاضبة بتلك الموجات المرحة التي تولدت في نفس المكان الذي غطست فيه ثانية الغادة العارية.

وكانت القنطرة التي نجلس عليها تقع تحت ظل تكون بين نخلتين. وكانت الريح تعزف على مزمارها برقة بين اوراق الاشجار المتشابكة فوقنا، وتحرك في قاع الوادي شذا زهرات تمرهند مخملي يهب من هناك ويهبط علينا لينتشر في المكان من أجلنا. ومازالت تعليقات رفيقي العجوز تتلاعب بعقلي. ووجدت انه من الصعب تصديق ان لزهرة الانوثة الجميلة هذه ساحرة تقبع في أية بقعة في جسدها.

وسألته « لم تسخر من النساء يا مازي على هذا النحو؟».

فقال « اسمح لي ان أقص عليك حكاية يا صديقي الشاب».

وتمخط الرجل ومسح شفته العليا بظاهر يده، ثم شرع يروي حكايته « ما سأرويه لك يا صديقي حقيقي كحقيقة وجودك ووجودي هنا سويا.

وقد وقع منذ عهد ليس موغلا في البعد. لن اقول إنه كان قبل مولدك تماما، كما ان ما مضي عليه من سنين، ليس اكثر عددا من أصابع يديك وقدميك.

ففي أرض تنأى عن هذا المكان وتتجاوز منبع هذا النهر تماما، توجد قرية اسمها ندينه – تشوكوو، ومعنى هذا الاسم، حجرة نوم السبب. لقد كانت قرية صغيرة فحسب على سفح تل، لكنها صارت شهيرة في كل أرجاء العالم. أما ما أضفي عليها هذا الصيت، فهو جمال عذراواتها. تلك أيام مضت، حين كان الجميل وليس القوي هو ما يعتد به في الحياة، وحين لم يكن القوي قد صار جميلا، ولا الجميل بدون قوة صار دميما وقبيحا. يا الله! كم تبدلت الأمور!

« وبهذا اتسعت الشهرة، ولم يتمكن أي ركن من أركان الدنيا ان يفاخر بأن نساءه لهن نصف طلاوة نساء هذه البقعة الضئيلة للقرية القابعة على سفح التل. بل ان اشاعة حول الالهة سرت، تقول انها كثيرا ما تهبط من السماوات متنكرة في صورة بشر، وتجوب القرية في الليالي المقمرة لتغذي البصر بجمال الفتيات الخالد، ولتغازل أفضل من في سرب الحسان، الى ان يحين الوقت الذي تهرع فيه عائدة الى الجبال السماوية عند صياح أول ديك. ومن هنا

كان اسم ندينه – تشوكوو– غرفة نوم الرب – على طرف كل لسان في العالم. ولا حاجة بي لأن أضيف الى ما قلت ان مضاجعة إله من الالهة، وكان حلم كثير من العذراوات. وكثيرا ما مارست عذراء هناك طوال الليل غزل مع إله من الالهة لتكتشف عند الفجر ان جلالته المقدسة قد اعتصر خمر البلح للانتعاش والسرور، وأنه قد صار بشريا بالقدر الذي يمكنه من أن يحبل امرأة – ان ثمة فرصة للفطنة – لكن الامور كانت تطيب دائما في النهاية، فتترعرع الفتيات ليصرن أكثر حكمة وجمالا.

ولكنك لابد من ان تتوقع لقرية كهذه بها أشد النساء إثارة على وجه الارض ان يكون أهلها أسعد الناس كذلك. لكن الامر لم يكن على هذا النحو. فقد كانت هناك فتاة أكثر جمالا – والى حد بعيد – من الاخريات. وهذا أمر ليس سيئا في حد ذاته، لأنك دائما ما تجد حتى في كوكبة النجوم السماوية واحدا منها يفوق النجوم الاخرى بريقا. لكن البلدة كانت حزينة لأن أجمل العذراوات في القرية صارت دون كل الناس امرأة تتصف أيضا بصفة أخرى مميزة، فقد كانت مجنونة. ولأنها كانت جميلة ومجنونة سموها أويوكو، أي عذراء ندينه تشوكوو المجنونة. ها أنت ترى سخرية الالهة من البشر، فهي تهب فتاة ألطف ما في الوجود كله من رقة، ثم تفسدها من داخلها.

وهكذا الحياة يا صديقي الشاب. فالآلهة تمنحك من «اليام» أكثر مما انت في حاجة اليه، ثم تضن عليك بزيت النخيل كي تنعم به. وفي موسم الحصاد التالي لا تجد سوى زيت النخيل، في حين أنك لا تعثر لليام على أثر.

أيوكو الجميلة هذه هي بطلة قصتنا، كما ولعلك قد خمنت كانت ترتاد أي مكان عارية كيوم ولدتها أمها، رغم انها شبت عن الطوق

تماما واكتمل بهاؤها وحسنها. وكان الناس يتوقفون ويحدقون فيها كلما مرت بهم. وأحيانا ما كانت ترقص في ساحة السوق، وكان هذا سبيلها لاستجداء المال كي تعول نفسها، وكان هذا سبيلها لا ستجداء المال كي تعول نفسها. وكان المتفرجون يقبلون من

بعيد ومن قريب ليحملقوا فاغري الافواه في سحرها. فلم تشهد العيون أبدا جمالا كهذا الجمال في ذلك الجانب المشرق بالشمس. يا الله! أتري تلك العذراء التي في النهر يا صديقي الشاب؟ إن جمالها كما تقول يثير شجونك ويدفعك الي الاهتياج، وأنا أستطيع إدراك السبب. ولكن وفقا لما كانوا يروونه، عليك أن تضاعف من قدر جمال هذه العذراء مرات تفوق عدد اصابع يديك وقدميك وهي عارية تدغدغ المشاعر كما هي عليه الآن، قبل أن يومض بخاطرك تصور ما كانت عليه ايوكو.. الجمال المجنون. لقد كان جمالها مفعما بالحيوية صاعقا بشدة، بحيث كانت العيون تستشعر الالم حين تحدث فيها.

كانت بشرتها أحلك من سطح بحيرة عندما ينتصف الليل وأكثر منه فتنة. وكان شعر رأسها أسود غزيرا كأنه شعر ربة من الربات، بينما نبت فوق أكثر الاجزاء رقة في جسدها شعر في دوائر صغيرة ملتوية فيما يشبه كتابة الآلهة. وكانت أسنانها شاهقة البياض. ومن ابتسامتها يشع وهج يمكنك أن تبدد به الظلمة من حولك. وكانت عيناها نجمتين من البراءة والدعة والإغواء، وتتقدان بالرغبة المشتعلة.

ولكن ربما كان نهداها وأردافها من أشد ما تملك من مغريات مثيرة. لم يكن نهداها متضخمين ولم يكونا متهدلين مثل كثبان النمل. وكان يترجرجان في حركة بندولية، مع ميل رائع يغري بعناق يتلاقى فيه الطرفان في حميمية قصوي، الامر الذي يسيل له لعاب الناضجين من الرجال الذين عرفوا ما يدور حول الجنس، فيصورن علي أسنانهم اشتهاء، ويشدون بإحكام ما عليهم من جلد الاسد لكبح شبقهم. لكن حين تبدأ الجميلة أيوكو في الرقص، يتأوه الرجال من الالم، ويحدث ذلك عندما تتجلي فتنة أردافها وتطغي بقسوة علي خيال البالغين من الذكور. وكانت تثب في الهواء كما تثب النمرة، وترقص حتى تنتحب الريح في السماء. وكانت أردافها مرنة مفعمة بالقوة، ذلك أنها في هزة كاملة يصدر عنها أصوات نشيج رنان شبيه بنشيج آلة «أونية» الوترية. وكان من المحال على الانسان ان يتخيل امرأة مجنونة بهذا الجمال. لقد كانت تشبه ضوء الشمس وقد سق على مكان خرب.

لا بد من أنك ظننت أن عذراء مجنونة كهذه، بغض النظر عما في جسدها من إغراء، تجتنبها الايادي الداعرة، أيادي أولئك الشهوانيين. إلا أن الامر بالنسبة للمسكينة أيوكو الجميلة لم يكن كذلك.

فقد كانت في الخامسة عشرة من عمرها حين سقطت في السوق مغشيا عليها في وضح النهار، وأعقب ذلك نوبات من غثيان الصباح. وبدأت النسوة العجائز يلاحظن تغيرات عليها. وقبل مضي ثلاثة شهور قمرية تبين أن أيوكو الجميلة حامل.

وأحنق النبأ القرية، وأذهل الدنيا. فلم يكن هناك موضوع للحديث في أي مكان سوي موضوع حمل أيوكو الجميلة. وتساءل الناس عمن يكون ذلك الوحش الذي أتي تلك الفعلة مع امرأة مجنونة؟ وماذا سيكون مصير الطفل؟ وكان أشد ما يدعو للدهشة أن أيوكو الجميلة لم يشاهدها أحد إطلاقا بصحبة أي إنسان. ولم تكن ثمة وسيلة لتخمين من يكون ذلك المسئول عن هذه الفعلة. وحتى عندما وضعت أيوكو طفلها - وكان باقة صغيرة لطيفة من الرجولة - ظل الاب مجهولا غير باد للعيان. بل لم تتقدم حتي قرادة طفيلية لتدعي بنوة الطفل وتكفل له المأوي.

وسألها الناس.. أيوكو الجميلة!. أخبرينا يا أيوكو الجميلة من هو والد طفلك؟ وهنا ابتسمت أيوكو في بساطة، ابتسامة تشع إشراقا، وهزت رأسه كما لو أنها لم تعرف شيئا عما يتساءلون. وعندئذ حاولوا التقرب منها بطريقة أكثر خبثا، على أمل أن يتعرفوا على شخصية الأب عن طريق اسم الطفل وسألوها.. أيوكو الجميلة! أخبرينا يا أيوكو الجميلة ما اسم طفلك؟

وهنا ابتسمت أيوكو ثانية ابتسامة مشرقة، أولهما هو: أوبيالو- أنيى- أوجو، ومعناه لا أحد يعصى إرادة الآلهة. وثانيهما هو أوبتيما- إيتو- أوجا- أديلى- يا، ومعناه لا أحد يعرف ما يخطه القدر.

ورغم شذوذ هذين الاسمين وطولهما، فقد أبهجا كل من سمعهما، بسبب ما اتسما به من جمال وفطنة، وما يدلان عليه من ترو في التفكير، في ظل أحوال لم يكن أحد يتوقعها من عقل مخبول. ورغم ذلك لم يلق الاسمان الضوء على من يكون والد الطفل، ذلك أن كلا منهما كان الاسم الأول، ولم يكن في القرية وما وراءها إنسان ما اتخذ لنفسه واحد من هذين الاسمين. ولم تكن ثمة شجرة عائلة تحمل ألقابا تبدو على هيئة جمل.

«واخيرا تركت المسكينة أيوكو وشأنها لتعيش في سلام مع طفلها تعني به وترضعه من صدرها في اوقات الرضاعة، وتشركه معها في فراشها الذي أعدته من أوراق الأشجار الحافة عند شجرة قضت تحتها لياليها لسنوات عديدة مضت، وتدعه للطقس الاستوائي ليعني بتدفئته. وكانت أيوكو من ـشد الأمهات عاطفة وولها بابنها، فلم يكن بمقدور فرقة من كلاب تنبح ان تباعد بينها وبين طفلها.

وكانت من أشد الأمور دهشة مجيئها إلى ساحة السوق عند بزوغ يوم مشمس دون طفلها. لقد اختفى الطفل الصغير ولم يظهر له أثر. وراحت ايوكو ترقص وتمرح كأنها لم تكن ابدا أمًا طوال حياتها.

وحدث نفس الشيء في العام التالي، حيث حملت أيوكو ثانية وأنجبت طفلا ثم اختفى دونما سبب أو دون ان يترك اثرا.

ولكن حين حدث نفس الشيء للمرة الثالثة في العام الذي تلا ذلك، دعا شيوخ القرية إلى اجتماع طارئ، وفيه قرروا الوصل إلى سر هذا الموضوع. فقد ظنوا أن من المحتمل قيام شخصية شريرة باستغلال المرأة المجنونة البريئة المسكينة بهدف إنجاب زمرة من أولاد الزنا، ليباعوا في سوق رقيق الاطفال.

«زقد خرج الشيوخ بخطة تقضي بوجوب حضور كل ذكر عادى من القرية ممن يزيد على التاسعة من عمره اجتماعا خاصا بساحة السوق في يوم معين يحدد مستقبلا. وفي ذلك اليوم، يصطف كل الناس الذين يتجمعون في طابور واحد، ويهزون ارداهم في رقصة غزل

وهم يتحركون ويتواثبون مارين بأيوكو واحدا تلو الآخر. وكان الشيوخ على وعى تام بالطبيعة البشرية لهؤلاء الشباب. فقد علمتهم التجربة أن للحياة قوانين لا يفلت أحد من سطوتها حتى المجانين. قد يمنع الجنون أيوكو من ان تنسب بداية حملها الي رقصات غزل مارستها ليلا مع أحد الرجال، كلن ثمة شيء آخر لا يستطيع حتي ستار الجنون المعتم ان يخفيه، الا وهو دافع الرقص نفسه الذي لا يقاوم، لقد كان الشيوخ علي يقين من أن أيوكو سوف تميز شريكها في الرقص، وأنها ودون إدراك منها لقيود العار والعيب سوف تثب علي قدميها للتيد في ساحة السوق خطوات رقص الغزل الذي أدته معه في الدغل المظلم، وحتي لو لم تكن أيوكو علي استعداد للذهاب الي هذا المدي، فإنه محتوم عليها وهي تميز رجلها، أن تتصرف بطريقة تؤدي الي فضح القرادة الطفيلي، وتمت الموافقة علي الخطة، وحدد اليوم.

لكن الحدث الكبير لم يتم، لأنه في الصباح المحدد له، ذهب أحد الفتيان الي كبير القساوسة وأدلي له باعترافه كاملا، وصاح أهل القرية.. اخصوا هذه القرادة! اخضوا هذا الطفيلي. وراحوا كالإعصار يلاحقونه.

لكن عملية الخصي لم تحدث، لان الشاب قبل أن يمسكوا به شنق نفسه على شجرة من أشجار حبوب الزيت في باحة أبويه، وتحت هذه الشجرة نفسها، وجدت أجداث الاطفال الثلاثة الموتى وقد سحقت رءوسهم بقطعة من حجر، ففي كل مرة كان يسرق الطفل في أثناء نوم أيوكو ويقتله، لأنه خشي أن ينسب اليه الاطفال بعد أن يكبروا ويشبوا عن الطوق عن طريق ما بينه وبينهم من تشابه، وحزن أبواه بقية أيام عمرهما، وماتا إثر هبوط قلبي حاد، لقد كان ابنهما الوحيد، وفي تلك الايام، كان للأولاد قيمة يعتد بها.

وإنني لسائلك الآن.. ما الذي يدعو إنسانا أيضا طاهر الذيل علي الاقل حتي لحظة الغواية التي وقعت فيها عيناه علي أيوكو الجميلة، ويبدو أنه انحدر من صلب أسرة اعتنقت ديانة ما اجنبية، لكنها لم تكن شديدة السوء بالرغم من ذلك، لقد كان ينتوي أن يكون نوعا من أنصاف القسس الذين يسمونهم وعاظا، يفسر العقيدة الجديدة ويشرحها، لا يرتفع الي مستوي قسيس، لكنه يكون رفيع المقام في العشيرة، الاول من طرازه في تلك القرية. وذكر

كل الناس أنه سيكون صالحًا، لأنه يستطيع أن يصوغ كلمات على الورق ثم يرددها بعد ذلك، وكانت المشكلة ان الواعظ وفقا لهذا الدين، غير مباح له اتخاذ أكثر من امرأة زوجا له، بل قيل إن هذا ينطبق علي كل فرد في العشيرة، وإني لسائلك.. اي نوع من الديانة هذه؟ إن الرجل مع زوجة واحدة فقط ليشبه طائرا بجناح واحد فحسب، فأي نوع من ذلك الطيران الذي يمكن أن يقوم به طائر بجناح وحيد دون أن يوهنه في عام واحد؟ كيف يمكن لطائر أن يعتبر نفسه طائرا إذا لم يقم بالطيران عبر كثير من الصحراوات ويشاهد الكثير من البحار، ويتناول الفاكهة من عدد كبير من البلدان، وذلك قبل أن يهلك وينفق؟ والانسان كالطائر، يحتاج الي ريش جديد مع مرور الفصول، وعليه أن يعيش الحياة بكاملها قبل أن يصنع لنفسه نعشا، ويرقد فيه الرقدة الاخيرة، أي دين ذلك الذي يريد أن يقص جناحي الصقر؟ إن الإله الذي يقيد الرجل بامرأة واحدة طوال حياته، أمامه الكثير مما يجب أن يتعلمه عن الرجولة، وأمامه كذلك أشياء كثيرة يجب أن يعرفها عن الأنوثة.

نحن هنا أمام شاب رقيق أنهي حياته بطرف حبل، لأنه استخف بالاستجابة الاسرة للأنوثة، فأنت كلما ارتشفت من إنائها ازددت عطشا، وكل ما ابتغاه الفتي، هو رشفة قليلة من أنوثة أيوكو، إنه لم يكن يريد أكثر من رقصة، لكن هذه الرشفة القليلة كانت كافية لان تفقده إدراكه للاتجاه الصحيح، لقد لفه حبل السحر، وإذا بالرقصة تؤدي الي رقصة تالية، ثم الي القتل، وأخيرًا الي حبل في شجرة حبوب الزيت، ربما كان من الممكن أن يعيش ليصبح واعظا، وهو ما كان يجدر أن يقوم به، ومن يدري؟ قد كان من الممكن أن ينجح، لكنه ترك نفسه يحملق في ثديي أيوكو وفخذيها مرة، ولكن حملقته كانت أكثر مما ينبغي، وهذا كل ما يستغرقه الامر لأحداث الفرق بين خلاص الانسان ودماره.

إن المغزى الاخلاقي لهذه القصة يا صديقي الشاب، هو أن المرأة، حتي لو كانت مجنونة، بها من القوة ما يكفي لدمار الرجل، وفي مرة ثانية، حين تشاهد عذراء فاتنة كتلك التي تستحم في النهر، وتغريك كل استدارة في جسدها بان تدنو منها وتخفف من توترك، من الافضل لك ان تهرع الي بيتك وتسكب ملء كالاباش من نبيذ النخيل في عروقك، فهو

سيسكرك، ولا يؤدي بك الي ان تشنق نفسك، ولهذا، إذا أردت أن تأخذ بنصيحة رجل عجوز يا صديقي الفتي، فعليك بالابتعاد عن الفتيات.

وحين انتهي الشيخ من رواية حكايته، تفل في النهر، وأبان عن أسنانه في ابتسامة مفعمة برائحة الدخان، وربت علي كتفي، ثم نهض وعصر طرف ذيل ردائه الجلدي الذي كان قد انغمس في الماء وامتص الكثير منه.

وفي هذه اللحظة أنهت العذراء الشابة استحمامها وخرجت من النهر ووضعت إزارها علي صدرها، ولما انتهت راحت تملأ سلتها بالكسافا التي التقطتها من الاعشاب المائية، ووضعت السلة فوق رأسها، ثم - وقبل أن أفكر فيما كان يحدث - التفتت الي الرجل الكبير وابتسمت له في ألفه وقالت «أقادم أنت يا نا - نا.».

وكشر الشيخ عن أسنانه بطريقة توحي بالهيمنة، وأموما إليها برأسه وأجاب «أجل يا سمكتي الجميلة !. سألحق بك في التو «.

كدت أسقط من فوق قنطرة البامبو، وصحت في دهشة «أنتما الاثنان تعرفان بعضكما بعضا؟».

وأجاب العجوز وفي عينيه ومضة متنوعة المعاني « يقينا.. وإلا فبأية وسيلة أخري كان يتسني لي أن أمنع مصيبة تكاد أن تحدث؟ إنها زوجتي».

«زوجتك!».

«لي في الحقيقة تسع زوجات، وهذه الزوجة هي أحدثهن، نحن في طريقنا لزيارة والديها، هناك فوق التل تماما، وقد غادرت البيت مبكرة عني لتنقع جسدها قليلا في النهر أن آتي وأصعد بها، فاتنة ونضرة، هه؟ حسن. الشمس على وشك المغيب، فوداعا يا صديقي الصغير».

وتقدم بضع خطوات، ثم التفت الي مبتسما وغمز لي بعينيه وقال «لا داعي لأن تبدو هكذا مشدوها يا صديقي. ألا يمكن أن تأخذ الامر على سبيل المزاح؟ إنك لا يمكن أن تلوم إنسانا يقوم بحماية ما يملك. أليس كذلك؟ حين هبطت لأخذ زوجتي ورأيت الطريقة التي تحملق فيها بعينيك، أدركت أنه لا بد لي من أن أفعل شيئا وبسرعة لأمنعك من اتخاذ خطوة ما. ومع ذلك، يجب أن تقر بأنها كانت قصة جذابة. والناس لا يروون الحكايات هذه الايام بمثل هذا الاسلوب».

وهدر النهر وانطلق يضحك فوق الجرف، وقهقهت الريح في السماء. وكنت مسرورا لعدم وجود شهود يمكن أن يقصوا على القادمين فيما بعد كيف خدعني هذا الشيخ العجوز. لم يكن حولي بالطبع شاهد سوي النهر الذي يضحك ما شاء له أن يضحك، لكنه لا يستطيع أن يتكلم.

وفيما كنت أراقب الشيخ المسن وهو يختفي فوق التل مع زوجته الشابة، لم أتمالك إلا أن أعجب ببراعة هذا العجوز البطئ بطء السلحفاة، والذي فعل ذلك بخيال ابتكاري بديع، ونجح فيما أراد، وهذا ما قد يفعله من هم أدين منه بالعضلات والقوة، لكنهم يفشلون. لقد حمي زوجته الشابة من نزوات وإغواءات شاب مفتون. ومازال يشق على أن أتصور أن هذه الشريحة الجميلة من الانوثة الافريقية كانت كلها له هو. وكانت هي واحدة من تسع! وكان لابد من أن أهز رأسي احتراما. إن تسع زوجات يمثلن مجموعة من ساحرات لا يمكن أن تتقي سحرهن، ومع ذلك لا يبدو النسر العجوز شديد الاجهاد. إنني أحب الرجال المسنين، أو لست تحبه أنت؟ إنهم يجعلونني أفكر في كثير من الامور التي كانت جميلة يوما ما، ثم ولت عنا.

يحاول كتابنا أن يطوف بنا ويقدم النصح من خلال الحكاية،بداية القصة قوية تحوى كثيرا من التعابير والتشبيهات،هنا النهر الذى يرأى الكثير من البشر وخاصة النساء اللاتى لايخجلن من التعرى فى النهر،وقد جعل من النهر كائن غير قادر على الكلام.

وأن تطرق الكاتب الى وصف لجسد المرأة، والاستفاضة في ذلك، بطبيعة البيئة الافريقية. وأن وجد هذا الوصف فى الشعر الصريح للشعراء العرب ولكن نهى الاسلام عنة.

وقد استخدم الكاتب التشبيهات كطريق لجعل القراء يستمر في متابعة قصته، وبعدها يدلف بنا الى فن الحكاية الشعبية التي برع فيها أدباءنا الافارقة، عند حضور العجوز الذي أستفاض في حكايته التي طعمها أوبى ب. إجبونا بشيء من التشويق، بتعدد قتل أطفال الجميلة وأيضا من عدم معرفة سبب حملها المتكرر.

واجتماع الشيوخ من خلال الرقصة التي تقام في السوق لمعرفة من واقع أيوكو وتوقيع عقوبة الخصى. وتنتهي القصة بعدها بشنق الشاب نفسه في الصباح

وفى نهاية القصة يفاجئنا الكاتب بأن العجوز ما هو الا زوج السيدة التي تستحم بالنهر، الذي حاول تقديم نصيحة له بعدم التقرب من الفتيات حتى لا يقع في الزنا، فالقصة تحوي الكثير من التشويق والمفاجئات التي تمتع القارئ وتجبره على استكمال سردها.

والقصة تحتوي على شخصيتين رئيستين هما العجوز والشاب، بالإضافة الى المرأة زوجة العجوز.